

موسوعة الطفل

مهارات التقويم
(أسس الرعاية النفسية والسلوكية)

خالد سعد النجار

«فالصبي إذا أهمل في ابتداء
نشوئه، خرج في الأغلب رديء
الأخلاق، كذابا، حسودا، سروقا،
نماما، ذا فضول، وضحك، وكياد،
ومجانة، وإنما يحفظ عن جميع
ذلك بحسن التأديب»

الإمام الغزالي

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]
 ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]
 ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠ - ٧١]

أما بعد.. فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار، ثم أما بعد ..

الطفل عالم حي، متغير، متطور، غني ... ونحن وبما نملك من أصول تربوية مهمة، مع ذلك قلما نستطيع أن نكشف جوانبه المختلفة ونسبر زواياه العميقة! ولكن لا بد من المحاولة الجادة لفهم سلوك أطفالنا، وتحليل العوامل الداخلية لديهم، وفي الوقت ذاته محاولة التعرف على ما يعتمل في أعماق عالمهم الواسع، وكشف أغوار ما بداخلهم من أحاسيس ومشاعر ودوافع وانفعالات تؤثر في سلوكهم.

هدفنا من وراء ذلك ليس أن نرسم لهم مستقبلاً مشرقاً فحسب، بل أن نساعدهم في شقّ طريقهم لمستقبل جميل خالٍ من العقد والأمراض النفسية، مما يؤمن لهم حياة سعيدة يملؤها الحب والأمل والانسجام والسعادة، وهذا يجعلهم قادرين على التكيف والتوافق والتوازن والنمو والارتقاء والإبداع بإذن الله تعالى.

ومن الجدير قوله هنا أن كل ذلك لا يتم إلا من خلال جوٍّ مفعم بالحب والتفاهم والاحترام، وبفهم واعٍ لدوافع أطفالنا، ومبررات تصرفاتهم وأهداف سلوكهم.

يتعلم الطفل في سنواته الأولى أكثر بكثير مما يتصوره الآباء، فالعادات يمكن أن يكتسبها بسهولة كلما كانت سنة أصغر، حيث أن ٩٠% من العملية التربوية تتم في السنوات الخمس الأولى، وتتجلى أهمية الطفولة المبكرة «مرحلة ما قبل التمييز، أو مرحلة ما قبل المدرسة» حين نعلم أن الطفولة الإنسانية أطول من أي طفولة في الكائنات الحية، كما تتميز الطفولة الإنسانية بالصفاء والمرونة والفطرية، وتمتد زمناً طويلاً يستطيع المربي خلاله أن يغرس في نفس الطفل ما يريد، وما يتربى عليه الطفل يثبت معه على مدى حياته كلها، وما يتلقاه في الطفولة المبكرة يرسم الملامح الأساسية لشخصيته المقبلة، ويكون من الصعب جداً إزاحة بعض هذه الملامح مستقبلاً حتى لو كانت غير سوية.. ولذلك تقول مارجريت ماهلر: «إن السنوات الثلاث الأولى من حياة كل إنسان تعتبر ميلاد آخر».

ولأن الله تعالى جعل الوالدين مسؤولين عن عقيدة الطفل؛ فإنه جعل الطفل يتلقى من والديه فقط طيلة طفولته المبكرة، وجعله يرى والديه مثلاً أعلى في كل شيء حسن فلا يصدق غيرهما، وذلك ليحصن الله عز وجل الطفل من التأثيرات القادمة من خارج الأسرة في الطفولة المبكرة.

كما جعل الله سبحانه وتعالى الطفل يعتمد على والديه في كل شيء خلال هذه المرحلة، وهذا يساعدهما على تنفيذ المهمة الموكلة إليهما.

بل إن الطفل في هذه الفترة يميل إلى إرضاء والديه، ويحاول أن يستخرج منهما عبارات المديح والثناء والإعجاب، فإذا علم الآباء والمربون ذلك، كان من البديهي أن يحرصوا كل الحرص على استغلال هذه الفترة في بناء شخصية الطفل إيمانياً، وحسن تأديبه وتعليمه.

إن الطفل يتعلم في المنزل دروس في الحب والكراهية، والإقدام والعطف، والاستهتار والدقة، والتفرقة بين الخطأ والصواب والحسن والقبيح .. وفيه أيضاً يتعلم معنى الملكية الفردية، والحقوق والواجبات .. وبالاختصار نستطيع أن نقول: «إن المنزل هو أول فصل يجتازه الطفل ليخرج منه إلى الجماعة البشرية مستكماً شروط الإنسانية أو فاقدها كل فقدان».

يقول ابن الجوزي رحمه الله تعالى: «أقوم التقويم ما كان في الصغر، وأما إن ترك الولد وطبعه فتشأ عليه ومرن، كان رده صعباً».

وقال الشاعر:

قد ينفع الأدب الأحداث في مهل وليس ينفع في ذي الشبية الأدب

إن الغصون إذا عدلتها اعتدلت
ولا يلين إذا قومته
الخشب

فليطرح الآباء والأمهات والمربون إذن وراء ظهورهم تلك العبارة التي طالما وقفت حجرة عثرة في سبيل تأديب كثير من الأبناء: «إنهم مازالوا صغاراً» أو «عندما يكبرون سيعرفون كل شيء»!!^(١)

وعند حديثنا عن تربية الأطفال يرتبط هذا الحديث بالمشكلات السلوكية التي يعانيتها الوالدان أثناء قيامها بالعملية التربوية، وبالسياسة المتبعة لتنشئة الابن أو البنت، وهذه المشكلات موجودة عند جميع الأطفال بدون استثناء، وهي لا تدل بحال من الأحوال على شنوذ الطفل أو اضطرابه أو فساد طبيعه .. بل إن كثيراً منها يعتبر جزءاً متمماً لتطوره الطبيعي، ونتيجة منطقية لتفاعله مع البيئة، وهذه المشكلات تزول بصورة عفوية تلقائية إذا أحسن علاجها وتدريبها دون أن تترك أثراً، وقد تستعمل وتزداد ثباتاً ورسوخاً وتصبح خلقاً ثابتاً أو عادة دائمة إذا ما أسيء علاجها وتدريبها.

وكما قال أحد الباحثين: «إنه لا يوجد أطفال سيئون، ولكن يوجد أهل سيئون، وإن الطفل ليس بحاجة إلى توجيه، بل الأهل هم الذين بحاجة إلى توجيه».

(١) سُهَيْلَة.. والحصن المنيع أ. سحر شعير / بتصرف وزيادات

ولا يشك أحد أن الأهل يبذلون قصارى جهدهم في تنشئة أطفالهم، وليس المقصود لوم الأهل بل محاولة إفهامهم طبيعة هذه المشكلات، وكيفية حدوثها، والطريق الأمثل في معالجتها^(١)

هذا وقد وفقني الله تعالى لإخراج هذا العمل المتواضع في المرحلة الثانية لمشروعي الموسوعي المقسم على ثلاث مراحل:

- المربي الناجح: (أسس الرعاية الدينية والتربوية)
- مهارات التقويم: (أسس الرعاية النفسية والسلوكية)
- صحة وعافية: (أسس الرعاية الصحية والغذائية)

وحرصت في هذا السفر – كما حرصت في مراحل الأخرى- على الابتعاد عن الإسهاب فيما لا يخص القارئ، من جدل النظريات وترجيح الآراء، فهذا كما أشرت مرارا وتكرار أن مجاله الكتب البحثية المتخصصة جدا جدا.

لكني قصدت من هذا «الجمع الطيب» تبسيط فكرة التربية لكل أب وأم، ولكل قارئ متبحر، في محاولة لترشيد الوعي التربوي وإزالة الكثير من الغبش والتقاليد البالية التي علقت به، رجيا من الله تعالى أن يكون لهذا الجهد انعكاس وثمره طيبة على أبنائنا وأمتنا الإسلامية المجيدة. وقد تناولت العديد من الاضطرابات السلوكية الشائعة في مجتمعاتنا، وكالعادة في هذا العمل الموسوعي .. ركزت على «المنارات العملية» التي نواجه بها المشكلة المطروحة، وذلك في نقاط مختصرة ومحددة.

(٢) أطفالنا ..ماذا يحتاجون منا ؟ د. وفاء إبراهيم العساف

حتى في استهلاله الكتاب، حيث كان الحديث عن الأبعاد النفسية للطفل، ركزت -أيضا- على الإرشادات التي يجب علينا تبنيها مع أطفالنا من منطلق فهمنا لدوافعهم الداخلية ومشاعرهم النفسية.

وأخيرا .. أسأل الله تعالى أن يجزل الثواب لجامعه وناشره وقارئه، وأن يجعله لنا زادا مباركا في الدنيا والآخرة.

إنه سبحانه بكل جميل كفيل، وهو على ذلك قدير، وحسبنا الله ونعم والوكيل.

وكتبه

أبو مهاب

د خالد سعد النجار

غفر الله له ولوالديه ولجميع
المسلمين

أرض الكنانة: مصر

٠٠٢٠١٢٢٩٥٩٦٦٥٨

alnaggar66@hotmail.com

علم النفس

- الاحتياجات النفسية للأبناء
- قراءة في نفسية أولادنا
- خطوة بخطوة
- مراحل نمو طفلك.. تصرف بحكمة
- اكتشاف طبيعة طفلك
- مخاوف الطفل .. المساعدة ضرورية
- أطفالنا والخلافات الزوجية

الاحتياجات النفسية للأبناء

تحتاج مرحلة الطفولة إلى إشباع متعدد للحاجات النفسية للصغار، من أجل ترسيخ انتمائهم الأسري، واستقرار حياتهم الاجتماعية .. فالصغار في حاجة إلى محبة الوالدين، وما يشعرهم بالإشباع العاطفي الأسري، كما إنهم في حاجة إلى الرعاية الأبوية والتوجيه، بما يحقق نموهم السليم، بل ويضمن أفضل مستوى من مستويات النمو الجسمي والنفسي.

وتتعدد أيضا حاجات الصغار .. كحاجتهم للحرية والاستقلال، والاعتماد على النفس، وتحمل بعض المسؤوليات التي يكلفون بها ومن ثم تحمل المسؤولية الكاملة مستقبلا. وحاجتهم لتعلم المعايير السلوكية نحو الأفراد. وتأكيد واحترام الذات، وفي هذا ما يؤكد أهمية انتمائهم إلى المجتمع الأسري والمدرسي والجوار والأقارب والرفاق الذين يعيشونهم. ولا يفوتنا أخيرا حاجتهم للعب كضرورة من ضرورات النمو في الصغر، وخاصة إذا أتاحت للصغير فرص اللعب الموجه والترويح البناء.

• الحب: حاجات الطفل تنقسم إلى قسمين:

الأول: «حاجات داخلية أولية» وهي استعدادات يولد الطفل مزودا بها وتسمى الحاجات الفطرية، وهذا النوع يعتمد في إثارته على الحالات الجسمانية الداخلية «الфизиولوجية» مثل: الجوع والنوم ... وغير ذلك.

الثاني: «حاجات خارجية ثانوية» وهي مكتسبة كالحب والتقدير والانتماء.. فالطفل في الأسابيع الأولى من حياته تكون علاقته بأمه قائمة

على أساس تحقيق حاجاته الأولية؛ فهي بالنسبة له مصدر الغذاء والشراب واللذة الحسية والأمن، ولكنه مع النمو الجسمي والعقلي يستطيع أن يميز بين ذاته وبين أمه، وحينئذ تنشأ علاقة جديدة بينهما تقوم على أسس نفسية قوامها المحبة والعطف .. لذا يجب أن نشعر أطفالنا بحبنا، ونجيد فن التعبير عن هذا الحب، وذلك بالقبلة واللمسة والبسمة والربتة والنظرة والقرب والاهتمام ...

إن الحب في حياة الناس شيء أساسي وجوهري، فلا أحد يشبع منه، وأفضل مكافأة للطفل هي شعوره أن أمه وأباه يحبانه ويثقان به، عندها سوف يحبهما فعلا، فكل طفل يحب أن يكون محبوبا ومحبا، وإلا فإنه سوف يلجأ إلى إزعاج من حوله لتنبيههم لحاجته إلى الحب.

والأطفال يستجيبون سريعا للمعاملة الطيبة، فعلى إظهار الحب والاهتمام بهم، ولكن ليس بطريقة مبالغ فيها، ويكون هذا الاهتمام ممثلا في: اللعب معه .. التنزه سويا .. إضفاء روح المرح والفكاهة على البيت .. الرفق في إلقاء الأوامر، وفي العلاقة معهم بوجه عام .. الحزم في غير عنف أو عصبية.

• **الدعم الإيجابي:** ويقصد به أي رسالة قولية أو فعلية تنشئ أو تقوي سلوكا. ويشمل كل الرسائل التربوية اللفظية والحركية، المباشرة وغير المباشرة، المعنوية والمادية، والتي تبني روح المبادرة والإيجابية والتحفيز في نفوس الأطفال، مع العلم أن هناك فرقا بين اعتناق مبدأ ما، وعدم الثبات

عليه .. فكن قدوة في أقوالك وأفعالك، لأن عدم الثبات على مبدأ معين أمام الطفل من شأنه أن يفقد الصغير ثقته بوالديه.

إن أطفالنا يتصرفون كما نفعل لا كما نقول، ولهذا لا بد أن نستغل ميل الطفل الفطري لتقليد ومحاكاة والديه في كل شيء؛ فنبحث عما نحب أن نغرسه في أطفالنا، ونحققه في أنفسنا حتى على مستوى العادات اليومية: (تعليق الملابس، إعادة الأنية إلى مكانها بعد تناول الطعام، عادات النظافة والمحافظة على النظام ... إلخ). إن القيم التي نودّ غرسها فيهم، لا بد من تحقيقها في أنفسنا أولاً، حتى لا نقع في طائفة الذين ذمهم الله تعالى بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ [الصف: ٢-٣]

• **المعرفة:** محاولة الطفل التعرف على بيئته من العوامل المهمة التي إذا ما عولجت بحكمة أمكن عن طريقها تنمية إمكانيات وقدرات الطفل، لذلك فإن إشباع هذه الحاجة من العوامل الضرورية التي يجب أن يهتم بها الآباء في تربية أبنائهم.

وهناك وسائل متعددة لإشباع هذه الحاجة المعرفية، منها: النشاط الذاتي «اللعب» .. أي النشاط الذي يصدر عن المتعلم نفسه، وهو من المبادئ الهامة التي أكدها علم النفس أساساً لعملية التعلم. وليس المنزل فقط هو الذي يجب أن يهتم باللعب كوسيلة للمعرفة، بل إن المدرسة كذلك يجب أن تساعد الأطفال على الاستفادة من هذه الوسيلة.

أما إذا لجأ المنزل والمدرسة إلى أسلوب التلقين وجعله الطريق الأساسي والوحيد الذي يطل منه الطفل على عالم المعرفة، فستكون النتيجة أننا سنُخرج شخصيات مغلقة، والشخصية المغلقة لا تتسع لاستقبال المعرفة واستيعابها وهضمها.

ومن وسائل المعرفة أيضا «الأسئلة» حيث تعتبر الأسئلة التي يسألها الأطفال والإجابة عنها من الوسائل الهامة لاكتساب المعرفة لديهم، كما أن الإجابة عن أسئلة الطفل بما يناسب عمره ومستوى إدراكه من العوامل المهمة التي تساعد على نموه الفكري. ويسمى علماء النفس توجيه الأسئلة بـ «الجوع العقلي».

غير أن بعض الآباء قد يقفون من أسئلة الطفل أحيانا موقفا غير صحيح، فقد تضطربهم الظروف إلى إهمال الإجابة عن تلك الأسئلة أو الإجابة عنها بجفاء وجدة، وكذلك قد يجيب الآباء عن أسئلة أطفالهم إجابات خاطئة أو مضللة نتيجة جهلهم بموضوع السؤال أو لارتباط هذا الموضوع بأمور حرجية لديهم، مما يملأ الطفل بالقلق، فضلا عن أنه قد يكتشف الحقيقة من مصدر آخر فيفقد الثقة في والديه، ويعتقد أنهما يغرران به، ومن ثم تبدأ علاقته بهما في الاضطراب. لذلك يجب أن يهتم الوالدان جيدا بأسئلة أطفالهما، ويجيبا عليها بكل اهتمام وحفاوة ومصادقية، وبما يتناسب –أيضا- مع مستوى إدراك الطفل.

• الحرية: الطفل يحتاج إلى أن نحتويه، لا أن نحاصره .. (لماذا تضحك هكذا ؟ لماذا تمشي هكذا؟ .. انطق الكلمات نطقاً سليماً.. لا تلعب

بشعرك.. اذهب ونظف أسنانك... إلخ)؛ فكلّ ذلك قد ينعكس في نفس الطفل فيؤلّد حالة من عدم الاطمئنان، أو فقدان الثقة بالنفس.

إن الطفل يحتاج دوماً إلى الرعاية الممزوجة بالثقة، ويحتاج إلى أن نعلمه كلّ جديد دون أن نكرهه عليه. خاصة وأن الأطفال في السن المبكرة تقوم حياتهم على الاكتشاف، ورغبتهم في العناد هي رغبة في الاكتشاف، ورغبتهم في أن ينالوا فرصتهم من الاستماع الجيد، والتفهم لمتطلباتهم، ورغبتهم في الانطلاق واللعب والمرح والانغماس في مسئوليات صغيرة تعلن أنهم كبروا، وهذا يحتاج منا إلى تقديرهم، وإلى أذن مصغية، وإلى اتفاق مسبق على العواقب، وعلى المسموح والممنوع، وإلى الخطاب بقواعد إعطاء الأوامر المناسبة لسنهم، وإلى التعامل برفق مع أخطائهم.. فكل ذنبهم أنهم يرغبون في التعلم واكتساب الخبرة.

• **الترفيه أو الترويح:** فلمَ نضيق علي أبنائنا في لعبهم ولهوهم البريء، وهو حق من حقوقهم الهامة جداً؟! ولماذا لا نحرص على تنمية مواهب صغيرنا وهوأياته النافعة، ونشجعه إذا كان لديه قدرة على الإلقاء أو الخطابة أو ترتيب المنزل وتجميله، كما تحب بعض الصغيرات؟! ولماذا لا نتحمل ما ينجم عن مثل هذه الاهتمامات من أخطاء؟

• **التوجيه:** الصغار يعشقون من يوجههم ويرشدهم حتى لو تظاهروا برفض تدخلاتنا.. فهذا يشعرهم أن هناك من يخاف عليهم ويرعاهم ويهتم بهم.. فوجه طفلك نحو الكمال، ولكن بقدر يستطيع من خلاله أن يدرك أن الكائن البشري معرض للخطأ، وعليه الاستفادة من أخطائه.

• **الأمان:** وهو حاجة ماسة من حاجات الطفولة السوية، لذا فإنهم يحبوننا بجوارهم، ويرفضون النوم وحدهم، ويلتصقون بنا .. ولذلك فمن المهم أن يعيش الطفل في وسط أسري يشعره بالأمن، والعناصر الأساسية للأمن هي: المحبة، والقبول، والاستقرار.

فالطفل المحبوب طفل سعيد، ولكن هذا الحب يجب أن يكون حبا حقيقيا صادرا من القلب، وليس مظهرا خارجيا لحب مفروض من الخارج .. والحب لا يستطيع أن يقوم بدوره في إشعار الطفل بالأمن إلا إذا أحس الطفل أنه مقبول في عائلته، وهو الشرط الثاني. ومظاهر قبول الطفل كثيرة، منها: شعوره بأن له مكانة في المنزل، وكذلك شعوره بأن والديه يقدمان الكثير من التضحيات في سبيل إسعاده.

واستقرار الوسط العائلي «شرط ثالث» في الأمن، فكلما كانت الأرض التي يعيش عليها الطفل ثابتة ترحب به، ساعد ذلك على نموه وتكيفه مع البيئة، كما أن ثبات الأساليب التي يعامل بها الطفل شرط أساسي من شروط استقراره النفسي، أما اختلاف الاتجاهات العائلية في تنشئة الطفل يؤدي دائما إلى زعزعة الكيان النفسي له، ومن أمثلة ذلك: قسوة الأب وصلابته، في الوقت الذي تتساهل فيه الأم وتكثر الصفح والتسامح. ويجب أن يضاف إلى الاستقرار في أسلوب المعاملة استقرار العلاقات المتبادلة بين الزوجين .. ومن العوامل الأخرى التي تؤدي إلى عدم الاستقرار النفسي للطفل كثرة التغيير في المسكن والمدرسة بصورة

خاصة؛ ولكن هذا الضرر يمكن التخفيف من حدته عن طريق الاستقرار الانفعالي الدائم في الأسرة أثناء التغييرات المتوالية للأمكنة.

إن الطفل كائن رقيق، سهل التشكيل، وسهل التأثر بما يدور حوله، ومن هذا المنطلق تنبثق مسئوليتنا نحن الآباء والأمهات في تنشئة الطفل وتوجيهه .. إما إلى الطريق الصحيح، فينشأ شاباً على نهج سليم، بعيداً عن الاضطرابات والمشاكل النفسية والسلوكية .. وإما أن ينشأ مليئاً بالعقد النفسية التي تؤدي به إلى الجنوح أو المرض النفسي .. وعموماً لا بد من الإيمان الجازم بأن «كل سوء سلوك ورائه احتياج غير ملبى».. وهو ما يجعلنا نجد ونجتهد في التعرف على الاحتياجات التي تكمن وراء السلوك الظاهر لنتعامل مع السبب الرئيسي وليس العرض الذي يظهر.

قراءة في نفسية أولادنا

كثيرا ما نتعامل بطريقة خاطئة مع الأبناء نظرا لأننا لا نعلم الكثير عن خصائص المرحلة التي يمرون بها؛ ولا سماتهم الشخصية المميزة؛ ولا ميولهم المفضلة؛ ولا رغباتهم، فضلا عن عدم معرفتنا ببعض المهارات الأبوية اللازمة لتكفل لنا أرضا مشتركة من التفاهم والعلاقة. وفعليا تعد معرفة «أنماط الطفولة» المحطة الأولى وليست الأخيرة؛ حيث إن هذه المعرفة لا تساوي أي شيء ما لم يُنبن عليها خطة عمل، وتستخدم في البحث عما يوافقها من طرق للتفعيل والتنمية .. أما أن نسمي الابن شخصية كذا؛ أو كذا أو كذا فلا يفيد في كثير أو قليل، وهذا في حقيقة الأمر هدف القيام بأي نوع من التشخيص أو التقييم: «المعرفة الدقيقة لبناء خطة عمل».

إن معرفة خصائص المراحل العمرية للأبناء يسهم بشكل كبير في ضبط ردود أفعال الوالدين تجاه الطفل إذا أخطأ أو تعثر، كما يكسبهم الصبر على سلوكياتهم التي قد تكون مزعجة لأنهم قد عرفوا مسبقاً أنها من خصائص المرحلة التي يمرون بها.

مثال ذلك: تقبل كثرة الحركة، والارتباط بصندوق اللعب وسكبه على أرضية الحجرة يوميا من طفل الثالثة، بينما يُطلب من المربي أن يتعامل مع ولده الذي بلغ الثالثة عشرة بكثير من الصبر والاحتواء والاستعداد للجدال والمناقشات الطويلة وتوقع التمرد على أوامر وتعليمات الوالدين،

فهذه السلبيات متوقعة لأنها من سمات مرحلة المراهقة التي يمر بها الابن في هذه السن.

لكن النوايا الحسنة وحدها لا تصنع الإنسان الفاعل إلا إذا قادت صاحبها للتعلم والدراية والفهم في كيفية التعامل مع الأطفال والمراهقين دون التورط بممارسات سلبية تعيق العملية التربوية وتضعف من فاعليتها. نحن لا نربي أبناءنا انطلاقاً من عقدنا ومعاناتنا وإسقاطاتنا، فهذا أسلوب فاشل تربوياً، إنما نربي أبناءنا انطلاقاً من مرجعيات قيمية ودينية ونفسية وفسولوجية خاصة.

هذا الكلام يقتضي ألا نعامل الطفل ذا الثلاث سنوات كما نعامل الطفل ذا العشر سنوات، فهناك ما يسمى بمراحل النمو عند الطفل، ولكل مرحلة خصوصياتها التعليمية التي تتوقف على النضج العقلي والجسمي والنفسي لهذا الطفل، والمفروض أن يراعي المربي هذا المستوى العمري ومراحل نمو الطفل سواء داخل الأسرة أو في مؤسسة المدرسة.

إن واجب الآباء أن يتعلموا الأساليب الحديثة في تربية أبنائهم، كما يؤكد على ذلك العالم في مجال التربية النفسية للطفل الدكتور «فيتزوف ديدسون» في كتابه المعروف (كيف نربي أبناءنا؟) عندما يقول: «الأبوة عملية تعلم مستمرة، إذ لا يكفي أن نكون آباء فقط لكي نفهم أطفالنا ونسعدهم، علينا أن نتعلم كل الوسائل التي تصل بنا إلى تحقيق هذا الهدف، لنفترض أننا لم نلعب الشطرنج أبداً، وقررنا فجأة أن نلعبها، من الطبيعي أننا قد نخطئ وقد نصيب، وقد نشعر باليأس وعدم الارتياح ونحن

نمارسها، لكن أليس من الأفضل لو طلبنا مساعدة شخص ذي خبرة وتجربة في هذه اللعبة لكي يعلمنا كيف نلعبها، إن هذا المثال ينطبق إلى حد ما على تعلم كيفية ممارسة فن الأبوة .. إن على الآباء أن يستعينوا بمن هم أكثر منهم خبرة في هذا المجال ليمارسوا دورهم الهام على أفضل وجه».

عالم الطفل في الواقع ليس نسخة مصغرة من عالم الكبار، ولا عالما مركبا من الغاز معجزة. بل هو عالم له خصوصياته المبنية على مفاتيح بسيطة، من امتلكها فهم وتفهم، ومن لم يمتلكها عاش في حيرته وتعب وأتعب من حوله.

هذا وقد يحسب بعض الناس أن جهل الوالدين بأصول التربية الصحيحة سبب سوء سياستهما ومعاملتهما لأطفالهما، غير أن الدراسات الحديثة بيّنت أن النضج الانفعالي للوالدين من أهم العوامل في تنشئة الطفل، فالثقافة والعلم بشروط التربية السليمة لا تنفع الوالدين إن لم يكن لديهما قدرٌ كافٍ من النضج الانفعالي الذي يُعينهما على تحمّل أعباء التربية، وتكاليف تبعاتها، وما تتطلبه من تضحية وإنكار للذات، مع حزم وحب يعطي ولا يأخذ، فماذا تنفع الثقافة ومعرفة أصول التربية مع انفعالٍ حاد وشراسة في الطبع؟

(يجب أن نؤكد على شيئين: العقل والقلب؛ فهما أداتا التربية، إن فقدت أحدهما فقدت التوازن المطلوب، والمقصود بالعقل هو استخدام منهج منطقي وعملي لتربية أطفالك، أو بعبارة أخرى: استخدام مهارات معينة لتغيير سلوك أطفالك، أما المقصود بالقلب فهو أن تحب طفلك حبًا غير

مشروطاً، مع العلم بأنه لا يمكن لأي من هذين الشئيين أن يعمل وحده دون الآخر، لهذا عليك بالجمع بين الاثنين معاً، وسوف يصبح لديك مزيج قوي فعال.

إن كثيراً من الآباء والأمهات أصبحوا اليوم أفضل من السابق في تنظيم أمور أطفالهم بالمقارنة مع تربيته لهم، فالتنظيم: هو مساعدة أطفالنا على القيام بما يستطيعون القيام به، وتحقيق ما يستطيعون تحقيقه، وهو يتراوح بين إدخالهم الحضانة المناسبة عندما يكونوا في الرابعة من العمر حتى التحاقهم بالكلية المناسبة عندما يبلغون الثامنة عشرة، وتعليمهم الرياضة والعلوم المختلفة، واشتراكهم في النوادي...

ولكن هل قمنا من خلال كل هذا التنظيم، بما يكفي من التربية؟ .. إن التربية شيء نقوم به بقلوبنا وعقولنا، وهي تضيق الالتزام إلى المواعيد، والمديح إلى التحفيز، والدفع إلى الضوء، كما أنها تساعدنا في معرفة أبنائنا لتمكينهم من الوصول إلى درجات أفضل^(١).
منارات عملية

❖ الطفل كيان إنساني سليم وليس حالة تربوية منحرفة: المتأمل في نوع التدخل الذي نقوم به تجاه سلوك أطفالنا يدرك مباشرة أننا نتعامل معهم على اعتبار أنهم حالة تربوية منحرفة يلزمنا تقويمها، لا باعتبارهم كياناً

(١) وظيفة بلا مرتب !! موقع مفكرة الإسلام على الإنترنت/ بتصرف يسير
<http://www.islammemo.cc/mostashar/Atfalna/2008/07/16/66915.html>

إنسانيا سليما، كما يقتضيه فهمنا لمعنى «الفطرة» الوارد في الحديث النبوي الشريف.

فنعمل بمقتضى ذلك المفهوم المنحرف على الوقوف موقفا سلبيا ومتسرعا تجاه أي سلوك لا يروقنا ولا نفهمه، فنحرم بذلك أنفسنا من الانسياب إلى عالم الطفل الممتع والجميل.

إن من مقتضيات الإيمان بولادة الإنسان على الفطرة: الاعتقاد بأن الله تعالى قد منح الطفل من الملكات الفطرية والقدرات الأولية ما يؤهله ليسير في رحلته في هذه الدنيا على هدى وصواب، وبذلك التصور سيتحدد نوع تدخلنا في كيانه، والذي يتجلى في وظيفة محددة هي: الإنضاج والتنمية، لا التقويم والتسوية، أي ستقتصر وظيفتنا تجاه الطفل على تقديم يد المساعدة له حتى ينضج تلك الملكات وينمي تلك القدرات.

بل إن من مقتضيات هذا الإيمان، أنه حينما نلاحظ انحرافا حقيقيا في سلوك الطفل، فعلى أن نراجع ذواتنا وننتهم أنفسنا ونلومها ونحاسبها، لأننا سنكون نحن المسؤولين عن تحريف تلك الفطرة التي وضعها الله تعالى بين أيدينا أمانة سوية سليمة، فلم نحسن الحفاظ عليها، ولم نؤد حقها على الوجه المطلوب.. وبذلك سوف نشفى من أعراض النرجسية التي تصيب معظم الآباء، حيث سنتمكن من تطوير ذواتنا باستمرار عن طريق عرضها على ميزان النقد والتقويم. فالطفل كيان إنساني سليم، وليس حالة تربية منحرفة.

❖ الواجب عند الطفل يتحقق عبر اللذة أساسا وليس عبر الألم: خوف الطفل من الألم قد يجعلك تضبط سلوكه ولو لفترة معينة، ولكنك لن تستطيع التعويل باستمرار على تهديده بالألم إذا كنت تريد أن تبني في كيانه قيمة احترام الواجب والالتزام به.

كما لن يمكنك تفادي الآثار السلبية لما يحدثه الألم في نفسيته وشخصيته .. لا تنتظر من الطفل أن يقوم بما عليه القيام به من تلقاء نفسه وبشكل آلي، بل وحتى بمجرد ما إن تأمره به، والسبب هو أن مفهوم الواجب عنده لم ينضج بعد، وهو من المفاهيم المجردة التي ينبغي تنشئة الطفل عليها بشكل تدريجي.

فحينما تأمره أن يقوم بإنجاز تمارينه المدرسية مثلا، فإن استجابته لك لن تتحقق ما لم تربطها بمحفز يحقق له متعة منتظرة، مثل الوعد بنزهة آخر الأسبوع أو زيارة من يحبه.. حتى يرتبط فعل الواجب لديه باستشعاره للمتعة التي سوف يجنيها.

الهدف هو أن يصبح الطفل متعلقا بفعل الواجب قدر تعلقه بتحقيق تلك المتعة، وما يدعم ذلك هو أن الطفل أثناء تنفيذه للواجب فإنه يفعل ذلك بمتعة مصاحبة، كأن يغني وهو يكتب، أو يقفز على رجل واحدة و هو ذاهب لجلب شيء ما.. وعلى أساس هذا الاعتبار تأسست مدارس تعليمية، تعتمد اللعب وسيلة أساسية لتعليم الصغار.

إن تفهم هذا الأمر عند الطفل سيجعل تعاملنا معه أثناء إلزامه بفعل الواجب تعاملًا إيجابيًا وخاليًا من التوتر، فالواجب عند الطفل يتحقق عبر اللذة أساسًا وليس عبر الألم.

❖ الفضاء عند الطفل مجال للتفكير «أي المعرفة»، وليس موضوعًا للتركيب «أي التوظيف»: نرتب الفضاء نحن الكبار ليقوم بوظيفة ما: كأن نرتب القاعة لتكون صالحة لعرض مسرحية أو لإلقاء محاضرة، ونرتب الغرفة لاستقبال الضيوف.. فالفضاء عندنا مجال للتوظيف، ووسيلة توظيفه هي تركيبه.

أما الطفل فإننا إذا وضعناه في الفضاء الذي قمنا بترتيبه فإنه سيحيله إلى فوضى كاملة.. لماذا؟.. لأنه يحدوه هاجس غير الهاجس الذي يحدونا.. يحدوه شغف شديد أن يتعرف على هذا العالم حتى يكون مؤهلًا في المستقبل لتوظيفه، ووسيلته الوحيدة للتعرف عليه هي تفكيكه.

وغالبًا ما ينشأ التوتر بيننا وبين أبنائنا نتيجة عدم استحضارنا لهذه الجزئية الكبيرة.. فلا نعتزف للطفل بحقه في التعرف على هذا العالم، ونرتب الغرفة مثلًا وقد جعلنا المزهريّة الرائعة في متناول يديه، مفترضين فيه أن يراها ولا يمد يده عليها، وإذا حصل ما هو منتظر، وهو أن يمد يده عليها، عاقبناه طبعًا.

إن حق الطفل في التعرف على هذا العالم يظهر في كل حركاته وسكناته، وعليه فنحن مطالبون بأن نشبع حاجته هذه عن طريق إتاحة

الفرص الكافية له كي يتعرف عليه، دون أن يلحق الأذى بنفسه ولا الإضرار بنا.

❖ كل رغبات الطفل مشروعة، وتعبيره عن تلك الرغبات يأتي أحيانا بصورة خاطئة: فدوافعه لا تخرج عن الرغبة في تحقيق الحاجات الحيوية بالنسبة إليه، ومنها: تحقيق الذات، والرغبة في الشعور بالاهتمام والمحبة والأمن، والرغبة في الانتماء .. وغيرها .. لكنه ولأجل تحقيق تلك الرغبات المشروعة، فقد يقوم بأفعال «مزعجة» لنا نحن الكبار:

فقد يباليغ في البكاء كي يعبر عن رغبته في الأكل. وقد يمزق الصحيفة التي بين يديك كي يثير اهتمامك. وقد يستحوذ على ألعاب غيره كي يعبر لك عن رغبته في أن تخصص له ألعابا خاصة به. وقد يرفض الذهاب للمدرسة كي يعبر لك عن رغبته في تحقيق الاحترام الذي يستحقه من قبل المعلمة. وقد يقوم بأفطع الأعمال .. ولكن يبقى السؤال: كيف يكون رد فعلك غالبا؟ وعلى ماذا تركز اهتمامك حينها؟

أغلبنا سوف لا يبالي إلا بالسلوك الخاطئ، ولن يكلف نفسه عناء الكشف عن الرغبة والدافع الذي هو أصل السلوك، ولذلك فرد الفعل المنسجم مع سطحية التركيز على السلوك لن يكون إلا العقاب.

وحينما يفهم الطفل أنه معاقب على كل ما قام به وما أحس به، فسوف نكون مساهمين في إرباك التوازن النفسي لديه دون أن ندري.

إننا إذا ما استطعنا التمييز بين السلوك الخاطئ والرغبة المشروعة، فسوف نحقق مجموعة من الأمور دفعة واحدة، ومنها:

«أولاً»: سنصبح أكثر تحكما في ردود أفعالنا تجاه السلوكيات الخاطئة لأطفالنا، فنعاقب الطفل إذا ما عاقبناه على السلوك الخاطئ لا على الرغبة.

«ثانياً»: سنصبح أكثر تفهما لسلوك الطفل، وبالتالي فسنجد أنفسنا مفتوحين على خيارات أخرى غير العقاب المباشر، ولذلك فقد نكتفي بتنبيه الطفل، أو على الأقل تخفيض مستوى العقاب إلى أدنى ما ممكن.

«ثالثاً»: سنكون بذلك التحكم في ردود أفعالنا وذلك التفهم لسلوك طفلنا مسهمين في الحفاظ على توازنه النفسي.

فكل رغبات الطفل مشروعة، ولكن تعابيره عن تلك الرغبات أحيانا خاطئة.

❖ كل اضطراب في سلوك الطفل مرده إلى اضطراب في إشباع حاجاته التربوية: لا يضطرب سلوك الطفل أبداً لأنه قد انحرف، ولكن لأنه يعاني من جوع فيما يخص حاجة من حاجاته التربوية والنفسية .. هذه القاعدة ينبغي أن تؤخذ باهتمام خاص، لأنك عن طريق استيعابها والاعتناء بها ستوفر عليك جهداً جهيدا لا طائل منه في تعاملك مع طفلك .. ذلك أنه سيكون بإمكانك بدل أن تفكر في أنواع العقاب والزجر إذا ما لاحظت اضطراباً في سلوكه، أن تطرح على نفسك سؤالاً مباشراً: ما هي الحاجة التربوية التي فرطت في تغذيتها حتى اضطرب سلوك طفلي إلى هذا الحد؟ حينها ستجد الجواب بين يديك واضحاً، بل دعني أقول: إنك إن قمت بمعالجة سلوكه بتغذية حاجته، فسيكون لفعلك ذاك أثراً سريعاً وفعالاً، ترى نتائجهُ ولو بعد حين.

فقد يقوم ابنك بتكسير ألعابه وأشياءه -مثلا-، ويضرب أقرانه، وقد تعاقبه دون جدوى، بل قد يزداد عدوانية.

ولكنك لو أدركت أنه: يعاني بكل بساطة من ضيق مجال تحرّكه ولعبه، أو من شعور بإهماله حينما اهتممت بالضيوف ولم تحدثه، أو لم تأخذه بين يديك كما تفعل دائما .. لو أدركت ذلك، لعملت على تغذية حاجة تحقيق ذاته: بأن توسع له مجال حركته، أو ترفع من معنوياته بمزيد من الاهتمام .. حينها ستختفي بسهولة ويسر كل مظاهر العدوانية لديه.

وقد يعاني من شدة الخوف -مثلا-، فيصبح مزعجا جدا، لا يخطو خطوة إلا إن كنت مرافقه وتمسك بيده .. ومن أغرب ما عرفت أن آباء يشبعون أبناءهم ضربا لمجرد أنهم يخافون من الظلام، ولا تكون النتيجة في الابن المسكين إلا أن تتعمق لديه مشاعر فقدان الأمن .. في حين أنك لو علمت أنه يعاني من شعور عميق بفقدان الأمن، إما نتيجة أفلام العنف التي يذمن على مشاهدتها ضمن حصة الرسوم المتحركة، أو لشحك في ضمه والاهتمام به ورعايته، أو لمبالغتك في مراقبته .. لو أدركت ذلك، لعملت على تغذية حاجة الأمن لديه: بأن تنتقي معه ما يشاهده من أفلام، وتهتم بضمه والحنو عليه، ولا تبالغ في مراقبته ومساعدته .. فكل اضطراب في تغذية حاجة الطفل، يؤدي إلى اضطراب في سلوكه.

❖ يعد مفهوم «الذات» جانباً من أهم جوانب الشخصية، ويقصد به الفكرة التي يحملها الفرد عن نفسه.. والطفل في سنوات حياته الأولى لا

يملك طرازاً نفسياً متميزاً يمكن أن يسمى «ذات»، وليس له أي إحساس حولها، فهو يستجيب للبيئة وكأنه كتلة غير متميزة الأجزاء.

ويُعتقد أن الذات لا تصل إلى درجة الوضوح إلا في سن الثالثة، وتأخر إدراك الذات عند الطفل يعود إلى أسباب عدة، منها: ضعف الذاكرة، أو افتقاره إلى قدر من الخبرات الكافية، وقد تعود إلى عجز لغوي.

والفرد غالباً ما يتصرف وفقاً لمفهومه عن ذاته، حتى ولو كان هذا المفهوم يخالف واقع الشخص وحقيقته .. فعلى سبيل المثال: قد يكون ذكاء الفرد عادياً، ولكنه يرى نفسه غيباً، والنتيجة أنه سيتعامل مع نفسه وفقاً لمفهومه عنها (أي أنه غير ذكي) وسيظهر هذا في مواقف مختلفة .. فعندما يشرح المعلم موضوعاً ما، فإنه لن يحاول استيعاب الموضوع؛ لأنه يظن أنه عاجز عن فهمه .. وعندما يعرض أحد مشكلة أو لغزاً أمامه، فلن يحاول التفكير فيه، وقد يكون قادراً لو حاول .. وهكذا نجده يتصرف وفقاً لمفهومه عن نفسه، وليس وفقاً لقدراته الحقيقية.

ومثال آخر: عندما يعتقد الطفل أو المراهق بالأخص بأنه غير مقبول من الآخرين، بينما قد يكون مقبولاً أو عادياً، فمن الواضح أنه سيتصرف وفقاً لمفهومه عن ذاته، وقد ينزوي أو يعزل عن الآخرين، أو يكون عدوانياً معهم.

وعندما يثبت مفهوم الذات، فإن الفرد لن يتأثر كثيراً بالأحداث التي تخالف مفهومه عن ذاته. وإنما سيقوم بتأويلها بما يتناسب مع مفهومه عن ذاته، ففي المثال الأول: لو استطاع الطالب أن يجيب عن سؤال لم يستطع

الآخرون الإجابة عنه، فسيعلل هذا الحدث بأن الآخرين يستطيعون الإجابة ولكنهم لا يريدون ذلك، أو يربط الحدث بالحظ والصدفة.

وتنشأ الأفكار التي تشكل مفهوم الذات من خلال ردود الأفعال الصادرة من الآخرين تجاه الشخص أو تجاه سلوكه .. فالطفل الذي يُكرر عليه الآخرون بأنه جيد وذكي، وغيرها من الصفات الإيجابية، فمن المتوقع أن يتجه في مفهومه لذاته بالإيجابية، بينما الطفل الذي يُكرر على مسامعه بأنه طفل سيئ أو شقي أو غبي وغيرها من الصفات السلبية، فمن المتوقع أن يتجه في مفهومه لذاته نحو السلبية .. وهذا ما أطلق عليه أحد الباحثين اسم «المرآة الاجتماعية»، فالشخص يرى نفسه ويتعرف عليها من خلال انطباعات الناس عنه.

إن بعض الآباء يكثر من وصف ابنه بالصفات السلبية بهدف حثّه وتشجيعه على أن يحسن من وضعه، ولكن يغفل الأب أنه مع تكرار هذه الأوصاف فإن الابن يأخذها فيما بعد على أنها حقائق ومسلمات، فقد يقول لنفسه: إن أبي على حق، فأنا غبي أو عصبي أو جبان..

وينطبق على هذا كثرة المقارنات السلبية بالآخرين، مثل: قول الأب لابنه: لماذا لا تكون كابن عمك الذي حصل على الترتيب الأول؟ أو أخوك الأصغر أحسن منك يعرف هذه المسألة وأنت لا تعرفها.

ولا نقصد هنا ألا يقوم الأب أو الأم بتأديب أبنائهم، ولكن المقصود أن يكون التأديب موجهاً بشكل صحيح .. أي أن نستخدم التأديب الموجه للذات عندما يصدر من الطفل سلوك إيجابي، فبدلاً من أن نقول للابن: «حلك

صحيح» نقول: «أنت فاهم» أو «أنت ذكي»، وعندما يصدر عنه سلوك سلبي فنقول له: «عملك هذا خطأ» ولا نقول له: «أنت ولد سيئ»^(١).

❖ الطفل يتأثر كثيرًا بسلوك المحيطين، حيث يقرر علماء التربية والنفس أن من حاجات الطفل النفسية «الحاجة إلى التقدير». ثم هو يظن في السنوات الأولى من حياته أن كل ما يفعله الناس حوله حسن وعليه أن يقلدهم لينال تقديرهم، وليجد القبول والترحيب منهم؛ لهذا فهو يحاول أن يحاكيهم بالضبط كالمثل تمامًا، ويساعده على ذلك ما أوتي الطفل من قوة المحاكاة لا يقل عن قوة المحاكاة الموجودة لدى الممثل الماهر.. لذا يجب استغلال هذا الاستعداد الموجود لدى أطفالنا بالاستحسان الذي يتناسب مع ما يبذلون من جهد لأعمال حميدة.

❖ عندما نطلب من الأطفال القيام بشيء ما، يفضل عدم استعمال صيغة المفرد، لأن ذلك يشعرهم بالانفصال عنا، ويقطع ذلك الحبل السري الأثيري الذي يربطهم بنا.. فمثلاً: يستحسن أن نقول للطفل في تلك السن: «لنذهب إلى الحمام، ونغسل أيدينا» بدل القول: «اذهب إلى الحمام، واغسل يديك».

الصيغة الأولى يتقبلها الطفل تلقائياً، لأنها تخاطبه على أنه جزء منا فيطمئن، بينما الصيغة الثانية تعامله على أنه منفصل عنا، وهذا ما يثير قلقه وخوفه، فيتوتر ويرفض طلبنا.

(١) حتى لاتخسر الأمّة أطفالها! د. عمر بن عبد الرحمن المفدى أستاذ علم نفس النمو ورئيس قسم علم النفس بجامعة الملك سعود بالرياض .
- نمو الذات عند الطفل د. محمد أيوب شحيمي

❖ من المهم جداً الاهتمام بمهارات التفكير الصحيح لدى الطفل عن طريق طرح مشكلات تتناسب مع عقلية وطلب الحل منه، والحوار معه وسؤاله باستمرار ليتوصل إلى الحلول السليمة بنفسه، ويتعود على الحرية والتفكير المنطقي .. وينبغي ممارسة هذه المهارات في الحياة اليومية مع الطفل، وكذلك في المناهج الدراسية وطرق التدريس .. فالاهتمام بمهارات التفكير يسهم في استثمار طاقات العقل عنده، ويرفعها إلى مستويات عالية تساعد في نشوء طفل ذكي.

ومن مهارات التفكير: التخطيط، تحديد الهدف، جمع المعلومات، تنظيم المعلومات، الوصف، التلخيص، التطبيق، التحليل، الإنشاء، المقارنة، التعرف إلى الأخطاء، التقويم، إعادة البناء، الاستقراء. أما أنواع التفكير فمنها: التفكير الإبداعي، والعلمي، والمنطقي، والناقد.

❖ عندما يحتاج الأطفال إلى الإفصاح عن بعض همومهم ومشاكلهم، على الأب أن ينتبه وألا يتسرع بإيجاد الحل لها .. فمن المهم إعطاء الطفل الوقت الكافي، كي يخرج ما في صدره من هموم ومخاوف وأية مشاعر سلبية سببتها تلك المشكلة، ويمكن بعد ذلك، أن يقترح الأب الحل الذي يراه مناسباً. ومن هنا نرى أن الأولاد يقتربون إلى أهمهم أكثر عند وقوعهم في مشكلة ما، لحسن استماعها إليهم، وإبداء اهتمامها بكل التفاصيل مهما كانت مملة، وهذا من طبيعة ومميزات حواء التي يفتقر إليها آدم، ولكن لا يعني

ذلك عدم استطاعته بالقيام بذلك، فهو يقدر أن يحقق ذلك، ولكن ببعض الجهد والوعي من طرفه، لأن ذلك ليس من طبيعه.

❖ «الوهم» مرض يصيب العقل، ويتحكم في الإنسان من خلال استشارة خيال الطفل في المرحلة الأولى بالقصص المخيفة والأفلام العنيفة، حول الأشباح والعفاريت والجن، وحتى في استعمال البعض للدين بشكل غير صحيح لإثارة خيال الطفل حول ما سيلاقيه في القبر من الأفاعي والعقارب التي تنهش جسده أو العقاب في النار الحارقة .. في حين أن الدين مصدر أمان للأفراد، وملجأ حصين لهم، وما جاء في الدين من أنواع العقاب ليس لإثارة خيال الأطفال بالمخاوف، وإنما لأجل دفع الأفراد الكبار نحو جادة الصواب، بخوفهم من ظلم الآخرين، والاعتداء على حقوق الأفراد، وكسلهم من أداء حق أنفسهم عليهم.

فليس من الصحيح أن نخوف الطفل من عقاب الله على كل خطأ وفعل سيئ يصدر منه، وبالمقابل لا يملك الطفل أي صورة حسنة عن الله في كونه يحبنا ويرحمنا ويعطف علينا ويحنو على صغارنا، وأنه تعالى في حبه لعبده ورحمته تفوق مئات المرات حب الوالدين ورحمتهم بأولادهم، لأن رحمتهم وحبهم جزء من تلك الرحمة الواسعة، ودائما يكون الجزء أقل من الكل .. إن الله سبحانه لا بد أن يكون للأطفال وخصوصا في عمر ٧- ١٤ سنة مصدر أمان لهم، فإذا مس التشويه ذلك المصدر الآمن بحيث أصبح مصدرا مخيفا لا بد من اتقائه .. هنا تكون البلية والبلبلية النفسية في حالة من الاضطراب والقلق القاتل.

❖ التدين ظاهرة فطرية لدى الطفل، ومن خلال هذه الخاصية، وإضافة إلى خاصية سهولة تقبلهم أقل شيء في هذه المرحلة، فإن تنمية مجموعة من المفاهيم الدينية المناسبة أمر سهل، وبخاصة أنهم يملكون الاستعداد لتقبل تلك العناصر الدينية.

وإذا كان التدريب، والتعويد، والتكرار، لهم دورا فعالا في تكوين وتنمية مفاهيم الدين لدى الطفل، فإنه ينبغي على المربين أن يقوموا - وبخاصة الأمهات والمعلمات - بتكرار السلوكيات المرغوبة أمام الأطفال، ويطلبوا من الأطفال أدائها حتى تثبت، وتصير لديه عادة .. ثم بوصول الطفل إلى سن الرابعة يبدأ في توجيه مجموعة من الأسئلة ذات المضمون الديني، وينبغي استغلال حاجة الطفل لاستطلاع هذه الإجابة في تقديم إجابات شافية، من خلال المفاهيم الدينية المناسبة له، والتي ترد على أسئلته.

❖ حين يشعر الطفل بأول انطلاقة لساقيه، يشعر بأول قدرته على الاستقلال عن الأم؛ فيبدأ في تدعيم هذا الشعور واختباره، ومع ذلك يعود للالتصاق بأمه خوفا من فقدانه لحمايتها وعطفها وحنانها، وهذا يتطلب من الأم أن تحتويه بعطفها وحنانها، وتكثر من لحظات المرح ومشاركه الألعاب والأشغال، فمثلا: بدلا من تركه في الغرفة وحيدا، خذيه معك للمطبخ، واجعلي له كرسيًا آمنا، وضعي له عليه قطعة من العجين ليشكلها، واحكي له عن كل شيء تصنعيه، وعرفيه على المواد المختلفة والخضراوات ليشاركك الاهتمام، ويتعلم في ذات الوقت، وتوظف طاقته

في المفيد، ويمكن أن تجعله يشاركك التنظيف بإعطائه فوطة وتعليمه كيف يمسح المنضدة في دوائر يسعد بأدائها ويتعلم .. وعموما ينبغي أن تجعل بيتك صديقا لابنك، فتكفي البيت علي الطفل، لا تكفي الطفل علي البيت .. أحسنني غلق الأدراج، أو انزعي مقابضها، وأخفي ما تخشين عليه، وخصصي له كراسة وألواناً، فإذا طلب أوراق والده، فقولي له بدعابة: هذه كراسة فراشتي، واستمتعا معاً بالشخبطة، وعلقي رسومه على الثلاجة وعلى الأبواب.

❖ الزمن عند الطفل زمن نفسي وليس زمنا اجتماعيا.. إننا نعتمد نحن الكبار في تحديد الزمن على ما تعارفنا عليه من وسائل تطورت عبر العصور إلى أن وصلت إلى «الزمن الكرونولوجي»، الذي يعتمد اليوم على الأجزاء المجزأة من الثواني، وهو في كل مراحلهُ يُعتبر زمنا اجتماعيا .. في حين أن مفهوم الزمن عند الطفل هو أيضا من المفاهيم المجردة التي يلزمه وقت كاف لاستيعابها والانضباط إليها والعمل ضمنها. والزمن الوحيد الذي يعمل الطفل وفقه هو الزمن الذي يحسه هو حسب متعته أو ألمه .. فإذا كان مستغرقا في اللعب – مثلا - فإنه يعتقد في قرارة نفسه أن الكون كله سيتوقف احتراما لتمتعه بلعبه ذاك، فلا حق لأي أحد كان - حسب إحساسه - أن يشوش عليه متعته تلك. ولذلك نؤكد على ضرورة استحضار هذا الأمر أثناء إلزام الطفل القيام بواجب ما في وقت ما، وذلك بمساعدته للخروج تدريجيا من زمنه النفسي إلى زمنك الاجتماعي .. فإذا كان الطفل مستغرقا في اللعب –مثلا-، وكان عليه أن

ينتهي منه على الساعة الخامسة لينجز واجبا ما، فما عليك إلا أن تنبهه إلى ذلك قبل الموعد بعشر دقائق على الأقل، وإذا كان لديك الوقت الكافي فشاركه فيما يقوم به، حتى تدخل معه زمنه النفسي ثم تخرجه منه شيئا فشيئا.

❖ الأطفال يحترمون ويحبون ذلك المعلم أو «مشرف النشاط»: المهندم الوسيم، وفي الوقت نفسه البسيط في ملابسه .. المبتسم البشوش ذا النظرة الحانية والصوت الخفيض المملوء بالحب، وليس معنى ذلك الذي يكثر من تقبيل واحتضان الأطفال، بل لا بد أن يكون ذلك بقدر.. المصغي لهم المحترم لعقولهم.. الحيوي النشط المتحمس لما يقوم به.. المهتم بما يقولون وما يقترحون.. الوقور الحازم الذي له هئية في غير قسوة أو جفوة.. الذي يعزز ويشجع بالنظرة وبالاتسامة.. الذي لا يكثر من المكافآت المادية، بل يجعل الأطفال يشعرون بأن نظرة العطف والتقدير لهم، أعلى وأعز عليهم من الهدية المادية.. المنظم الفكر والأداء.. الواثق من نفسه ومن عمله ويقوم به بحرفية ومهارة.

❖ المساحة التي تفصل بين جسم الأب وجسم الابن الوليد منذ الشهر الثالث تمتلئ بلغة أخرى غير الكلمات .. إنها لغة الإحساس مباشرة. وإذا كان هذا هو حال العلاقة بين الوالد والطفل، فما بالنا بعلو لغة الإحساس بين الأم ووليدها.. إن الأطفال لا يرضعون بأفواههم فقط، ولكنهم يرضعون العلاقة العاطفية أيضاً من الأب والأم عن طريق النظرة واللمسة والإحساس.

ولذلك لا داعي للنفاق مع الأطفال، بمعنى أن لا داعي لأن تظهر
خلاف ما تبطن من علاقتك بابنك.
إن حالة النفاق التي تقول فيها عكس ما تحس تنتقل إلى مشاعر ابنك
بطريقة غريبة .. إنه يحس أنك تحبه بصعوبة، فيتصرف مع العالم بتقبل
الحب بصعوبة .. إنه المرأة العاكسة لمشاعرك، فضلاً عن أنه مغزول
وراثياً منك ومن أمه. ومن الأفضل أن تكون واضحاً في علاقتك مع ابنك
وأن تنظر إليه بانفتاح عاطفي.

خطوة بخطوة

❖ يمر الطفل بمرحلة صعبة من حيث نموه الانفعالي، في فترة الخروج من مرحلة المهد والانتقال إلى مرحلة الطفولة المبكرة، وهي مرحلة مليئة بالمشاكل نظرا لتحديات واجبات النمو التي على الطفل أن يواجهها: فعليه أن يمشي بعد أن كان يُحمل، وعليه أن يتعلم التحكم في إخراجِه ونزع الحفاض، كما عليه أن يتعلم المهارات الاجتماعية.. وكل ذلك يحتاج إلى جهد انفعالي كبير، فيشعر الطفل بالضغط وبعدم الارتياح، وخصوصا إذا كان عصيبا، وبكاؤه في هذه الحالات أمر طبيعي، ولكن قد تتداخل أسباب أخرى فيخرج الأمر عن حده الطبيعي ويصبح مشكلة، وخصوصا إذا لم يحسن الأبوان التصرف.

من هذا المنطلق لابد أن نحذر ابتزاز الطفل، واستخدامه للصراخ ليلفت انتباهنا، وكلما أراد الحصول على شيء صرخ وبكى حتى نذعن لرغباته، فإذا تأكدنا من حصوله على كل حاجاته الأساسية - كالنوم والطعام والحاجة إلى الحب والأمان واللعب - ومن عدم شعوره بأي ألم؛ فلا بد من الحزم، وأن لا نسمح له باستخدام الصراخ كسلاح فندخل في دوامة لا تنتهي .. بل من الأفضل أن نتركه يبكي بكل بساطة، ونحافظ على هدوئنا، وننشغل عنه لكن دون أن يغيب عن أعيننا، ودون تدخل طرف آخر كالجدّة مثلا، ولا نخاف فلن يؤذيه البكاء ولن يخنق حتى لو رأينا أن تنفسه متقطع.

❖ مع بداية العام الثاني للطفل، تبدأ شخصيته المستقلة بالتكون، وعلى الأسرة أن تعامله كأحد أفرادها من خلال توفير الحاجات المادية الأساسية له، مثل: السرير، اللعب، الملابس. وبذلك يبدأ الطفل بتكوين فكرة أولية عن ذاته من خلال الحاجات المادية الملموسة العائدة له، وتبدأ أيضاً شخصيته المادية بالتكون.

كذلك نعمل على تكوين الجانب المعنوي لهذه الشخصية، من خلال مناقشته في شؤونه الخاصة وعدم فرض الرأي عليه، بل تعليمه وإقناعه بما هو مطلوب منه وبما يدور حوله، فمثلاً نقول له: هل تريد أن تأكل؟ هل تحب أن تلعب؟.. أي أننا نستعمل صيغة الاستفهام، وليس صيغة الأمر، مثل: تعال، اجلس، اذهب، نم. ويأتي دور الأهل هنا من خلال تمضية الوقت الكافي مع أطفالهم وحثهم وتشجيعهم على اللعب والنطق، وهذا يساهم في نموهم الذهني والاجتماعي، ويزيد من استقلاليتهم واعتمادهم على أنفسهم.

إن طفل السنتين هو - كما يسميه علماء التربية - في مرحلة الطفولة المبكرة، ويتميز النمو في هذه المرحلة بمميزات عامة من أهمها: النشاط الحركي المستمر، واللعب الإيهامي، وتمتاز حركات الطفل خلالها بالشدة والتنوع والسرعة في الاستجابة واطراد الحس، واللعب في هذه المرحلة يكون فردياً وفي جملته خيالياً، ويكون الطفل غير مدرك لعواقب ما يفعل؛ حيث لم تتبد له العلاقة بين السبب والنتيجة حتى الآن؛ لذلك المسؤولية تقع

على كاهل الوالدين من حيث توفير البيئة المناسبة لتحرك الطفل، أي إبعاد كل ما من شأنه أن يؤذيه أو يسبب إيذاء لمقتنيات الأسرة.

وهي مرحلة سرعة النمو اللغوي أيضاً، فعلى بكثرة التحدث معه، وسرد القصص عليه مع تكرارها.

كما يميل الطفل في هذه المرحلة إلى الاستطلاع بصفة عامة، ومعرفة ما يدور حوله وفهم الخبرات التي يمر بها، لكن من المهم أن نتفهم أن انتباهه في هذا العمر قصير المدى وعلى عدد قليل من المواضيع، وبالتالي نحاول التركيز معه على معلومة واحدة كل مرة حتى نتأكد أنه استوعبها.

❖ لا ينبغي بأي حال من الأحوال الاحتفاظ بطفل سن الثالثة في البيت، ذلك أن مكانه الطبيعي هو «الروضة»؛ لأن أطفال اليوم ينضجون في سن مبكرة، ومن شأن قضاء الروضة أن يمنحهم أشياء يعجز البيت مهما كانت إمكانياته عن توفيرها؛ فالروضة توفر للطفل محيطاً اجتماعياً يوجد فيه أطفال في سنّه، بوسعه الشعور بالأطمئنان خلال التعامل معهم، وهذا يختلف عن تعامله مع الكبار في الأسرة، حيث يشعر دائماً بنقصه وضعفه تجاههم.

كما أن محيط الروضة يساعد - من خلال مختلف أنشطته - على تنمية حواس الطفل وشحذها وتهيئتها للتعلم من خلال ملامسته لمختلف المواد وتمييزه للألوان والأحجام والطعوم والروائح.

كما يتعلم الطفل في الروضة كيف يتخلص بالتدريج من السلوك المتسم بالأنانية وحب الذات عن طريق اقتسام اللعب مع غيره، والمشاركة

في الألعاب الجماعية، ومقاسمة طعامه مع غيره من الأطفال .. إلى غير ذلك من أنواع السلوك المساعد على تنمية شخصية الطفل.

❖ التركيز على القراءة والتحفيز والتلقين أهم من الكتابة في مرحلة الروضة، بما يعني غرس حب القصص والحكايات والأناشيد، والظفر بطريقة محبة بما تيسر من كتاب الله وبعض الأحاديث النبوية الميسرة في الآداب والأدعية، وتصفح كتب الأطفال الجذابة بصورها وألوانها، وإعطاء القدوة من الأبوين في مصاحبة الكتاب وملازمته أمام أعين الطفل، والقراءة له ومعه حتى تصبح القراءة عادة يومية ممتعة وشيقة ولو لدقائق قليلة.

❖ تأثير الآباء وتربيتهم في المرحلة العمرية من الميلاد إلى السادسة أقوى من أي تأثير دخيل آخر، حتى لو كان تأثير الأقارب، وما يتلقاه الطفل في هذه المرحلة داخل البيت أعمق مما يتلقاه من أي فرد أو جهة أخرى؛ وبالتالي فالتحجيم على أولادنا من التأثير السلبي للآخرين ليس أمراً صحياً، بل الأفضل أن نعلمهم كيف يتصرفون مع المواقف التي تختلف مع أسلوب تربيتهم بالبيت.

❖ يسيطر على الأولاد وحتى سن التاسعة شعورا قويا بالارتباط بأهلهم، وخاصة بالأم، وكثيرا ما نراهم يتبعون خطوات أمهاتهم أينما ذهبن، فهم لا يشعرون بالأمان بعيدا عنهن، بل قد يسيطر عليهم القلق والخوف أحيانا إلى درجة تدفعهم للبكاء، خاصة عندما يخرج آباؤهم وأمهاتهم ويتركونهم مع المربية أو مع أحد الأقارب، والسبب في ذلك هو

أنه لم يتبلور لديهم بعد الشعور الكافي بالاستقلالية الانفصال، وكأنه مازال هناك حبل سري إضافي وغير مرئي، يربط الطفل بأمه لتغذية شخصيته ونفسيته بالأمان والحب.

لذلك وعندما يحتاج الابن الصغير أن يذهب إلى الحمام مثلا، يسأل أمه أن تصاحبه، وقد تشجعه أمه لكي يذهب وحيدا، ولكنه يرفض بإصرار، ويكرر طلبه أن تصاحبه أمه، وإذا ما سئل عن السبب، فإنه لا يرد لأنه لا يعرف الجواب، أو قد يقول أنه يخاف! وإذا ما سألناه عما يخيفه، فهو لن يجيبنا، لأنه يجهل السبب، ولا يدرك أن خوفه هذا ناتج عن عدم شعوره بالأمان بعيدا عن أمه، وليس له علاقة بالحمام أو بأي مكان آخر بعيد عن عيني أمه.

لذا وفي تلك المرحلة من العمر، علينا الانتباه إلى الطفل وإعطائه الاهتمام اللازم والضروري لاستقراره النفسي.^(١)

(١) من مصادر البحث
- المفاتيح السبعة لفهم عالم الطفل الأستاذ ماهر الملاخ باحث في المجال التربوي
- تربويات د. هاني السباعي

مراحل نمو طفلك .. تصرف بحكمة

هذه المراحل هي خصائص عامة ربطنا بين كل منها وبين العمر الذي تظهر فيه. وبما أن لكل طفل وتيرة نمو خاصة به، فإن هذه الخصائص يمكنها أن تسبق العمر المذكور أو تأتي بعده .. استخدموا هذه الإرشادات لكي تتعرفوا على طبيعة كل مرحلة من مراحل النمو، مع الانتباه دائماً إلى أن الطفل يمكنه - وإن كان سلوكه طبيعياً - أن يحتاج إلى تربية انضباطية من شأنها أن تضمن له ولكم كامل الارتياح الذهني والعاطفي.

من عمر سنة إلى سنتين

- يستكشف محيطه.
- يأخذ كل يوم قيلولة طويلة.
- يلهو وحده خلال فترات قصيرة.
- يستكشف جسمه.

من سنتين إلى ثلاث سنوات

- يركض، يتسلق، يسحب، يكون شديد الحيوية.
- فخذاه ملتويان نحو الداخل.
- يأكل بأصابعه أو بالملعقة، يستطيع استخدام الفنجان ليشرب.
- ينزع وحده بعض قطع ملابسه.
- يستكشف أعضائه التناسلية.

- ينام أقل، يستيقظ بسهولة.
- يحب النشاطات الروتينية.
- يضطرب إذا أمضت أمه الليل خارج المنزل.
- يريد القيام ببعض الأمور بنفسه.
- عنيد ولا يعلم ما يريده، غالباً ما يغير رأيه.
- يمر بنوبات غضب، وبتقلب في المزاج.
- يقلد الكبار.
- يلعب بحضور أطفال في مثل سنه، لكنه لا يلعب معهم.
- ليس قادراً بعد على مشاركة الآخرين بأغراضه، ولا على الصبر وانتظار دوره والتنازل لغيره عن حق من حقوقه.
- يحب اللعب في الماء.
- يطيل فترة «الوداع قبل النوم».
- يستخدم كلمات بسيطة، يركب جملاً قصيرة.
- يكون سلبياً، يرفض الكثير من الأمور.
- يفهم أكثر مما يستطيع التعبير عنه.
- من ثلاث إلى أربع سنوات
- يركض، يقفز، يتسلق.
- يأكل وحده، يستطيع استخدام الكوب للشرب بشكل جيد.
- ينقل الأشياء دون أن يقلبها.

- يمكنه أن يرتدي وأن ينزع بعض قطع الملابس (سترة – بنطلون....).
- لا ينام في قيلولة بعد الظهر، ولكنه يلعب بهدوء في هذا الوقت.
- يراقب الكبار، ويسعى للحصول على رضاهم.
- يؤثر فيه عدم رضا الآخرين على ما يفعله.
- يتعاون، ويحب تقديم خدمات بسيطة.
- وصل إلى مرحلة يريد فيها المشاركة بكل شيء، ويحب أن يؤخذ بعين الاعتبار.
- فضولي تجاه الأشياء والأشخاص.
- له مخيلة نشيطة، يخاف من الظلام ومن الحيوانات.
- يمكن أن يكون له رفيق خيالي.
- يغادر سريره أحياناً خلال الليل.
- يحب أن يتكلم، يركب جملاً قصيرة.
- يمكن أن ينتظر دوره، يتمتع بشيء من الصبر.
- يمكن أن يتحمل مسؤوليات معينة (ترتيب ألعابه مثلاً).
- يلهو وحده بشكل جيد، ولكن قد يحدث كثيراً من الضجيج في الألعاب الجماعية.
- متعلق بأحد الوالدين (من الجنس الآخر).
- غيور، خصوصاً من المولود الجديد.
- تظهر عليه أمارات الشعور بالذنب.

- يعبر عن شعوره بفقدان الأمان، وينتحب ويبكي ويطلب أدلة على أنه محبوب.
- ينفس توتره عن طريق مص إبهامه أو قضم أظافره.
- يعبر عن نفسه.
- من أربع إلى خمس سنوات
- ينمو ويكبر باستمرار.
- يستمر تحسن التناغم بين حركاته.
- يكتسب عادات حسنة في الأكل والنوم ودخول المرحاض لقضاء حاجته.
- يكون نشيطاً جداً.
- يبدأ بنشاطات لا يكملها دائماً.
- يحب توجيه الأوامر، ويتبجح.
- يلعب مع الآخرين، ويثبت ذاته في الوقت نفسه.
- يثير مشاجرات لا تدوم طويلاً.
- يتكلم بوضوح، يصبح خطيباً جيداً.
- يروي قصصاً، ويبالغ في رواياته.
- يستخدم كلمات مبتكرة ومضحكة للإشارة إلى دخول الحمام لقضاء حاجته.
- يخترع كلمات طويلة بلا معنى.
- يضحك، يقهقه.

- يتلأأ وبتبأأ.
 - بعتسل عئءما بطلب إلبه ذلك.
 - بسأل: «لماذا؟» و «كبف؟».
 - بمتلك آبالاً واسعاً.
 - ببءب تبعبب لأقرانه.
- بعء السن الآمسة المتزنة الهاءة البب ببءو فبها الطفل؁ ءابء السلوك؁ وائقاء ببفسه؁ آسن التكبف؁ ملتزماً الأعراف والتقالبء المتبعبب فب مآبفه العائلب؁ ءأبب السن الساءسة لآآول هءوء الطفل وائزانه إلبب قلق واضطراب وصآب؁ وءسوء علاقاته بأمه؁ وبقلق الأهل من آببء ساعب برون ولءهم بعوء إلب مربة سلبلب شببهب بمربة السنءب؁ مع فارق فب العنف والآبوبة والءمرء والنقاش؁ وآب ءوسبع ءائرة آركاءه واكتشافاته؁ بآءمه فارق السن ببب المربآبب؁ مع ما برفاقه من زبابة فب النضآ والنمو والآبرة.
- ولا عآب فكلما ازءاء نمو الطفل؁ ازءاءء نزعبه إلب الاستقلال وءآطبم الأغلال البب ءقببءه؁ وازءاء من ناحبب أخرى آوفه من هءب الآربب؁ ومن قءع تبعببته لوالءبه ولمآبفه؁ لأن مآل هءا القءع بآرمه الآمابب والمساءءب والنصح؁ وبشعره بالقلق وعءم الطمأنببب والأمان.
- إن هءا العمر هو عمر ءوسعب؁ ولكنب فب الوقت ذاءب امءءاء لمراآل من العمر سابقب؁ لا انفصال ببب آلقاءبها ولا انقطاع.
- آصائص طفل الساءسة

- القدرة على اكتساب العادات الاجتماعية.
- القدرة على الإدراك والفهم.
- زيادة الحصيلة اللغوية.
- القدرة على استعمال جمل كاملة.
- القدرة على فهم الأجزاء المتداخلة في اللغة كالضمائر وحروف النداء.
- يستخدم الأرقام دون فهم معناها أو محتواها.
- القدرة على التحلي بالآداب الخلقية كالترسامح، والصدافة، والمساواة... الخ.
- لا يصبر في الطوابير أو الدور الطويل (على المعلمين مراعاة ذلك).
- يحب اللعب الخشن والفوضوي.
- شديد التعلق بأسرته ومنزله.
- يفرح كثيراً بالنزهات العائلية (ينبغي على الوالدين تحديد يوم أسبوعي قدر الإمكان للخروج مع الأولاد خاصة في هذا السن).
- يسعد كثيراً عندما يلعب معه والده.
- يعتبر كلام والده صحيحاً ولا يحتمل الخطأ.
- القدرة على الإبداع.
- يحب المساعدات والتدخل.

- يتميز بفترة انتباه قصيرة (٩٠ ثانية تقريباً) ..على الوالدين والمعلمين مراعاة ذلك، وعدم إجبار الطفل على الاستماع والتعلم بدون فواصل زمنية.
- يتراوح اندفاعه العاطفي بين النهايات (نهاية الحب، ونهاية الكره) بمعنى أنه قد يعلن لشخص ما أنه يحبه كثيراً، وبعد زمن يسير يعلن بغضه لنفس الشخص.
- لم يعد يرى «أمه» بأنها مركز عالمه كما هو الحال في سن الخامسة؛ بل يريد أن يكون هو نفسه مركز عالمه «يميل إلى الاستقلال».
- يريد أن يكون محبوباً أكثر مما سواه (ينتبه إلى ذلك الوالدان عند التعامل مع إخوانه، كما يراعي المعلم ذلك، فلا يفضل طفلاً على الآخرين، أو يعلن حبه لطفل دون سواه؛ لأن ذلك قد يورث الحقد).
- يريد أن ينال الحصة الكبرى من كل شيء.
- كثير المطالب، وكثير التشدد في مطالبه.
- يحب أن يكرر الحركات والأنشطة المعروفة التي يمكن إتقانها.
- يظهر الجدية أحياناً.
- يصعب عليه تقبل النقد، أو اللوم، أو العقاب.
- يحتاج كثيراً إلى المديح والثناء (يحرص الوالدان والمربون على مدح أفعال الطفل أكثر من ذاته).

- يحب - بل ويصر - أن يفعل الأشياء على طريقته هو، لا على طريقة والديه، أو إخوانه، أو زملائه.
- يظهر الحماس والتعاطف إذا سارت الأمور على ما يروق له، وإذا حدث العكس انقلب الأمر إلى بكاء وصراخ في الغالب.
- الطفل في هذه المرحلة يستجيب جيداً للسلطة الضابطة (المدرسة، النظام، العقوبة...الخ).
- يحب كثير من الأطفال أن يترك لهم بعض الوقت قبل النوم للتلوين أو القراءة من قبل الوالدين.
- استجابة الطفل في هذه المرحلة للأوامر بطيئة.
- الطفل في هذه المرحلة ضعيف السيطرة على الحركات الدقيقة.
- في مثل هذا السن تختفي مشاكل كثيرة منها رفض الطعام.
- يختفي في هذا السن النوم المتقطع.
- الطفل ينفس عن توتره في هذه المرحلة بعدة طرق منها:
 - السخرية من الآخرين.
 - إصدار أصوات من الحلق.
 - قضم الأظفار، ومد اللسان.
- من أكثر الأشياء التي تخيف الطفل في هذا العمر ما يلي:
 - الخوف من الضياع (يحرص الوالدان على إحضار الطفل من المدرسة، ولا يتركه يرحل منفرداً، لاسيما في البداية).
 - الخوف من الظواهر الطبيعية (الرعد، البرق،...الخ).

○ الخوف من النوم وحيداً.

○ الخوف من الجروح الصغيرة والدم.

- الفضول الجنسي: في هذه المرحلة يحب الطفل -حتى الولد- أن يكتشف جسده، وجسد رفاقه صبياناً وبنات .. لذلك نراه مرات كثيرة يراقب هؤلاء، أو يتعري معهم، فيأخذ كل منهم يفحص بدقة واهتمام جسم رفيقه. وهكذا يعرف كل منهم إلى أي جنس ينتمي، ويكتشف الفوارق الجسدية بين الجنسين، فتكثر أسئلته حول هذه الفوارق وأسبابها، وحول كيفية تكون الأطفال وولادتهم. فلنحب الولد بصدق عن جميع أسئلته. ولنحرص على جعل أجوبتنا واضحة ومقتضية. ولا نخش من عدم فهمه لها. فهو إذا لم يقتنع، أو لم يفهم، فسيظل يطرح السؤال تلو السؤال، حتى يقتنع أو يمل. ولا مانع لشرح هذه الأمور بوضوح من الاستعانة ببعض الكتب المصورة، والمعدة لهذه المرحلة من العمر. ويجب ألا تقلقنا كثرة أسئلة الطفل، حتى ولو كانت محرجة. فهو يسأل عن أمور الجنس بكل براءة، وشوق إلى المعرفة، كما يسأل عن كيفية سقوط المطر، ونمو النباتات والأزهار، أو عن المكان الذي تذهب إليه الشمس، بعد غيابها. فإذا لاحظ على وجوهنا أمارات الخجل، أو الحرج، أو الاستغراب أو أية ردة فعل غاضبة، فإنه يظن أن جميع أمور الجنس غير نظيفة، أو محرمة، وهذا ما يزيد فضوله لاكتشاف كنهها ومعرفة أسرارها. وقد يستعين برفاقه

ليميطوا له اللثام عن وجهها. لكن رفاقه غالباً ما يضلّونه، لأن معرفتهم في معظم الأحيان لن تكون أوسع من معرفته، ولا أقرب إلى الصواب.

ومجمل القول أن أزمة السنة السادسة أكثر عنفاً وأوسع مدى، بسبب زيادة نضج الولد، ورغبته في الاستقلال وزيادة الاعتماد على النفس، وتوسيع نطاق علاقاته بالعالم الخارجي، وفي اكتساب خبرات جديدة. لذلك نراه يحاول أن يدس أنفه في كل شيء، ويصبح صعب التكيف، لا يتحمل النقد واللوم والعقاب، ويهوى المديح. فهو يريد أن تجري الأمور حسب الطريقة التي يختارها، وأن يخضع الآخرين لرأيه وأمره. فإذا تمّ له ذلك وسارت الرياح حسب ما تشتهي سفينته، يصبح رضيعاً، عطوفاً، متحمساً للخدمة. أما إذا حاول أحد أن يحرّمه ما يرغب فيه، فإنه يهاجم بوقاحة وعنف كل من يقف في طريقه. فهو متهور ومغامر، وشديد الثقة بنفسه، لا يخشى المصاعب، بل يجابهها، ويواجه مسببها بلا هوادة، ويحب أن يتحرر من وصاية الأسرة، ليأخذ مكانه تحت الشمس.

ومع أنه يظل في أعماق أعماق نفسه يحب والديه، ويشعر بعاطفة بنوية تجذبه إليهما، فإنه ينزعج إذا عومل كدمية، ويرغب في أن يعامل كشخص مميز، له مكانته واعتباره، وقد يبلغ به هوى الاستقلال حداً يجعله يحترم آراء بعض الراشدين، أكثر من احترامه لرأي والديه، وعبثاً يحاول والده أن يصحح خطأ، قد يكون المعلم وقع فيه، سهواً أو جهلاً، فإن ولده يأبى أن يعترف لأبيه بسداد الرأي، وبمعرفة تعلو على معرفة معلمه، ولو

كان أبوه من المشهود لهم بالعلم وسعة الاطلاع .. بعكس ما كان عليه في المرحلة السابقة، إذ كان يعتبر أبويه معصومين عن الخطأ، ويحسب كلامهما آيات منزلات، وإرشاداتهما دستوراً لسلوكه وتفكيره.

وأهم ما يجب أن ينتبه الأهل إليه في هذه المرحلة يتلخص في ما

يلي:

١ - بلوغ الولد حداً من النضج الجسدي والعقلي والانفعالي والاجتماعي يسمح له بالتعلم الجدي.

٢ - بدء تكون الضمير الأخلاقي عنده. وقبل ذلك كان ما يرضى عنه الأهل هو الخير، وما لا يرضيهم هو الشر .. أما اليوم، فلم يعد رضا الأهل أو حكمهم هما وحدهما المقياس للخير والشر، بل يضاف إليه حكم المعلم والرفاق، ومن هم أكبر منه سناً، وحكمه الشخصي .. وبما أن كل شيء في بدايته يكون هشاً، فهكذا يكون ضمير الولد، في هذه السن. فأقل هفوة يعتبرها ذنباً كبيراً، ويؤنبه ضميره عليها تأنيباً شديداً.

فعلينا ألا ننضم هفوات الولد في عينيه، إذ يكفيه ما يعاينيه من وطأة الشعور بالذنب.. إن كثيراً من الأهل يلاحقون الولد، بالتقريع المستمر اللاذع، بمثل هذه التعابير: «كم أنت شرير!»، «لعنة الله على الساعة التي ولدت فيها!.. إلى آخر هذه السلسلة السوداء من التعابير التي تضعف ثقة الولد بنفسه، وتجعله يشعر بأنه مرفوض ومكره ومذنب.

وشعوره المستمر بالذنب يسيء إلى نموه بشكل سوي، ويكون مثار عذاب له، عندما يصبح راشداً، ويمنعه من السمو إلى درجة الشعور الصحيح بالمسؤولية.

إن التربية لا تعني التأثيم، فمن أهداف التربية تنمية معرفة الولد وإرادته، حتى يصبح قادراً على تمييز الخطأ، وتجنبه أو الإقلاع عنه.

٣ - الولد يشعر بحاجة إلى إثبات الذات، وإثبات الذات قد يفترض الرفض. وهذا أمر طبيعي يجب ألا يثير حنقنا وقلقنا .. فعلينا أن ننمي إثبات الذات في نفس الولد، بشكل سليم، لأن أهم تركيب في البنية الأساسية للشخصية هو رأي الولد في نفسه. وهذا الرأي يقرر نجاحه أو إخفاقه في المستقبل.

فولد يعتقد في قرارة نفسه أنه مرفوض وعاجز عن عمل أي شيء مفيد، يهرب من العمل، قبل الإقدام عليه، أو عند أول صعوبة تعترضه. وماذا يرجي من ولد هذه حاله؟ هل يمكنه أن يصبح رجلاً يعول عليه؟ أما الولد الذي يشعر بأنه محبوب، ومقبول، فيغالب الصعاب في سبيل الوصول إلى أهدافه.

وقد يستدعي الرفض عند الولد اصطدامه بالرفض. فالمجتمع الذي نعيش فيه يتضمن من المحرمات والنواهي، أكثر مما يتضمن من الأمور المحللة. وكلمة «لا» تلاحق الولد منذ شهوره الأولى. فحيثما اتجه ترافقه كظله، ابتداء من فتح الخزائن، إلى لمس الكتب والمجلات، والأواني المنزلية على اختلافها .. وكثيراً ما يرددها بلذة ظاهرة، لأنه يتاح له

بواسطتها أن يفرض إرادته على محيطه، أو يقف متأملاً في أسباب هذه النواهي، وفي الموضوعات التي تتناولها. وهذا ما حمل الأستاذة (ألين Alain) على القول: «التفكير هو أن يقال: لا».

٤ - الولد في هذا العمر يحب توسيع دائرة تحركه. لذلك يغادر البيت مرات عديدة في اليوم، ويقضي وقتاً طويلاً خارجه، ويحاول جهده أن يكتسب الأصدقاء. فعلى الأهل أن يساعده على إقامة علاقات صداقة مع الآخرين، وعلى معايشة مَنْ هم في مثل عمره، وألا يمنعه من مماشاتهم في طرائق لبسهم، ومشيهم، وتعبيرهم.. الخ، لأن منعه عن ذلك يعني عزله عن محيطه الاجتماعي، وجعله أضحوكة بين رفاقه، ونعته بالرجعية، والحيلولة دون إفادته من خبراته الشخصية، ومن تحمل نتائج أعماله وتصرفاته، شرط أن يظل الولد ضمن حدود المعقول والمقبول اجتماعياً. وإذا عجز الولد عن اكتساب الأصدقاء، فعلى الأهل مساعدته في هذا السبيل، لأن إخفاقه في عقد صداقات مع الغير، يؤثر تأثيراً سيئاً في تكيفه الاجتماعي والانفعالي، وفي ثقته بنفسه وبالآخرين.

فعلى الأهل أن يأخذوا بيده في معارج الحياة، بلطف وحنان، وأن يحاولوا مساعدته، كلما تعرض لصعوبة أو لمشكل، يتحديان قدراته وإمكاناته، وأن يستعملوا اللين في الأوقات التي تستدعي اللين، والشدة حيث تجب الشدة، وألا يخافوا من فرض العقوبة عليه، حين لا ينفع الكلام في تهدئته أو إصلاحه، وأن يلبوا الممكن من طلباته، ويرفضوا ما يتعذر تنفيذه منها.

وهكذا يعلمونه أن ينظر إلى أمور الحياة بواقعية وموضوعية، فيعرف أنها ليست في جميع أحوالها حقلاً من الأزهار، أو عنباً على درب، بل الزهر فيها يجانب الشوك، والعنب السهلة المنال تجاورها عنب مسيجة ومسورة، وأن كل ما يشتهي ويراد ليس دائماً قابلاً للتحقيق.

خصائص طفل السابعة

في السابعة من العمر يبدأ الطفل المرحلة الثالثة من نموه، وهي الطفولة المتأخرة، أو سن التمييز ولهذه المرحلة خصائص منها:

- اتساع الآفاق العقلية «المعرفية» للطفل، واتساع بيئته الاجتماعية عندما يدخل المدرسة، ويبدأ في تعلم المهارات.
- يحب الطفل في هذه المرحلة المدح والثناء، ويسعى لإرضاء الكبار (كالوالدين والمدرس) كي ينال منهم المدح والثناء، وهذه الصفة تجعل الصبي في هذه المرحلة ليناً في يد المربي، غير معاند في الغالب، بل ينفذ ما يؤمر به بجد واهتمام.
- يتعلم الصبي في هذه المرحلة المهارات اللازمة للحياة، كما يتعلم القيم الاجتماعية والمعايير الخلقية، وتكوين الاتجاهات والاستعداد لتحمل المسؤولية، وضبط الانفعالات، لذلك تعتبر هذه المرحلة أنسب المراحل للتطبيع الاجتماعي.
- يحصر الطفل قدوته وتلقيه في والديه حتى نهاية السادسة، ويقبل من أمه وأبيه إذا كانا مهتمين به أكثر من مدرس الصف الأول، ثم يبدأ بالتدرج في الخروج من دائرة التأثير القوي بالوالدين، وفي الثامنة

والتاسعة يكاد يتساوى تأثير المدرس مع تأثير الوالدين، أما في بداية البلوغ فيصبح التحرر من سلطة الوالدين دليلاً على أن الطفل صار شاباً.

■ في السابعة يكون الصبي مميزاً «يفهم»، ويسعى لإرضاء والديه من أجل كلمة مدح أو ثناء من أحدهما أو كليهما، فإذا أمر بالصلاة تجده ينشط إلى أدائها بنفس طيبة وهمة عالية، وإذا أمرت الصبية بالحجاب فإنها ترتديه بسرور وفخر لأنها صارت كبيرة. أما في الحادية عشرة وما بعد، فيرى الصبي أن تنفيذ أوامر والديه من دون مناقشتها منه دليل على طفولته، التي يرغب في مغادرتها، وبعد البلوغ يرى بعض الأولاد معارضة والديهم دليلاً على شبابهم ونموهم.

■ يعيش الطفل مرحلة الطفولة «المبكرة والمتأخرة»، فيتطلع إلى تقليد الكبار ليرى نفسه كبيراً مثلهم، ويؤلمه أن يقال عنه صغير، لذلك تراه حريصاً على الذهاب إلى المدرسة مع إخوانه، وإلى المسجد ليصلي مثل الكبار، وعلى المربي استثمار هذه الرغبة الموجودة لدى الطفل في تطبيعه وتعويده على العبادات، فإذا قال له والده: أنت كبير ويجب أن تصلي، يطرب الصبي، وعندما يقال للصبية: أنت شابة جميلة ويجب أن ترتدي الحجاب مثل أمك وأختك الكبيرة، تطرب الطفلة لهذا الأمر؛ لأنها ترغب في أن تكون كبيرة،

ولكن الآباء، يضيعون هذه الفرصة الذهبية بحجة واهية هي أن
الطفل والطفلة ما زالا صغيرين!!

■ توحد الطفل مع دوره الجنسي. ويلاحظ في هذه المرحلة أن الأولاد
يلعبون مع الأولاد فقط، وتتحصر لعبهم حول دورهم بصفة رجال
في المستقبل، وإذا جاءت بنت لتلعب معهم طردوها، وقالوا لها:
أنت بنت، فكيف تلعبين مع الصبيان؟! .. وتلعب البنات مع بعضهن
ألعاباً تمثل دورهن في المستقبل بصفة أمهات غالباً، وإذا جاء صبي
ليلعب معهن، قلن له: كيف تلعب معنا؟ هل أنت بنت؟ .. وبناء على
هذا الأساس النفسي تظلم المناهج الحديثة الناشئة عندما تجعل التعليم
الابتدائي مختلطاً لا يفصل بين الجنسين.^(١)

(١) من مصادر البحث
- أزمة السادسة .. ماذا يفعل الأهل في هذه المرحلة؟ إلياس ديب / بتصرف
- التربية الذكية جيري واكوف

اكتشف طبيعة طفلك

ينفرد كل طفل بشخصيته المتميزة. ويظهر ذلك بوضوح بين الإخوة في العائلة الواحدة، وقد يصل هذا الاختلاف إلى درجة كبيرة، مع أنهم يعيشون في البيت نفسه، وتحت الظروف نفسها، فمثلما يتمتع كل فرد منا ببصمته الخاصة، كذلك الأمر بما يتعلق بشخصية كل منا والتي تميزنا عن غيرنا من البشر.

ينقسم الأولاد إلى أربعة أنواع حسب طبائعهم وخصالهم:
الطفل الحساس:

وهو وكما يدل عليه وصفه، عاطفي ومشاعره متأججة وأحاسيسه مبالغ فيها. حاجته الأساسية هي الاستماع إليه وتفهمه، ولكن وللأسف، طبيعته الحساسة تجعله عرضة للاستغلال من قبل الآخرين.

عادة يكون هذا الطفل لطيفاً، ويجب أن يساعد الآخرين، بل إنه على استعداد إلى أن يضحي من أجلهم، ولكنه لا يصادق بسرعة، ويتجنب إقامة علاقات جديدة، ويتحاشى النشاطات الاجتماعية، هو في هذا المجال، يحتاج إلى بعض المساعدة الجدية من الأهل والأصدقاء، لفتح الفرص أمامه لمقابلة أناس جدد، ولتشجيعه على الانخراط في المجتمع.

عندما يستطيع بعضهم كسب ود وصداقة هذا الطفل، فإنه يكون وفيًا مخلصًا جدًا لهم، ولكن إذا ما أساء معاملته أحدهم، فإنه يتأثر بشدة ويتألم

بعمق، ولهذا يترتب على الأهل وظيفة هامة وضرورية جدا له، وهي تعليمه كيف يتسامح مع من أساء له، وكيف ينسى تلك الإساءة.

هؤلاء الأطفال يتعاملون مع الحياة حسب حاجاتهم وأمانهم، وهم بأمس الحاجة إلى مستمع متعاطف معهم، يثقون به ويفصحون له عما في صدورهم من آلام ومخاوف وهموم، مما يخفف من تأثيرها السلبي عليهم، ويساعدهم على تحريرهم من أية حواجز قد تعميق نضوج علاقاتهم، وتساهم في تطورها بشكل سليم.

وغالبا ما نسمع هؤلاء الأطفال يتذمرون، فالشكوى عادة طبيعية للحساسين، وفي حالة تزويدهم بما يحتاجونه، نرى ظهور روح التعاون لديهم، وبالتالي يخف تذرهم وتقل شكاوهم، ويصبحون أمرن في تقبل الظروف بطريقة إيجابية.

مثال: محادثة طفل حساس وأمه:

الابن: يا له يوم سيئ، كان الجميع ضدي في المدرسة!
الأم: لماذا الجميع؟ لا بد أنك كنت سيئا معهم حتى عاملوك بما تستحق!
الابن: لا، لم أفعل شيئا، ولكنهم اتفقوا جميعا ضدي لأنني أصغر واحد في الصف.

الأم: لا تتذمر ولا تحزن، فإنك ما زلت أحسن حالا من ابن الجيران، فقد رأيتك اليوم عائدا من المدرسة وهو يبكي.
الابن: وأنا أيضا كدت أبكي، فقد ذهبت لأشتري مجلتي المفضلة، ولكن لم يبق منها أية نسخة عند البائع.

نلاحظ هنا أن الأم تجاوبت معه بطريقة «خاطئة» فهي لم تعطه العطف الذي كان بحاجة إليه، مما دفعه للبحث عن شيء سلبي آخر حدث معه (لم يجد مجلته المفضلة) ليثبت لأمه أنه على حق، وليقنعها بمدى خيبة أمله.

لنر كيف تكون المحادثة لو أن الأم ردت بالشكل المناسب لهذا الطفل الحساس وتعاطفت معه:

الابن: يا له من يوم سيئ، كان الجميع ضدي في المدرسة!

الأم: صحيح! من الرهيب أن يكون الجميع ضدك.

الابن: لا أقصد الجميع، فقد كان «سليم» لطيفا معي، فقد سمح لي

باستعمال أقلامه الملونة الجديدة في درس الرسم.

في هذه الحالة كان رد الأم مناسباً تماماً لشخصية ابنها، فاستماعها لابنها وقبولها لمشاعره السلبية دون أن تحاول أن تبحث في مصداقيتها، أو تنكر عليه حقه فيما يشعر به، أي وبمعنى آخر: تعاطفها معه دون أن تحتاج إلى براهين إضافية منه كان صحيحاً.

تعاطفها هذا يدل على ثققتها به، مما دفع الابن تلقائياً - إلى أن يبحث عن شيء إيجابي يخرج منه تلك الحالة الحزينة، فذكر ما فعله «سليم» معه.

فالتعاطف مع الأولاد إشارة له بأننا نشعر معهم، ونثق في حكمهم، وهذا تصرف إيجابي يستقطب رداً إيجابياً.

وقد تظن الأم الشديدة الحرص على مشاعر ابنها، أن فيما قام به «سليم» فرصة لا تعوض لرفع معنويات ابنها، وإخراجه من حالته الحزينة، فتقول له: إذا كان «سليم» لطيفا معك، فهذا يعني أن يومك لم يكن بتلك الدرجة من السوء.

أو قد تقول له: إذن لم يكن الجميع ضدك في المدرسة! ولكن هذا الرد الذي هو محاولة لتصحيح مشاعر الابن، له مفعول عكسي حيث نجد أن الابن سرعان ما يرفض هذا الادعاء الذي يلغي مشاعره وأحاسيسه القوية، فيرد مدافعا عن هذه الأحاسيس التي ما تزال موجودة في داخله، ويقول بكل تصميم: صحيح إن «سليم» كان لطيفا معي، ولكن بقية الأولاد كانوا فظين معي، ولم يتوقفوا عن إغاظتي. وهنا يصر الابن على مشاعره السلبية، ويتمسك بها ليؤكد لأمه حقيقة وجودها، ويبدأ بالبحث والتنقيب عن كل السلبيات الممكنة التي واجهها في ذلك اليوم.

عندما يذكر الطفل الحساس شيئا إيجابيا بعد شكواه، فإن في ذلك إشارة حسنة تدل على أنه قد بدأ يغير اتجاه انتباهه إلى الجانب الإيجابي، لذا يفضل ألا تعلق على ما يقول، وألا تحاول استغلال أقواله لتجبره على تغيير مشاعره بسرعة، أو تستصغر وتحقر ما قد اشتكى منه.

أما إذا -وبالطبع عن حسن نية، وكجميع الآباء والأمهات- تمسكت بما ذكر من أشياء إيجابية لتدحض مشاعره السلبية، فعندئذ سيأخذ ذلك على أن الأشياء الإيجابية تلغي حقه في شكواه، ولا تعطي صورة حقيقة عن

معاناته، وبالتالي فقد يحصل شيء شديد الخطورة .. وهو أن يبدأ يتجاهل أي شيء إيجالي يمر به، لأن ذلك سيحرمه من حقه في الشكوى والتذمر من مشاعر سلبية حقيقية تتأجج في داخله ويعاني منها فعلا!

الابن الحساس يحتاج إلى تعاطف واضح وصريح، أكثر من غيره وبشكل منتظم ودائم، وإلا لجأ إلى تكبير وتضخيم مشاكله حتى يحصل على التعاطف الكافي له.

كما أنه -ولحساسيته المرهفة- يحتاج إلى وقت أطول من غيره لتفهم وتقبل ما يحدث حوله، مما يخلق عنده مقاومة أعلى من غيره، وهذا ما يجعله يتصف بالعناد.

مثال: قد يبدأ الطفل الحساس بالشكوى قائلاً: بطني يؤلمني! فإذا تجاهلته أمه ولم تعطه الاهتمام الكافي، نجد أن الألم انتقل إلى رأسه، وتصبح شكواه: بطني يؤلمني ورأسي يؤلمني! وإذا لم يكن هذا كافياً ليحوز على اهتمام أمه، ينتشر الألم إلى أنحاء مختلفة من الجسم! وربما تصبح الشكوى: بطني يؤلمني ورأسي وإصبعي ... وإلخ!

وهكذا حتى يحوز على الاهتمام الذي هو بأمس الحاجة إليه.. فإهمال الوالدين لمشاعر الابن الحساس يجعله يتألم أكثر وأكثر، وقد يعتقد الوالدان أن هذا الألم مفتعل أو وهم وليس له وجود، ولكن هذا لا يمنع أن تكون معاناة الابن الحساس معاناة حقيقية وأن يكون شعوره بالألم شعوراً حقيقياً.

مما يفيد مع الطفل الحساس أن يشاركه أبوه أو أمه في بعض المشاكل اليومية، على شرط أن تكون بسيطة، مثلما نرى في هذه المحادثة بين أب وابنه الحساس:

الابن: كم أكره مدرس العلوم! فقد كان شديد القسوة معي اليوم.
بالإضافة إلى ذلك فهو أستاذ لا يهتم للطلاب، ولا يعرف كيف يدرس!
ودائما ينسى اسمي، وكل يوم يناديني باسم مختلف.

الأب: وأنا أيضا قابلت اليوم زبونا فظا، أزعجني بوقاحته.
فهذه المشاركة البسيطة تجعل الابن يشعر بأنه ليس وحيدا في معاناته
من مضايقة الآخرين، ولكن انتبه فأنت تتعامل مع طفل حساس، لذا يجب
أن تكون المشكلة بسيطة فعلا.

عدم شعور هذا الطفل بالتعاطف من الآخرين لاسيما أبويه، يولد في
نفسه الشعور بأنه ضحية للظلم، مما يزيد من حزنه الداخلي وشعوره
بالأسى، وبالتالي تشدد لديه درجة المقاومة والتمرد، ومتى أخذ ذلك الاتجاه
صعب تغييره.

فتذكر أن كل ما يحتاج الأولاد الحساسون هو أن يقول لهم الأهل
وبصراحة واضحة أنهم يتعاطفون معهم، وأكثر ما يشفي قلب الطفل
الحساس هو القول: إنني أفهمك. أتعاطف معك.. هذه الجملة الصغيرة تعمل
عمل السحر في إراحة هذا الطفل، وطمأنته إلى أنه ليس وحيدا.

مثال: دخلت الأم إلى غرفة ابنتها هدى، وهي فتاة مراهقة فوجدتها

تبكي بحرقة!

الأم: ماذا بك؟

هدى: لا شيء.

الأم: كيف لا شيء وأنت تبكين كما لو أن عزيزا عليك قد مات!

هدى: لا شيء، فقط أحس بالملل!

الأم: (تبدأ المحاضرة): أتبكين من الملل؟ طبعاً .. فكل شيء متوفر لك! الطعام اللذيذ، والبيت النظيف! .. ألا تدركين كم أنت محظوظة كثيراً؟ فليدرك أم حنون ترعاك، وأب كادح لا يتوقف عن العمل ليهيئ لك أحسن مستقبل، و.. و.. وإلخ!

ماذا يكون رد الفتاة التي تعاني من هذه المشاعر السلبية الحقيقية، والتي لا تبرير لها حسب قرار أمها؟ .. رفض الأم لهذه المشاعر لن يساعد الابنة على التخلص منها، بل سيدفع الفتاة للإحساس بالذنب، لأنها لا تقدر ما يقدمه لها أبواها من تضحيات، وبالإضافة إلى ذلك، فهي ستعتقد أن أمها لا تهتم بها وليست في صفها، فهي- أي الأم- وبذل مساندتها، وبذل بعض الجهد لتحاول أن تتفهمها وتخفف عنها، تقوم بمهاجمتها واتهمها، مما يزيد من شعورها بالحزن والكآبة.

وتقرر «هدى» عدم البكاء من الآن فصاعداً أمام أمها! (هل هذا ما

تريده الأم فعلاً؟!)

أما الأم الواعية فإن ردها سيختلف عما سبق وقد يكون كالتالي:

الأم: هذا طبيعي في عمرك يا هدى، فإنك الآن تمرين في مرحلة النمو السريع، والهormونات في جسدك نشطة وغير متوازنة بعد، ولذلك فقد

تشعرين أحياناً، بالحزن أو الملل أو غيرهما من المشاعر السلبية دون أي سبب ظاهر، فلا تقلقي أبداً، وإذا كنت تظنين أن البكاء يريحك فلا مانع من ذلك، وإذا أردت يا «هدى» أن تبوح لي بأي شيء مهما كان، فأنا على استعداد للاستماع لك متى شئت، فأنا أتفهمك وأتعاطف معك.

وهنا تؤكد الأم لابنتها حقها في مشاعرها السلبية، دون لوم أو توبيخ على بكائها، وتبين لها بعض الأسباب البيولوجية التي قد تكون وراء ذلك، وتذكر «هدى» أنها تتفهمها، وأنها مستعدة لتستمع لها إذا ما قررت أن تبوح لها بشيء ما، دون أن تستجوبها أو تحاول إرغامها على الإفصاح عما يضايقها، كما قد تفعل خطأ بعض الأمهات.

يحتاج الطفل الحساس إلينا لنستمع لشكواه، فأعطه الفرصة ليتكلم، وأعطه الوقت الكافي كي تتحسن نفسيته ويتخلص من أية مشاعر سلبية قد تكون في داخله، وعندما تلاحظ أنه قد طرأ عليه بعض التحسن، إياك أن تعلق، أو أن تقول شيئاً يلفت نظره إلى ذلك، مثلاً: «إنك الآن في حال أفضل مما كنت عليه!». وتجنب قول أي شيء يوحي بأنه كان في حالة سيئة، مثلاً: «ماذا دهاك من قبل؟» وكل ما عليك هو أن تأخذ موقفاً متقبلاً منه في كل حالاته العاطفية.

استماع الأهل لهذا الطفل، وإبداء التفهم له، وتقديم الدعم اللازم، يساعده على أن يتأقلم في الحياة ويتحمل حلوها مرهاً، كما يساعده على كشف مواهبه الداخلية، فهو إنسان حساس وعميق، يفكر بالآخرين، وله قدرات داخلية مكبوتة في أعماقه، ومن هذه الفئة يأتي المبدعون.

الطفل النشيط:

هذا الطفل -وكما يدل وصفه- يحب الحركة والنشاط، ويهتم بالعمل وإحراز النتائج دون الالتفات كثيرا إلى العاطفة والمشاعر أو الأحاسيس، وهو يحب أن يكون تحت الأضواء ومحط الأنظار، ويسعى للنجاح في الحصول على تأييد من حوله وإثبات وجوده.

كما أنه يتوقع وصوله إلى السلطة والحكم، فأكثر ما يهيمه هو أن تكون له القدرة على التأثير بالآخرين.. هذا القيادي لا يخاف من التجربة، ولا ترهبه العقبات والمصاعب، وهو يتمتع بطاقة ديناميكية ذاتية تدفعه للحركة والإقدام واستباق الأحداث، وطاقته هذه تدفعه في أي اتجاه متوفر لديه.

ولأنه يميل إلى التصرف حسب هواه، يكون من أكثر الأطفال عرضة للوقوع في الخطأ، أو لانتهاج سلوك غير مقبول.. لذلك يستحسن أن يخطط له الأهل، كيفية صرف هذه الطاقة، وأن يضعوا له قواعد وحدودا واضحة وجلية، تبين له أي اتجاه يأخذ، لحمايته من الوقوع في مشاكل عسيرة، فالخطورة التي يجب أن يتجنبها أهل الطفل هي غياب صورة واضحة ترشد هذا الطفل إلى: أين يسير، وتحدد له: أي اتجاه يتبع؟

هذا الطفل ذو الطاقة الزائدة، سريع في إنجاز أعماله، ويتضايق ممن هم أقل سرعة منه، لذلك من الضروري إعطاؤه مهمات كفيلة بأن تشغله وتملاً وقته، وتستهلك طاقته.

وهو يحترم الشخصيات القوية، مما يتطلب من الأهل توكي الحذر من إبداء أي معالم ضعيفة، أو تهاون في قراراتهم، حتى يعرف أن أبويه هما صاحبا السلطة والكلمة الأخيرة دائما.

عند تحميل هذا الطفل مسؤولية ما، فإنه سيعمل بما تمليه عليه تلك المسؤولية، لذلك فإنه من المفيد أن يحاول الأب أو الأم خلق مهمات له، لتستنفذ طاقاته بشكل إيجابي قبل أن يسيء استعمالها.

ولا تنس أن تمدحه، فالمديح لهذا الطفل يعمل عمل السحر، فلا تبخل به عليه، ولا تتردد في الثناء عليه، فهذا يخفف عناده ومعارضته لك.

أهم ما يحتاج إليه هذا الطفل النشاط لضمان نجاحه وسلامته، هو خطط مدروسة جاهزة تنظم نشاطاته وطاقاته، وتضعها في الاتجاه الصحيح، ومع التخطيط السليم يمكن له الوصول إلى أعلى المراتب.

من الطريق التربوية الناجحة مع هذا الطفل أن يحمل بعض المسؤوليات أو المهمات الملائمة له، فمثلا: إذا لاحظ المدرس وجود هذا النوع في الصف: طفل مشاكس ولا يتوقف عن الحركة، فليجعله عريفا على الصف، وليوظف هذه الطاقة في شكل إيجابي.

مثال: «أحمد» طفل نشيط، ويريد الذهاب إلى مدينة الألعاب، ولكن والده يعرف طبيعته النشيطة، ويدرك مدى صعوبة السيطرة عليه في مثل تلك الأماكن، لذا وقبل الذهاب إلى «مدينة الألعاب»، يضع أبوه برنامجا ينظم النشاطات التي ينوي القيام بها.

الأب: يا أحمد في يوم الجمعة القادم سأصطحبك إلى الأراجيح لمدة عشر دقائق، وبعدها نذهب إلى السيارات الكهربائية، وسأسمح لك بأن تركبها مرتين. ثم وبعد ذلك، سأشتري لك بعض الحلوى، ومن ثم نعود إلى البيت، وهكذا نستمتع جميعاً بيوم العطلة.

وقد يحتج أحمد: لا أحب الأراجيح، وأفضل أن أمتطي الطائرة التي ترتفع عالياً وتدور، دعنا نذهب إلى الطائرة أولاً ثم إلى السيارات الكهربائية.

ويرى الأب أنه لا مانع من ذلك فيقول: هذه فكرة حسنة يا أحمد، إنني موافق عليها.

هذا الجواب يسعد هذا النوع من الأطفال بشكل عميق، فهو يعيش ويزدهر بالتشجيع والإطراء على حسن رأيه.

ثم يقول الأب: اسمع يا أحمد، قبل أن تمتطي وإخوتك السيارات تأكد من صلاحيتها، وذكر إخوتك الابتعاد عن المزعجين وتجنبهم.

هنا وجهه الأب بشكل غير مباشر (الابتعاد عن المزعجين)، ووضعه في مركز المسؤولية والقيادة مع خطوط واضحة تبين هذه المسؤولية، وهذا سيدفعه للتعاون معه.

كذلك التخطيط الضروري خاصة في الرحلات الطويلة، أو عند الزيارات الطويلة، ويفضل أن يكون الأبوان مجهزين بما يشغل الطفل، ويساعد على جلوسه بهدوء، مثل: إعداد حقيبة خاصة للطفل، فيها دفتر

للرسم مع أقلام تلوين، وأوراق ملونة، وصور لاصقة، أو لعبة تشد انتباهه وتشغله لفترة طويلة.

وكما ذكرت في السابق، فإن هذا النوع من الأطفال، لا يخاف من الخوض في أي نشاط، ولو لم يكن لديه أدنى فكرة عن نتائجه، مما يجعله عرضة لارتكاب الأخطاء، وربما للوقوع في العديد من المشاكل، فالتجربة أسلوبه المفضل في التعلم واكتساب الخبرة، لهذا فإنه بأمس الحاجة، من جهة، إلى أبوين كبيرين القلب، يسامحانه ويصبران على أخطائه، ومن جهة أخرى، إلى المديح والإطراء عندما ينجح ويفلح في عمل ما أو ربما لمجرد قوله رأيا صائبا.

أما إذا كان يهدد بالعقاب أو التوبيخ، فإن ذلك لن يحد من نشاطاته، بل سيدفعه لممارستها بطريقة سرية ودون إعلام أهله، تجنباً لأي عقاب أو توبيخ، أو قد يكذب ويرفض الاعتراف بها، وقد يصل الأمر به إلى أن يتجراً ويدافع عن أخطائه بوقاحة وكأنها ليست بأخطاء!

وهذا أسوأ ما يمكن أن يحدث! فهذا -وفي هذه الحالة- لن يتعلم من أخطاءه لا يعترف بها أي درس نافع للمستقبل، وبالتالي لن تساهم في نضج شخصيته ونموها وتطويرها، عندئذ تصبح كل التجارب التي خاضها عديمة الجدوى.

هذه الطاقة الكامنة في هذا الطفل النشيط، تجعل الجلوس في مكان واحد والاستماع والتركيز على موضوع معين صعباً عليه إذا لم يكن مستحيلاً، لذلك فالطريقة المثالية المناسبة لتعليم هذا الطفل المشحون

بالحركة هي الطريقة العملية، وينصح الأبوان تجنب المحاضرات والنصائح المطولة له، فهي لن تجدي نفعا معه، بل قد تؤدي إلى مفعول عكسي!

مثال: تطلب الأم من ابنتها «سها» أن ترتب غرفتها، بينما تستمر الابنة في اللعب ولا تلتفت إلى أمها.

لنر أولاً ما قد يحدث في أغلب الحالات، وعندما لا تدرك الأم مدى الأذى الذي قد تلحقه بشخصية ابنتها باستعمالها طريقة غير إيجابية: الأم: «سها» لا تتركي غرفتك بهذا الشكل الفوضوي! هيا توقفي عن اللعب وقومي بترتيبها!

«سها» لا تنتبه لما تقوله أمها، تسمعها ولكن انغماسها في اللعب يمنعها من التجاوب معها.

تري الأم تجاهل «سها»، فتعيد ما قالتها، ولكن بصوت أعلى، وكلما استمر تجاهل سها للأم، علا صوت الأم وزاد غضبها، إلى درجة قد تنزع اللعبة من يد «سها»، التي قد تبدأ تبكي وتحتج أو تترجى: دقيقة واحدة فقط يا ماما!

ولكن الأم الغاضبة لن تتراجع: أبدا! ولن أسمح لك باللعب حتى ترتبي غرفتك وبشكل جيد.

وفي أسوأ الحالات قد تقوم الأم بضرب الابنة، ولو ضربة خفيفة. أما الأم الواعية، والتي تدرك أهمية فترة الطفولة لتأسيس شخصية سلمية، فإنها تتصرف بشكل مختلف وربما على الشكل التالي:

الأم: «سها»، من فضلك رتبي غرفتك الآن.

«سها» تتجاهل الأمر وهي تلعب.

الأم: يظهر أنك تستمتعين بهذه اللعبة يا «سها»، ولا ترغبين في التوقف عنها لمدة طويلة! لا بأس، لا تقلقي فانا سأساعدك في ترتيبها، وهكذا ننتهي بسرعة .. هيا يا «سها» توقفي الآن من فضلك فأنا أستطيع أن أساعدك الآن .. هيا بنا إذن نرتبها معا بسرعة، سأبدأ أضع هذه الأقلام في علبتها الخاصة، وهذه الملابس في الدرج... إلخ.

وتبدأ الأم ترتب، وتستمر بحث «سها» على الترتيب، حتى تنهض «سها» وتستجيب لها. وعند الانتهاء تشكرها الأم، وتثني على حسن عملها، مهما كان نوعه أو كميته!

وهذا الجزء هام جدا، فالتشجيع ضروري كي تبدأ بذور التعاون تنتعش وتنمو داخل الطفل.

عندما نتشارك مع هذا الطفل في عمل ما، فإن ذلك يجعله يشعر وكأننا فريق واحد، له هدف مشترك، فتتعدم حاجته إلى المعارضة ورغبته في الانفصال، مادام راغبا في أن يكون جزءا من هذا الفريق.

ويجب ألا تنسى أن تشكره مهما كان العمل الذي أداه صغيرا، وقم بالثناء على عملكما المشترك، فمثلا قل: «لقد أحسنا صنعا» أو: «نستحق التهنة على عملنا الرائع» أو «يا لنا من فريق عظيم!».

فأكثر ما يسعد هذا الطفل، هو أن يكون شريكا في فريق ناجح.

ويلاحظ أنه بين الحين والحين، قد يمتنع هذا الطفل عن التعاون مع الوالدين، ويرفض الانصياع لأمر ما دون أي سبب واضح، ولكن لمجرد تأكيد قدرته على الرفض، وإثبات حقه في إبداء رأيه المعاكس، والذي قد يكون معاكسا لمجرد خلق معارضة لا غير!

وإذا عرف الأبوان كيفية التعامل مع هذه المعارضة بحكمة، فإن هذه المعارضة ستساعدهما بطريقة غير مباشرة، وذلك لأنها ستذكر الطفل وستؤكد: أن أبويه صاحبا السلطة والأمر والنهي، مما يساهم في تعميق إدراكه لهذا الواقع، وهذا بالطبع أمر هام وضروري ليشعر الطفل بالأمان. أحيانا يفضل بعض الأهل أن يتجنبوا المواجهة مع الطفل، خاصة عندما يخرج عن طاعتهم، ويتصرف بوقاحة وفجاجة، وذلك خوفا من نتائج تلك المواجهة، وهذا خطأ كبير، لأنه سيدفع بالمشكلة إلى وضع أسوأ مما هي عليه.

أكثر عامل إيجابي يؤثر في هذا الطفل، هو اعتراف الأبوين بصواب رأيه وحسن فعله ومدحه لذلك .. وأشد ما يكرهه، هو إخباره بأنه مخطئ، وخاصة أمام الآخرين .. فعلى الأهل أن يحرصوا أشد الحرص على تقديم توجيهاتهم ونصائحهم وانتقاداتهم على انفراد.

ويمكن للأهل -وللمحافظة على كرامة أولادهم- أن يتفقوا على إشارات سرية مع أولادهم، لاستعمالها للتنبيه أمام الآخرين وعند اللزوم، فقد تضع الأم يدها على أذنها لتنبيه الابن أو الابنة إلى أن صوته مرتفع مثلا، أو غيرها من الإشارات التي قد يتفقون عليها.

وهذه الطريقة ممتعة ومفيدة، فهي لا تخرج الطفل أمام الآخرين، وتجعله راغبا في تلبية الطلب، بالإضافة إلى أنها تساهم -وبطريقة غير مباشرة- في تنمية وعيه وانتباهه لما يجري حوله من أمور.

إذا لم يتوفر المناخ الملائم لهذا الطفل، فإنه يصبح مزعجا مع الجميع، ويتمرد على أبويه، ويخرج عن سيطرتهم، ويتصرف بطريقة سيئة.. أما إذا نجح الأهل في معاملته بالطريقة المناسبة، وثابروا على استخدام طريقة «الفرصة» لتأديبه، فإن هذا مما يساعد على تدريبه على الصبر (وهذا ما ينقصه غالبا)، وتلقائيا يصبح أكثر حساسية وإدراكا لمشاعر الآخرين.

هذا الطفل النشط مؤهل ليكون قائدا عظيما، لأنه لديه الطاقة اللازمة لتحقيق الأشياء عمليا وتنفيذها على أرض الواقع، ومع مرور الوقت، وازدياد خبرته، تزداد ثقته بنفسه ويزداد نجاحا، ويصبح أكثر استعدادا لتفهم مشاعر الآخرين.

وأحب أن أذكر بضرورة وضع خطة واضحة لهذا الطفل المميز، وبضرورة السماح له بارتكاب الأخطاء وتقبلها، والتأكيد له أن وقوعه في الخطأ لا يعني أنه فاشل أو غبي أو كسول، وإنما هو دليل على أنه قد حاول إنجاز شيء يتطلب جهدا أكبر، ودور الأبوين هنا ينحصر في إظهار ثقتهما به، وإعلان حسن ظنهما فيه والاستمرار بتشجيعه.

الطفل المتفرج:

هذا الطفل لا يحب التغيير ويفضل ممارسة ما هو معتاد عليه، ومن أهم ما يحتاج إليه هذا الطفل هو معرفة ماذا سيحصل له، وما هي الأمور والمواقف التي ستواجهه، وماذا عليه أن يتوقع.

وجود الطفل المتفرج في حالة جديدة لم يألّفها تثير قلقه وتجعله يتصرف بسلبية، بينما إذا هبّاه أبواه نفسياً لأي تغيير يتوقعانه أو يخططان له، وشرحت له الأمور وأصبح على علم بما سيواجهه، فإنه يصبح أكثر مرونة لتقبل الوضع الجديد.

يحب هذا الطفل أن تكون حياته منظمة، وأن يكون لديه برنامج واضح، لذا فهو محتاج إلى نظام روتيني يعتاد عليه، وبرنامج يحدد له وقت العمل، ووقت النوم، ووقتاً معيناً للتسلية واللعب ... وهكذا، حتى تكون الأمور واضحة وجليه لديه. فهو يشعر بالاطمئنان والراحة عندما يعرف أنه يسير حسب خطة معينة.

وهو يرتاح إلى ممارسة الأشياء نفسها، مرة بعد مرة وبالطريقة نفسها، ولا يمل من تكرارها، بينما يقلقه التغيير المفاجئ، فهو طفل يحتاج إلى ثوابت في حياته، وعلى الأهل بذل جهودهم لتأمينها له، فيمكنهم مثلاً: المحافظة على التنزه في الحديقة في يوم معين، أو زيارة المكتبة في يوم محدد، والاستعداد للنوم في وقت ثابت.

وفي الحقيقة يستفيد كل أنواع الأطفال من وجود ثوابت في حياتهم، ولكن هذه الثوابت، تشكل حاجة أساسية لهذا الطفل بالذات، وهي ضرورية للمحافظة على شعوره بالاطمئنان والراحة النفسية، وتساعد على تطور

نضوجه، وتساهم في اكتسابه مهارة التنظيم التي تلعب دورا هاما في حياته.

يتميز هذا الطفل بطبيعة طيبة وجيدة، ولكنه يفتقر إلى ملكة الإبداع أو التجديد، ويحتاج إلى من يشجعه على القيام بعمل ما أو نشاط ما، وإلا بقي على حالته جالسا في المكان نفسه يتفرج على التلفاز مثلا، وهو يستهلك وقتا أطول من الغير لإنجاز أعماله، ولا يمكنه أخذ قرارات سريعة، لذا يفضل تجنب سؤاله عما يريد أو ماذا يرغب.

هذا الطفل المتفرج، بالمقارنة مع غيره من الأطفال، لا يحب الحركة كثيرا، ويرضيه أن يبقى هادئا، ويستمتع بالتفرج على ما يجري حوله، وهو قنوع ومن السهولة إرضاءه، تهمة راحته الجسدية، ويتجنب أخذ المخاطر أو خوض التجارب، ويفضل أن يدع ذلك للآخرين بينما يكفي بدوره متفرجا.

وغالبا ما يقضي هذا الطفل وقته في مراقبة غيره من الأطفال، بينما يلعبون أو يمارسون نشاطا ما، دون أن يشعر بالرغبة في مشاركتهم في ذلك، أو يفكر في الانخراط معهم، إلا ربما بعد مدة طويلة أو بعد فترات متكررة من مراقبة هذه النشاطات. وهو على عكس الطفل النشط لا يجذبه سحر القيادة والسلطة، ولا يرى سببا للمنافسة عليها، بل ويتجنب المشاركة فيها.

فمشاركة هذا الطفل في أي نشاط تكون عن طريق المراقبة والتفرج فقط، ولمدة قد تطول أو تقصر حسب طبيعته الفردية. وهو لا يشعر

بالحرمان أو بالنقص لكونه متفرجا فقط، بل إنه فعلا يستمتع بالمراقبة، وكأنه يمارس هذه النشاطات من خلال الآخرين. وقد يشعر بعض الآباء والأمهات بالقلق بسبب ذلك، ولكن أحب أن أطمئنهم إلى أن هذه الظاهرة طبيعية في هذا النوع من الأطفال، ومع مرور الوقت، وتوفير حاجته من التشجيع المرن واللطيف على الحركة والنشاط، سيتحسن هذا الطفل ويبدأ بالمشاركة الفعلية مع بقية الأطفال في الوقت الذي يلائمه.

فإذا كان طفلك من هذا النوع، يترتب عليك أن تجد له عملا ما أو نشاطا يمارسه، وإلا فهو سيقى دون أية اهتمامات أو هوايات. ويجب تزويده بجميع الفرص الممكنة لشد اهتمامه وزرع رغبة المشاركة لديه، ولكن بطريقة لطيفة ومرنة ومشجعة دون ضغط أو إكراه.

وعندما يبلغ هذا الطفل السابعة من عمره تقريبا، ينصح الأهل بأن يبذلوا بعض الجهد، لإتاحة الفرصة له ليختلط مع غيره من الأطفال، وأن يعرفوه على مختلف النشاطات المتوفرة، حتى إذا ما لاحظوا ميله واهتمامه بنشاط ما، شجعوه على ممارسته، ولكن مع الحرص على عدم الإصرار، والامتناع عن تعريضه لأي ضغط إذا ما رفض ذلك.

وأحب أن أكرر أن طريقة التشجيع مهمة جدا، ويجب أن تكون بأسلوب إيجابي ومدرّس، فمثلا يفضل أن تقول له: «الآن جاء دورك لكي تشترك مع بقية الأولاد في هذه اللعبة الممتعة». بدلا من سؤاله: «هل تحب أن تشترك؟».

ففي الصيغة الأولى جملة فيها قرار إيجابي، وفي الوقت نفسه يمكن عدها اقتراحا يحمل توقعات إيجابية، ويرجح ردا إيجابيا، بينما السؤال يساوي بين الاحتمالين السلبي والإيجابي.

للأسف ليس هناك أية صيغة سحرية تضمن لنا تجاوب الأطفال معنا، لذا عليك أن تكون مستعدا لأي جواب سلبي دون الإصابة بخيبة أمل! وإذا ما سمعت جوابه السلبي معلنا الرفض! فاتركه ولا تحاول أن تجبره أو تضغط عليه، وقل له: «حسنا، يظهر أنك تفضل أن تتفرج الآن، أخبرني عندما تريد أن تشترك معهم».. هذا على الأقل سيدفعه إلى أن يبدأ بالتفكير في المشاركة الفعلية.

يتمتع هذا الطفل بموهبة خاصة في مواصلة الآخرين، وفي التخفيف عنهم في أوقات الشدة، ويهتم بأصدقائه، ويبذل جهده لمساندتهم ودعمهم عاطفيا عند الحاجة. وأكثر ما يكره هذا الطفل أن يقاطعه أحد، ونراه ينتبه إلى أصغر التفاصيل الدقيقة ويعيرها انتباهه واهتمامه ووقته.

هذا الطفل المسالم يستطيع أن يكبت غضبه، ولديه القدرة والمهارة على تجاوز المصاعب. ويتقدم ويتحرك ببطء، ولكن بخطى ثابتة وصلبة. ويجب على الأبوين والمربين الانتباه إلى هذا الطفل، لأنه من السهل جدا إهماله دون قصد، وذلك بسبب طبيعته الهادئة وقلة متطلباته.

الطفل المتجاوب:

يتصف هذا الطفل بأنه اجتماعي جدا، ويحب النشاطات خارج المنزل، يرى نفسه من خلال نظرة الآخرين إليه، يبحث عن الجديد، وتتوق

نفسه إلى تجربة أي شيء يثير اهتمامه، ولديه في أعماقه دافع قوي، يوجهه لرؤية وسماع وتذوق وتجربة أي شيء يجده في المجتمع، أما اهتماماته، فهي عديدة ومتنوعة، وهو يحتاج دائما إلى ما يثير انتباهه، وإلى ما ينشطه عقليا وجسديا.

الطفل المتجاوب هو طفل سعيد خفيف الظل، يتغذى بصور الحياة وما فيها من تغيرات متنوعة، والحياة بالنسبة إليه مغامرة شيقة، وهو اجتماعي ومحدث، ماهر، يصادق بسهولة لذا يكون لديه العديد من العلاقات السطحية، والتي لن يؤثر عليه سلبيا إذا ما أخفقت، وهو يحمل مشاعر الحب والود للجميع بدون استثناء ولا يحقد على أحد.

هذا الطفل يحب التغيير والتجديد، ويكره التركيز على شيء واحد، بل ويعجز عنه، ومع كل تجربة جديدة يخوضها نكتشف جزءا جديدا منه، ومع كل وضع جديد يتجدد نشاطه وتبعث فيه الحياة.

حب هذا الطفل للتغيير، يحول دونه ودون إنهاء أعماله، فكثيرا ما يبدأ بعمل شيء ما ثم يتوقف، لينتقل إلى عمل شيء آخر، قبل أن ينجزه. مثله مثل الفراشة، ينتقل من نشاط إلى آخر، ليتذوق من طعم كل الورود والأزهار، بل والأشواك. فالفوضى جزء من طريقة هذا النوع من الأطفال في التعلم، واكتساب الخبرة.

لكن طريقته الفوضوية في الحياة، لا بد أن تجر معها بعض المتاعب، فنراه مثلا يجد صعوبة في إيجاد ما يبحث عنه بين أشياء المبعثرة هنا وهناك، أو يتعسر عليه ترتيب أموره المتشابكة، وكثيرا ما ينسى ما قد

تطلب منه، لذا يجب أن تكرر طلبك أكثر من مرة كي يستجيب لك، ولن يتوقف الأمر عند هذا الحد بل عليك تقديم مساعدتك له للقيام بما تطلبه منه، فمثلا لا تتوقع منه أن يرتب غرفته دون أن تمد له يد العون، فتعاون معه من فضلك.

يعيش هذا الطفل في عالم خيالي سحري حتى حوالي سن التاسعة، وقد تراه يتكلم مع نفسه، ويقضي وقتا طويلا يلعب مع شخص خيالي من صناعه، فلا تقلق لذلك، ودعه يعيش عالمه هذا ويستمتع به، فهو سرعان ما سيدخل إلى العالم الحقيقي وسيتأقلم كما تأقلم غيره من الأطفال.

يتأثر هذا الطفل المتجاوب بما يسمع وبما يرى بشكل أعمق من غيره من الأطفال، فعليك الانتباه إلى هذه النقطة، فمثلا إذا سمع أن البوليس يبحث عن مجرم ما، فإنه سيخاف ويتوتر وسيشعر بالخطر، ويظن أن كل الناس في خطر، وإذا ما حاولت أن تتكلم معه بشكل منطقي وقلت له مثلا: «لا تخف فإننا نعيش في منطقة آمنة»، فإنك لن تستطيع أن تغير من رأيه شيئا. بينما إذا قلت له مثلا: «لا تخف سأصلي لكي تكون آمنا» فهو عندئذ يشعر بالأمان. لذا ينصح بحماية هؤلاء الأطفال من سماع ورؤية الأخبار المخيفة والتي تجري في هذا العالم.

الطفل المتجاوب مثله مثل الطفل الحساس، يميل إلى رسم وتصميم صور خاصة به في مخيلته للقصص التي يسمعها أو يقرأها، فتتنشط طاقته في الإبداع، وهذا ما لا يوفره له التفاز الذي يقدم الصورة مع الخبر، لاغيا بذلك حاجة الطفل لاستعمال مخيلته مما يسبب إضعافها.

قد يجد الأب أو الأم أن هذا الابن المتجاوب ينسى كثيراً، وهذا طبيعي، لأن عقله مشتت هنا وهناك، فيجب ألا تنهره على ذلك أو توبخه وإلا زادت هذه المشكلة سوءاً، ومع الوقت يتعلم كيف ينتبه أكثر إلى ما يقال له، ويركز على ما يقوله أو يفعله.

يحتاج هذا الطفل إلى حرية التصرف والعمل حسب طريقته الخاصة، لذا يميل إلى الرفض والتمرد عندما يفرض عليه أمر، فمثلاً: قد يرفض وبإصرار ارتداء معطفه عندما يأمره بذلك أبوه أو أمه، وأحياناً قد يثور غضبه بسهولة، خاصة عندما يطلب منه القيام بشيء لا يحبه أو لا يجري رغبته.

أكثر ما يحتاج إليه هذا الطفل هو التوجيه والتخطيط، فيمكن استعمال التوجيه والتخطيط بشكل إيجابي لتجنب رفضه واعتراضاته، وخلق روح التعاون لديه.

إذا خلقت الفرصة لهذا الطفل كي يحقق ما بداخله من رغبات، ووفرت له إمكانية النشاط في مختلف المجالات المتنوعة حتى تتسنى له تجربتها واختبارها، فإن ذلك يساعد على تحسين قابليته للتركيز الفكري، والنظر بتعمق إلى الأمور، ومع الوقت يتعلم هذا الابن أو الابنة كيف يكمل ما بدأ، وتتبلور لديه الرغبة في إنجاز ما يقوم به من أعمال، ويبدأ بتذوق حلاوة الإنجاز، بدل الاستمتاع بالقفز من نشاط إلى آخر دون إنجاز ملموس، وهذا - لاشك - من أهم التطورات الإيجابية لهذا الطفل.

أما إذا أهمل هذا الطفل ولم يتلق العناية الضرورية، فإنه، وكشخص بالغ، سيجد مسؤولية الحياة أكبر مما يستطيع تحمله، مما قد يدفعه إلى ضرب الأمور عرض الحائط، ويزداد إهمالا وفوضوية، ويرفض الاعتراف بما عليه من مسؤوليات ويتجاهلها.^(١)

(١) نقلنا هذا البحث بنصه لنفاسته وأهميته
<http://www.balagh.com/woman/tefl/jj16pltf.htm>

مخاوف الطفل .. المساعدة ضرورية

الخوف واحد من أهم عوامل الحفاظ على الذات لدى الكائنات الحية من إنسان وحيوان، فهو ضرورة من ضرورات الحياة، التي تعين على تجنب المخاطر بغية اتخاذ الحماية اللازمة، حيث يعمل هرمون «الأدرينالين» الذي يفرز وقت المخاوف على إعداد الجسم للقيام بالتصرف المناسب من حيث المهاجمة أو الهرب.. ومن بين الانفعالات التي لا بد أن يشعر بها الناس، يعد الخوف من أكثرها شمولاً. وتسهم في إثارته مواقف تتباين تبايناً كبيراً في حياة مختلف الأفراد، وتندرج شدته من الحذر إلى الهلع والرعب.

إن تجربة الخوف والقلق تمنح أطفالنا القوة في التعامل مع مختلف التحديات التي قد يواجهونها في حياتهم .. ورغم أن العالم الطفولي في معظمه سحري، تتشابك فيه الأمور الواقعية بالحياة الخيالية، وتتشعب في مخيلة الطفل مخاوف عديدة نعتبرها في معظمها حالات طبيعية قصيرة الأمد، لكنها قد تتحول إلى مشكلة مرضية «رهاب» تستدعي العلاج.

«الرهاب» أو «الفوبيا» عبارة عن خوف مبالغ فيه ومتكرر أو شبه دائم، من مما لا يخيف أغلب من في سن الطفل عادة، وقد يكون خوفاً غير محدد، وبإمكان الطفل أن يدرك أن هذا الخوف غير متناسب مع درجة الخطورة، ولكنه لا يزال غير قادر على الشعور بالطمأنينة للابتعاد عن الحالة أو الشيء تماماً.

إن الرهاب هو أكثر أنواع اضطرابات القلق شيوعاً، ومعظم حالات الرهاب المحدد تبدأ في مرحلة الطفولة في سن سبع سنوات. وبخلاف الخوف والقلق، فإن الرهاب يتدخل في حياة الطفل، والطفل عادة لا يملك السيطرة على مشاعر الخوف التي تتمالكه.

وللرهاب آثار سلبية بعيدة المدى تحتاج إلى تدخل نفسي وتربوي .. فهو مصدر للإحجام، ويقود في أغلب الأوقات إلى ضعف في الأداء والتفاعل، وبالتالي فهو يؤدي إلى السلبية في مرحلة الطفولة، كما يؤدي إلى ضعف التعليم، ويقود إلى انخفاض نسبة النمو العام في الشخصية الإنسانية.

الأسباب

هناك العديد من العوامل التي قد تسبب تطور الرهاب. وتشير البحوث إلى أن الأسباب الرئيسية لتطوير أنواع الرهاب تشمل عوامل وراثية وبيئية، وفي معظم الأحيان تكون هذه العوامل مشتركة مع بعضها:

- مرور الطفل بحادثة أفزعته، فبعض الأطفال قد يصاب بالرهاب بعد التعرض لوضع معين، يمكن أن يكون مؤلماً أو مخيفاً .. قد يخشى الطفل الماء – مثلاً- بعد تجربة مع الغرق. وبالنسبة للأطفال آخرين قد يصابون بالرهاب بعد الاستماع لمعلومات مخيفة عن شيء معين ، على سبيل المثال، إذا كان الطفل يرى الكبار يخافون من العناكب، أو يتحدثون عن العناكب بطريقة مخيفة، فإن الطفل قد يطور تلقائياً خوفاً من العنكبوت.

- بعض الأطفال قد يصابون بالرهاب إذا كانوا يحذرون دائماً من شيء ما ويتجنبون خطورته، مثل الطفل الذي يحذر باستمرار من الكلاب لأنها قد تعضه، سيكون على الأرجح خائفاً من الكلاب، وقد يتطور هذا الخوف لاحقاً إلى «رهاب».
 - تخويف الأم طفلها بالأشباح والعفاريت والظلام وأبو رجل مسلوخة.. إلخ.
 - أفلام الرعب التلفزيونية والقصص المرعبة.
 - دلال الأم الزائد، وقلقها المفرط، وتحسبها الشديد.
 - الصراعات الأسرية تشعر الطفل بعدم الأمان، وأنه أقل قدرة من غيره في التعامل مع الآخرين، وخاصة الأطفال المرهفين الحس، إذ يشعرون أنهم مثقلون بمشاكل الأسرة التي لا يستطيعون فهمها أو حلها.
 - النقد والتوبيخ المستمر، حيث يشعر الأطفال أنهم لا يستطيعون فعل شيء صحيح، ويتوقعون دائماً الاستجابات السلبية، مما يؤدي إلى خلق أطفال خجولين.
 - التقليد، إذ يحاكي الطفل سلوك الأم الخائفة أو الأب أو الإخوة أو الأصدقاء.
 - تربية الولد على العزلة والانطوائية والاحتواء بجدران المنزل.
- أعراض الرهاب
- تظهر علي الطفل أعراض: القلق عندما يتعرض للشيء الذي يخيفه أو الوضع الذي يهابه .. سرعة التنفس، أو أن لا يستطيع الطفل أن يتنفس

بشكل جيد .. قد ينبض قلب الطفل بصورة سريعة جدا وغير طبيعية ..
الارتعاش أو الارتجاف .. التعرق .. الشعور بالاختناق .. الغثيان أو القيء
.. الشعور بالدوخة أو عدم الاتزان.

منارات عملية

- إحاطة الطفل بجو من الدفء العاطفي والمحبة ليشعر بالأمن والطمأنينة، ولا تنسى أن تمزج ذلك بدرجة معقولة ومرنة من الحزم.
- رَبِّ طفلك على الشجاعة، ولا تخجل من مخاوفه. ومن المهم تعليم طفلك -عن طريق الكلام والأفعال- أن القلق والخوف جزء من التجربة الإنسانية، وأنها مشاعر طبيعية.
- إن صادف الطفل موقف يخيفه فلا تدفعه إلى نسيانه، فالنسيان يدفن المخاوف في النفس لتصبح فيما بعد مصدراً للقلق والاضطراب، بل أوضح الموقف له لكي لا يبالغ بالخوف، واشبع فضوله، وطمئننه دون أن تخدعه.
- إذا كان الطفل قد تعرض لموقف مخيف في وقت أو مرحلة سابقة من عمره فإنه يعمم الخوف من كل المواقف المتشابهة .. وهنا يجب عليك أن تعرضه تدريجياً لتلك المواقف التي خاف منها سابقاً، وتكون ملاصقاً له، ثم تتركه رويداً رويداً حتى يتأكد بنفسه أن لا شيء يخيف .. على الآباء مساعدة الطفل على مواجهة المواقف المرتبطة بانفعال الخوف بالتشجيع دون زجر أو نقد، وذلك بدافع من نفس الطفل والثقة بالديه.
- دعم في طفلك روح الاستقلال والاعتماد على النفس ما أمكن، مما يعزز ثقته بنفسه ويشعر باحترامه .. جرب تهيئة بيئة تسمح لطفلك

بالاعتداد بنفسه .. شجع طفلك دائما على التحديات الجديدة، لأن ذلك سيمنحه القوة والثقة.

■ حاول تجنب الإفراط في حماية طفلك. فهذا سيجعل الأمر أكثر سوءا. كمثال؛ إذا كان طفلك يخاف من الحشرات، لا تجعله يتفادها تماما، لأن ذلك سيعزز مفهومه أن الحشرات مخيفة، ويجب تجنبها. فعاجلا أم آجلا سيكون طفلك في وضع توجد فيه حشرات، وقد لا تكون معه.

■ حاول تجنب ترديد عبارات: إصابة طفلك بالخوف أو الرهاب، أو خوف من حالة معينة. لأن ذلك سيؤثر سلبا عليه.

■ لا تضحك أو تقلل من الخوف الذي يشعر به طفلك. فهذا سيضره، وقد يحاول إخفاء مخاوفه مستقبلا، كما أن السخرية من مخاوف طفلك لن تعالجها.

■ يجب الاعتراف بأن الخوف حقيقي، بغض النظر عن تفاهته، طالما يبعث القلق في طفلك .. تقبل خوف الطفل والأزمة التي يشعر بها .. عانقه وقبله وقربه منك .. تهدئة الطفل وإعطائه الشعور بالأمان .. إفساح المجال للطفل للتعبير عن مشاعره واحترامها .. حث الطفل على معرفة مصدر الخوف .. استعمال اللعب التمثيلي وتبادل الأدوار بهدف ترويض المواقف المخيفة.

■ من أجل تبديد المشاعر المثيرة للرعب، على الأم أو الأب محاولة تجريد المخاوف من صفتها الخاصة، وحث طفلها على التحدث عن الشيء الذي يخيفه .. فتجاهل مشاعر الخوف أو السبب الذي يرعب الطفل

لن يؤدي إلى تبديد خوفه، كما أن محاولة إقناع الطفل بأن لا مبرر لخوفه ستتقلب نتائجها رأساً على عقب.. ويجب الانتباه إلى عدم إثارة هذا الموضوع عند اقتراب موعد النوم، حيث يشعر الأطفال عادة بالخوف أكثر.

■ يجب على الأهل أن يتجنبوا استغلال الخوف في محاولة إخضاع الطفل لأوامرهما، مع ضرورة تنمية شخصيته وتعويد النظام والواجب دون تخويف، مما يساعد الطفل على المحافظة على نفسه والتكيف مع المجتمع.

■ تنمية مهارات التفكير لديه وخلق الأفكار، لأن الخوف يشعر الإنسان بالضعف. ولكن بإخراج الأفكار يستطيع الإنسان التعامل مع الخوف، وتساعد عملية التفكير على استعادة بعض القوى التي فقدها.

■ لا تحاول أبداً إجبار طفلك في عمل شيء يخافه، فهذا سيؤدي به إلى مزيد من القلق، وربما يصاب طفلك بنوبة ذعر، أو يفقد ثقته بك.

■ من الأفضل تعليم الطفل كيفية تهدئة نفسه، عندما يشعر بالقلق أو الخوف، بدلاً من الإسراع إلى طمأننته، لأن ذلك يفيد على المدى البعيد.. إذا كان يشعر بالاستياء أو كان كثير الحركة، يمكن الطلب منه أخذ نفس عميق أو ترديد أنشودته مفضلة، وسوف يستعيد السيطرة على حركات جسمه، من خلال توجيه انتباهه بعيداً عن مصدر الخوف، ومن ثم يتم العمل على تهدئة مشاعره.

- إزالة خوف الطفل، بربط مخاوفه بانفعال السرور، أي قاعدة الاشتراط تطبق عكسية: محو استجابة الخوف، وإحلال استجابة السرور .. فالقاعدة العامة هي أن الأطفال تقل حساسيتهم من الخوف عندما يتم إقران موضع الخوف أو الفكرة المثيرة له بأي شيء سار (إشراط مضاد) .. فمن المفيد جدا جعل الأطفال يلعبون إحدى ألعابهم المفضلة أو ينهمكون بأي نشاط ممتع أثناء الخوف .. على سبيل المثال: يمكن للطفل أن يرتدي زي بطل معروف ويقوم بتمثيل بعض المشاهد في غرفة خافتة الإضاءة كخطوة أولى للتغلب على الخوف من الظلام، كما يمكن للطفل أن يلعب لعبة «الاستغماية» في غرفة مظلمة، فيختبئ الأب أولا بينما يبحث عنه الطفل، ثم يختبئ الطفل وهكذا.
- من المهم أن يمدح الكبار أي خطوة صغيرة يقوم بها الطفل، والتركيز على ما أنجزه بدلاً من الخوف بذاته.
- استعمل الخوف البناء في تغذية إيمان طفلك بالله، وتنمية شخصيته، وتعويدة احترام النظام، وأبعده عن مثيرات الخوف، كالمآتم، والقصص المخيفة عن الغولة والجن والعفاريت.
- تجنب التهديد والوعيد مع الطفل، فذلك كفيل بفقدان الشعور بالأمن لديه.
- توفير جو من الاستقرار العائلي يتصف بالهدوء والحميمية.

■ احرص على أن يكون سلوك المحيطين بطفلك متّزناً، خالياً من الهلع والفرع في أي موقف من المواقف، وخصوصاً إذا مرض الطفل أو أصابه مكروه.

■ تعد طريقة «ملاحظة النماذج» طريقة طبيعية لتقليل الحساسية، فالطفل يتعلم من خلال الملاحظة كيف يتعامل الأفراد غير الخائفين مع المواقف، فيبدأ بشكل تدريجي بالتعامل دون خوف مع المواقف التي تزداد درجة الإخافة فيها شيئاً فشيئاً، ويفضل أن تكون النماذج من الأشخاص العاديين حتى لا يرى الطفل النموذج وكأنه شخص يتمتع بصفات خاصة تجعله قادراً على أن يكون شجاعاً.

■ يميل الطفل إلى الشعور بالخوف من طبيب الأسنان أو من التحليق في الطائرة، عندما يرى والدته تتصبب عرقاً، خوفاً من صعودها إلى الطائرة، أما عندما ترتعد لدى زيارتها طبيب الأسنان. فلا مانع أن تعترف الأم أمام طفلها بأنها كانت تخاف الذهاب إلى طبيب الأسنان، عندما كانت في مثل عمره، لكن مع الإشارة أيضاً أنها كانت تتغلب على خوفها، لأنها لا تريد أن تصاب أسنانها بالتسوس. هذا الاعتراف يُفهم الطفل أنه ليس وحيداً فيما يمر به، وأن والدته تعلمت كيفية التغلب على مخاوفها.

■ العلاج الجماعي، بتشجيع الطفل على الاندماج مع غيره من الأطفال، وتنمية قدرته على التفاعل الاجتماعي.

■ تعاون المدرسة مع الأسرة في علاج مخاوف الطفل، من خلال الأساليب التربوية الفعالة بعيداً عن التهديد والضرب وغيرها من الأساليب الخاطئة.

■ العلاج النفسي بالكشف عن مخاوف الطفل ودوافعه المكبوتة، وتبصيره بحقائق الأمور وتصحيح أفكاره الخاطئة.^(١)

(١) من مصادر البحث
- الخوف عند الأطفال حسناء مكانسي
- الرهاب أكثر أنواع اضطرابات القلق شيوعاً د. إيمان حسين شريف

أطفالنا والخلافات الزوجية

في دراسة شملت أكثر من مائه أسرة أمريكية تضم أطفالاً تتفاوت أعمارهم ما بين ثلاثة وخمسة أعوام أجراها «معهد العلوم النفسية» في (أتلانتا)، تبين أن هناك دلائل قطعية على وجود علاقة بين شخصية الطفل المشاغب، كثير الحركة، العنيد، المتمرد والعذواني .. وبين الأم كثيرة الغضب، التي تصرخ دائماً وتهدد بأعلى صوتها حين تغضب .. وهكذا تلتقي الدراسات التربوية والأسرية على أهمية استقرار الأسر في صحة الأبناء النفسية، وعلى دور الخلافات الشديدة والشجارات الدائمة بين الزوجين في فقدان الأبناء لتوازنهم النفسي أو قدرا منه.

فتش عن السبب

دوما يرجع السبب في هذه الظاهرة إلى الجهل بمفهوم الحقوق الزوجية، وعدم مراعاة معايير الاحترام والثقة والإخلاص، بسبب ضعف الالتزام بالأحكام والأخلاق الإسلامية .. فالتفكك الأسري يرجع إلى الابتعاد عن الالتزام الصحيح بتعاليم الدين، وسيطرة دوافع الأنانية الفردية والخلافات الفكرية والسلوكية بين الزوجين، فكثير من الأزواج يختلفون في أفكارهم وسلوكهم عن التصرفات التي تمارسها الزوجات مما يسبب الخلاف وتفاقم المشاكل بينهما، وقد يؤدي إلى انهيار الأسرة وتفككها.

نتائج سلبية

من الطبيعي أن يختلف الوالدان حول أمر ما، ولكن من غير المستحب أن يتشاجرا أمام الأبناء، لما في ذلك من أضرار نفسية واجتماعية عليهم .. فالطفل عندما يرى ويسمع الخلاف بين والديه، قد يكون فكرة سلبية عن الحياة الزوجية، خصوصاً إذا انتهى النقاش بعنف قد تنتج عنه أضرار جسدية، ناهيك عن الأضرار النفسية.

ومن ناحية أخرى فإن الاختلاف في الرأي أمام الأطفال قد يتمخض عن انقسام الأطفال إلى جانب أحد الوالدين، مما يؤدي إلى مشاكل في الاتصال والتفاعل بين أفراد الأسرة، هذا بالإضافة إلى أن الفائز دائماً أو (غالباً) بعد الاختلاف يعطي انطباعاً لدى الأبناء بأنه الأقوى، في حين يرى الأبناء الطرف الخاسر على أنه ضعيف وجدير بالشفقة.

كما أن للمشكلات الأسرية تأثيراً كبيراً على التحصيل الدراسي للأبناء؛ فقد يعتقد البعض أن اهتمام الوالدين المادي بتدريس أبنائهم من المفترض أن يجعلهم في صفوف متقدمة، إلا أن الحالة النفسية التي يعيشها الطفل في المنزل تؤثر بشكل مباشر أو غير مباشر على أدائه الدراسي، لأن الطفل ليس كالكبير بإمكانه أن يفصل بين دراسته وهمومه المنزلية خاصة في مرحلة تكوينه النفسي والاجتماعي. والمحصلة النهائية .. تعثر الطفل الدراسي، الذي يعد ظاهرة مرضية، وأحد الاضطرابات التي تؤدي إلى إصابة الطفل بعدم المقدرة على ترجمة ما يراه أو يسمعه، أو عدم قدرة الطفل على ربط المعلومات في ذهنه.

على الجانب الآخر

من أبرز خصائص شخصية الطفل الذي ينشأ في أحضان والدين متناغمين في أفكارهما وسلوكهما:

«أولاً» الهدوء النفسي: فمما لا شك فيه أن الطفل الذي يعيش في مناخ دفى بما يشيع من حب بين والديه، يكون متمتعاً بالهدوء النفسي، وغياب الغليان الداخلي الذي يشمل جميع أنحائه النفسية، والشخص الهادئ نفسياً تجد ملامح وجهه تدل على تمتعه بذلك الهدوء، كما أن صوته ونبراته والألفاظ التي يستخدمها والإشارات التي يستعين بها لإيصال المعاني والانفعالات المتباينة تكون متسمة بالهدوء كذلك، أو على الأقل تكون موظفة التوظيف السليم والناجع لمواقف الحياة المتباينة .

«ثانياً» اتساق السلوك: الشخص الذي يترعرع في بيئة أسرية مفعمة بالحب يكون صاحب سلوك متسق بحيث يمكنك التنبؤ بتصرفاته، فهو لا يصدر سلوكاً مفاجئاً .. إنه لا يغضب بغير سبب واضح، ولا يقلب ظهر المجن لأصحابه وزملائه فجأة وبغير سابق إنذار. ذلك أن الحب وما يترتب عليه من آثار سلوكية يجعل تصرفات المرء كقطعة موسيقية خالية من النشاز والمفاجئات المؤذية للشعور.

«ثالثاً» إشاعة السعادة حول المرء: الطفل الذي ينشأ في جو نفسي سعيد، يكون بالتالي راغباً في إسعاد الآخرين، ذلك أن الحب الذي عاش في ظله وترعرع في أحضانه يجعله شاعراً بالبهجة الداخلية. ومن المعروف أن الشخص المبتهج السعيد يمنح الآخرين من مخالطيه قبساً من نور بهجته .. إنه يريد إسعاد الجميع، فهو يخفف دمة الباكي، ويلطف من بؤس

البائس، ويبحث جاهدا عن أسباب السعادة التي يمكن أن يوفرها لجميع المحيطين به. فهو لا يكره أحدا، بل يحب الجميع.

«رابعاً» الخلو من العقد النفسية: الواقع أن العقد النفسية والانحرافات السلوكية المصاحبة لها لا تصيب الشخص الذي تمتع بالحب في طفولته .. فالحاجات الأساسية – وعلى رأسها حاجة الطفل إلى أن يحب وأن يحب- تكون قد أشبعت ولم يستشعر الحرمان الوجداني، ونحن نعرف أن المصابين بالانحرافات النفسية هم أولئك الذين حرموا من الحب الوارد إليهم والصادر عنهم خلال مراحل حياتهم الأولى، بدءاً بالطفولة الأولى التي تبدأ منذ الميلاد وحتى الخامسة.

«خامساً» الفكر البناء الايجابي: صاحب الطفولة السعيدة بحب الوالدين بعضهما لبعض يكون شخصية بناءة وإيجابية .. إنه لا يعمل على هدم أحد، بل يسعى جاهدا لمساعدة جميع المحيطين به على بناء أنفسهم وتقوية دعائمها.

وقفة هامة

لابد لنا من وقفة مع أنفسنا، ومراقبة دقيقة لردود أفعالنا إزاء تربيتهنا لأبنائنا، والأخذ بالحسبان هموم الأطفال، والامتناع عن النقاش والجدال أمامهم، وضرورة بقاء هيبة الوالدين في نفوسهم ودوام محبتهم. فيجب على الزوجة أن تتجنب الدخول في مناقشة قد تحتل الاختلاف في الرأي مع الزوج أمام الأطفال، خاصة إذا كانت تعلم أن زوجها عنيد ويتعمد مخالفتها في الرأي، أما إذا احتدم الخلاف على غير المتوقع فينبغي

إنهاء المناقشة في هذا الوقت وتأجيلها إلى وقت لاحق لا يتواجد فيه الأطفال.

ومن الضروري أيضاً أن نتحدث الأم إلى أطفالها وتوضح لهم أن الخلاف بين الأب والأم أمر طبيعي، وتستمع إلى ردودهم حول هذا الشأن حتى تتأكد من عدم تأثير خلافاتها مع الأب عليهم، أو تتدارك الموقف إذا أحست أن صورة الوالدين بدأت تهتز عند أبنائها.

ومن المهم أن تراعي الأم عدم اتخاذ أي قرار وحدها دون علم الزوج، وإذا كانت تعلم أن الزوج سيخالفها فمن الأفضل أن تخبر الأبناء بأنها ستفكر في الأمر وتناقشه مع أبيهم ثم تخبرهم بالقرار النهائي، وبذلك تكون قد تفادت حدوث أي شجار أمام الأبناء قد يؤثر سلباً على صورتها ومكانتها كأم، وفي الوقت نفسه يتعلم الأبناء أن بعض القرارات تحتاج إلى استشارة الآخرين، كما أن النقاش والاستماع للرأي عادة صحية لا تعني السلبية أو التبعية.

ويحسن أن لا يخالف أحد الوالدين الآخر في الأمر الذي وجهه إلى الطفل، ويؤجل معارضته له إلى ما بعد قيام الطفل بالأمر وفي غيبته حتى لا يشهد خلاف أبويه. ومثال ذلك: أن تفاجأ الأم بأن الأب يكلف ولدها بحمل شيء ونقله إلى مكان آخر .. فهي ترى أن هذا الشيء ثقيل جداً على الطفل، وأن وزنه لا يتناسب مع سنه .. من الخطأ هنا أن تقول الأم للأب أمام طفلها: أليس في قلبك رحمة .. كيف تريده أن يحمل هذا؟! .. إنه ما زال صغيراً! بل يجب عليها أن تنتظر لتفتاح زوجها بهدوء في غياب

الطفل، وليس أمامه. وتشرح له كيف أن تكليفه غير مناسب لسن ولدهما ..
وإذا كانت خشيتها على الطفل تدفعها لعدم الانتظار، فيمكنها أن تقوم
بمساعدة الطفل في حمل ما كلفه به أبوه أو حمله عنه، دون أن تطلب منه
رفض أمر أبيه له.

**وأخيراً نرشد كل زوج وزوجة، أن يضعوا النصائح الآتية في
اعتبارهما عندما يتجادلان في المرة القادمة:**

- تحدثا: غالباً ما يساعد الحديث والمناقشة على حل الأمور، على عكس
الشجار الذي لا يوصل عادةً إلى أية نتائج إيجابية.
- أنهيا الجدل وكل منكما يشعر أنه منتصر وليس هناك خاسر: بهذه
الطريقة يكون كلا من الزوجين قد عبر عن وجهة نظره، وتم التوصل إلى
حل وسط يرضى الطرفين .. فهذا خير من أن يتكون لدى أحد الطرفين
شعور بالضيق إذا شعر أنه قد «خسر» وأن الطرف الآخر هو «الفائز».
- تكلموا في الموضوع الآن: أي موضوع الجدل، ولا توسعوا نطاق
الجدال ليشمل خلافات الأسبوع أو الشهر أو العام الماضي.
- تحدثا بنبرة هادئة ومحترمة: لا تصرخا، لأن الصراخ لن يؤدي إلا
إلى محاولة الدفاع عن النفس وعرقلة التواصل، واختاراً الوقت والمكان
المناسبين للحديث، أي عندما يكون كل منكما مرتاحاً وغير مرهق وغير
قلق من أمر آخر .. هذه العوامل ستعوق النقاش الإيجابي، فإذا لم تستطع
الاستمرار في المناقشة بشكل إيجابي وودي، فتوقفا عن النقاش وواصله
في وقت لاحق.

- تجنبنا اللوم: استخدمنا عبارات توضح مشاعركما بدلاً من استخدام عبارات الاتهام لبعضكما.
- اقصرا الخلاف عليكما ولا تقحما فيه طرفاً ثالثاً، مثل: أحد الإخوة أو الأصدقاء.
- لا تقاطعا بعضكما البعض: يجب أن يستمتع كل منكما للآخر، وأن يعطى للطرف الآخر الوقت الكافي لعرض وجهة نظره .. هذا النوع من الاحترام يعطى إحساساً للمرء بأن وجهة نظر مهمة وتنال الاهتمام والتقدير.
- لا تدعا الجدل يطول: عادةً يكون من الأفضل تقصير مدة الجدل واستئنافه في وقت لاحق، مع الاتفاق على ألا يحمل أي منكما للآخر أي ضغينة خلال هذه المدة.
- لا تستسلما وتنسحبا في وسط المجادلة أو المناقشة، كما لا يجب اللجوء للتهديدات، مثل: التهديد بالانفصال .. فعادةً ما تكون هذه التهديدات غير واقعية، وتوسع حجم الشقاق، ولا تؤدي إلى الوصول لأي حلول.
- لا تستخدمنا أسلوب السخرية والتقليل من شأن بعضكما البعض، فهذا سيزيد من مشاعر الضيق عندكما.
- بعد كل خلاف بينكما -وقبل الوصول لأي قرار أو حل- من المهم أن يأخذ الطرفان وقتاً كافياً للتفكير في كل ما قيل وتمت مناقشته .. هذه الطريقة تمنحكما وقتاً للتفكير بشكل جيد في النقاط التي نوقشت والبدائل التي طرحت.

- لا تنسيا التسامح، ولا تجعلا كبرياءكما يمنعكما من طلب السماح: فكل الأزواج يختلفون ويتجادلون، وعادةً لا تكون المشكلة في موضوع الخلاف، بل في الصعوبات التي تنشأ من عدم قدرة أحد الطرفين أو كلاهما على الاختلاف بشكل فعال ومحترم.
- اتسما بالمرونة، وأظهرا استعدادكما لقبول حلول وسط تمكنكما من عمل قائمة بالحلول البديلة التي لديكما استعداد لتجربتها، ولا تنسيا أن أغلب المشكلات عادةً ما يكون لها أكثر من حل، المهم هو الوصول للحلول التي ترضى الطرفين.

اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم

حديث شريف

(البخاري ٢٣٩٨)

العدل بين الأولاد .. الفضيلة الخفية

لما كان عقوق الآباء محرم، ومن أكبر الكبائر، كان كل ما يؤدي إلى العقوق حرام، ومن أعظم الوسائل لذلك «عدم العدل بين الأولاد»، فالتمييز بين الأولاد والتفريق بينهم في المعاملة وسائر أمور الحياة من أهم أسباب العقوق، ودافع للكره والعداوة بين الأخوة^(١)، وعامل مهم من عوامل الشعور بالنقص الذاتي عند الابن .. بل إن ظاهرة «التفريق بين الأولاد» من أخطر الظواهر النفسية في تعقيد الولد وانحرافه، وربما تحوله إلى حياة الرذيلة والشقاء والإجرام .. إن المفاضلة بين الأولاد انحراف عن منهج الشريعة القويم، والصراط المستقيم، ونتائجها خطيرة قد تؤدي إلى «القتل» -والعياذ بالله- والواقع خير شاهد على ذلك.

والمفاضلة تختلف، فمنها: المفاضلة في العطاء، والمفاضلة في المعاملة، والمفاضلة في المحبة، أو غير ذلك من المفاضلة والتمييز الذي ذمه الشرع وحرمه ومنعه، لما يسببه من نتائج وخيمة، وعواقب جسيمة. فكم هي المآسي والأحزان التي تعج بها بعض البيوت نتيجة للظلم والتمييز بين الأبناء، مما تسبب في وجود الكراهية والبغضاء بين الأخوة في البيت الواحد، والسبب هم الآباء، وعدم اتباع هدي الكتاب والسنة في

(١) ولنا في قصة يوسف عليه السلام العظة والعبرة، فقد ظهرت علامات النبوة على يوسف والتي لمسها الأب في صغيره بفراسته، ولذلك أغدق الحب والحنان عليه، الأمر الذي رفض من قبل إخوته، فكبرت الأحقاد في قلوبهم، وتضخمت حتى بيتوا النية للخلاص منه من أجل أن يحظوا بحنان الأب وعطفه.

مثل تلك الأمور والمنحدرات الخطيرة التي تؤدي بالأسرة إلى الهاوية والعياذ بالله.

وإجمالاً نجد أن ظاهرة «التفريق بين الأولاد» لها أسوأ النتائج في انحرافات السلوكية والنفسية، لأنها تولد الحسد والكراهية، وتسبب الخوف والحياء، والانطواء والبكاء، وتورث حب الاعتداء على الآخرين، وقد يؤدي التفريق بين الأولاد إلى المخاوف الليلية، والإصابات العصبية، وغير ذلك من الأمراض الغير عضوية، مما يضطر الكثير منهم إلى مراجعة مستشفيات الصحة النفسية.^(١)

رؤية شرعية

العدل بين الأبناء لا يتحقق إلا بالمساواة بينهم العطية والهدية والمنحة، فضلاً عن العدل في الانتباه وحسن الإصغاء والاستماع والاهتمام وتوزيع النظرات والاستشارة، وحتى المساواة بينهم في الضحك معهم على نفس المستوى، وتوزيع كلمات المحبة والثناء بينهم بالسوية...

١- عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، قال رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «إِنَّ الْمَقْسُطِينَ عِنْدَ اللَّهِ عَلَى مَنَابِرٍ مِنْ نُورٍ عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ عِزٍّ وَجَلٍّ، وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ، الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُوا»^(٢).

(١) ويقول الأطباء النفسيون: إن التفرقة بين الأبناء تضر بالابن الذي يُهْتَمُّ به مثل ما تضر الذي يُهْمَل، فالأول يبدأ بشعر الغرور والأنفة، ويستصحب ذلك معه طيلة عمره، ثم يكون هذا الغرور وبالأعلى أبيه أو أمه الذي ميزته عن إخوته، أما الابن الذي يتعرض للإهمال فإنه يُصاب بعدد من الأمراض النفسية، وتستمر معه أيضاً لفترات طويلة، ويبدأ في كره أمه أو أبيه الذي ميز إخوته عنه.

(٢) أخرجه مسلم ١٨٢٧ واللفظ له والنسائي.

٢- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «إن الرجل ليعمل بعمل أهل الخير سبعين سنة، فإذا أوصى وصية حاف في وصيته فيختم له بشر عمله، فيدخل النار، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل الشر سبعين سنة، فيعدل في وصيته فيختم له بخير عمله، فيدخل الجنة». قال أبو هريرة: واقرءوا إن شئتم: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ [النساء: ١٣ - ١٤] ^(١)

٣- وعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما، أن أمه بنت رواحة سألت أباه بعض الموهوبة من ماله لابنها، فالتوى بها سنة، ثم بدا له، فقالت: لا أَرْضَى حتى تُشَهِد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- على ما وهبت لابني، فأخذ أبي بيدي، وأنا غلام، فأتى رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فقال: يا رسول الله، إن أم هذا، بنت رواحة، أعجبها أن أشهدك على الذي وهبت لابنها، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «يا بشير ألك ولد سوى هذا؟» قال: نعم، فقال: «أكلهم وهبت له مثل هذا؟» قال: لا، قال: «فلا تشهدي إذاً، فإني لا أشهد على جور» ^(٢).

٤- وفي رواية: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «فكل بنيك نحلث مثل الذي نحلث النعمان؟» قال: لا، قال: «فأشهد على هذا غيري»،

(٢) أخرجه أبو داود والترمذي وقال: حديث حسن صحيح غريب. وأشار أحمد شاكر إلى صحته في مقدمة عمدة التفسير ٢١٧/١
(١) أخرجه مسلم ١٦٢٣

قال: «أليس يسرك أن يكونوا لك في البر سواء؟» قال: بلى، قال: «فلا إذاً»^(١).

٥- وروي عن عمر بن عبد العزيز -رحمه الله- أنه ضم ابناً له، وكان يحبه، فقال: يا فلان، والله إنني لأحبك، وما أستطيع أن أوثرك على أخيك بلقمة^(٢).

أحكام مهمة

١- تفضيل بعض الأبناء على بعض لا يجوز، وإنما المشروع في عطية الأولاد هو التسوية بينهم في العطاء على السواء، ولا يجوز التفضيل إلا لمسوغ شرعي، كأن يكون أحدهم مقعداً لا يستطيع العمل، أو كونه صاحب عائلة كبيرة ولا يكفي راتبه بالإنفاق عليهم، أو كونه مشغولاً بطلب العلم .. وتصرف العطية عن بعض الأولاد بسبب فسقه ومعاصيه، أو عقوقه لواليه، أو بدعته، أو لكونه يعصي الله فيما يأخذه من العطية والهيئة. وهذا هو قول الإمام أحمد رحمه الله، فإنه قال في تخصيص أحدهم بالوقف: لا بأس إذا كان حاجة، وأكرهه إذا كان على سبيل الأثرة - يعني الإيثار -، والعطية في معناه. ويجوز التفضيل إذا سمح بقية الأخوة بذلك. أو كان أحد الأبناء يقوم على خدمة والده أو والدته والقيام بشؤونه، فيجوز إعطاؤه بقدر أجره المثل ولا يزيد على ذلك، حتى لا يقع في التفضيل.

(٢) ابن ماجه ١٩٣٦
(٣) إسناده مقبول

٢- من أراد قسمة شيء من ماله بين أولاده فيجب عليه أن يقسمه بين الذكور والإناث مثل الميراث، «لذكر مثل حظ الأنثيين»، وقال بعض العلماء: بل يقسمه بالتساوي في حياته، أما بعد الممات فيكون القسم للذكر مثل حظ الأنثيين كما أمر الله به، وهذا مقتضى العدل، ولعل الصواب في ذلك القول الثاني والعلم عند الله تعالى، وهو أن يقسمه بالتساوي، لما دل عليه حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما بعدم التفريق بين الذكر والأنثى، وهذا هو قول جمهور العلماء.

والذي اختارته اللجنة الدائمة للذكر مثل حظ الأنثيين، لقول عطاء رحمه الله: ما كانوا يقسمونه إلا على كتاب الله تعالى. وهذا مذهب الحنابلة ومحمد بن الحسن من الحنفية، وقالوا: أن المشروع في عطية الأولاد القسمة بينهم على قدر ميراثهم، أي للذكر مثل حظ الأنثيين، لأن الله سبحانه وتعالى قسم لهم في الإرث هكذا، وهو خير الحاكمين، وهو العدل المطلوب بين الأولاد في الهبات والعطايا، فلو بقي هذا العطاء إلى ما بعد وفاة المعطي فإنه سيقسم وفق المواريث، أي للذكر مثل حظ الأنثيين، فالله أعدل الحاكمين، وقد حكم بذلك بين الأولاد، فكان من الواجب اتباع الكتاب والسنة في ذلك.

٣- ولا يجب على الإنسان التسوية بين أقاربه، ولا إعطاؤهم على قدر ميراثهم، لأن الأصل إباحة الإنسان التصرف في ماله كيف شاء، ولا يصح قياسهم على الأولاد، وهذا هو القول الراجح.^(١)

(١) توضيح الأحكام ٢٦٦/٤

٤- فإن كان في بطن الأم حملاً، فإنه ينتظر حتى يوضع فيقسم له مع أخوته بالتساوي.

٥- ولا تجوز الزيادة لأحد من الأبناء على أحد باسم صدقة أو هبة أو بيع بأقل من ثمن المثل، إلا إذا سمح الآخرون، وكانوا راشدين، ويسري سماح كل واحد في حقه دون حق غيره، فلا ينوب أحد عن أحد في التنازل.

٦- ويحرم كتابة بيع وشراء صوري لا حقيقة له، لأحد الأبناء دون الآخرين، لأنه من الظلم والجور، والتعدي على حقوق الآخرين. أما إن كان البيع حقيقياً فلا بأس بذلك، لأن الابن في ذلك مثل الغريب في البيع والشراء.

٧- والأفضل أن يترك الوالد قسمة أمواله إلى ما بعد موته، حتى تكون ميراثاً للأبناء والبنات من بعده، توزع وفق الشرع المطهر، ويخرج من تبعة القسمة الغير عادلة.

٨- ومن أصر على توزيع ماله على بعض أبنائه دون بعض أو تفضيل بعضهم على بعض، فهو آثم والعياذ بالله، وعليه أن يتق الله تعالى في أولاده وأن يعدل بينهم، كما يحب هو أين يكونوا في بره سواء، ومن أخذ شيئاً من الأبناء مما لا يحل له، فهو آثم لمشاركته في الإثم والعدوان، وجور الوالد أو الوالدة في العطية ليس مسوغاً شرعياً بقبولها، قال تعالى:

﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [المائدة: ٢٠]، ومن أخذ أكثر من إخوانه يجب عليه رد الزيادة، أو قبولها إذا كان في رده إغضاباً لوالديه، ومن ثم توزيعها بالتساوي مع

إخوته، براءة للذمة، وإنصافاً لإخوانه، ورأفة بالوالد أو الوالدة من عقوبة الحيف والجور في العطاء.

٩- وإذا تنبّه الأب إلى أنّ أعطيته لبعض أولاده، فإنّه بين أمرين: إمّا أن يزيد الآخرين ويُعطيهم مثلاً أعطى غيرهم، أو يستردّ أعطيته ممن زاده أو خصّه بشيء دون سبب شرعي، ولا يُعتبر في هذه الحالة داخلاً في النهي عن استرداد العطية وتشبيهه الفاعل بالكلب يعود في قبئه وذلك لأنّ النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: «لَا يَحِلُّ لِرَجُلٍ أَنْ يُعْطِيَ عَطِيَّةً أَوْ يَهَبَ هِبَةً فَيَرْجِعَ فِيهَا إِلَّا الْوَالِدُ فِيمَا يُعْطِي وَلَدَهُ»^(١)، وتصحيح الخطأ وردّ الأمور إلى نصابها مما يُحمد عليه الأب.

الفرق بين النفقة والحاجة والعطية

وهناك فرق بين الإنفاق والعطية، فالإنفاق واجب على الوالد تجاه أولاده، وليس بشرط أن يعدل بينهم في الإنفاق، فقد يحتاج أحدهم إلى أكثر مما يحتاجه الآخرين، فمثلاً قد يكون أحدهم طالباً في جامعة أو كلية والآخرين في الابتدائي أو المتوسط، فلا شك أن طالب الجامعة يحتاج من المصاريف أكثر مما يحتاجه من هو أقل منه تعليمياً، وقد يكون أحدهم طويلاً، والآخر قصيراً، فيحتاج الطويل إلى خمسة أمتار من القماش، ويحتاج الآخر إلى ثلاثة مثلاً، فلا يلزم التسوية بينهم في ذلك، لأنه هذا من قبيل الإنفاق وليس من جهة العطية والهبة، وكذلك قد يكون أحدهم محتاجاً إلى الزواج ووالده قادر على تزويجه، فيجب عليه أن يزوج ابنه ما دام أن

(١) رواه أبو داود ٣٠٧٢ وابن ماجه وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه (٢٣٧٧)

الولد محتاج إلى الزواج، وما يعطيه الوالد لولده من أجل تكاليف الزواج من باب النفقة، وليس من باب الهبة والعطية، وعلى ذلك فلا يلزم الوالد أن يعطي البقية مثل ما دفعه مهراً لأخيهم، بل إذا كان قادراً على تزويجهم زوجهم كل حسب المهر المطلوب، فالمهر قد يكون غالباً أو رخيصاً، وكذلك لو احتاج أحد لأبناء إلى العلاج فدفع الأب تكاليف العلاج، فإنه لا يلزمه أن يعطي بقية أولاده مثل ما دفعه لعلاج أخيهم لأن تلك التكاليف كانت لحاجة، وكذلك ما يعطيه الأب لأولاده في المدارس من نقود فلا تجب التسوية بينهم في ذلك، لأن طالب الابتدائي لا يحتاج إلى ما يحتاج إليه طالب المتوسط والثانوي، فهذه أمور احتياجية وليست من باب الهبة والعطية، فالأمر بحسبها .. المقصود من ذلك، أن هناك فرق بين النفقة والحاجة، وبين العطية والهبة من حيث التسوية فيهما بين الأولاد.

لكن ثمة مسألة مهمة: وهي أن الأب قد يرسل أحد أبنائه لشراء شيء ما، فيشتري الابن تلك السلعة، ويبقى معه بعض النقود، فهنا قد يقول الأب، خذ الباقي، فهذا لا يجوز حتى يعطي بقية أولاده مثله، وإلا فإن الوالد يأخذ الباقي، من باب العدل بين الأولاد.

فتاوى هامة

- أنا رجل صاحب مال، ولي أولاد، وبعضهم يتهرب من خدمتي، ورعاية مصالح مالي، ومنهم واحد مخلص معي، وقائم بأعمالي الخاصة والعامة، فهل يجوز لي أن أعطيه شيئاً يختص به، إما دفعة واحدة أو

أخصص له راتباً شهرياً زيادة على إخوانه، أم لا، وأنا قصدي العدل،
وبراءة الذمة، مع مكافأة الولد المحسن على إحسانه؟

المفتي / عبد الله بن عبد العزيز العجيل

الله تعالى أوجب العدل على الآباء، والنبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-
يقول: «اتقوا الله، واعدلوا بين أولادكم»^(١)، كما يجب على الأبناء البر
بأبيهم، وخدمته، والإحسان إليه كما أمر الله.

وهذه المسألة كثيرة الوقوع، وقد سئل شيخنا عبد الرحمن بن سعدي
عن مثلها فأجاب^(٢) بما نصه:

الابن المذكور له حالة عالية محمودة، وحالة لا حرج عليه فيها، ولا
يلازم عليها، أما الحالة العالية: فهو أنه يبقى على خدمة والده، والقيام
بأشغاله، يرجو بذلك الأجر من الله، والبر بوالده وإخوانه، ويحمد الله تعالى
أنه وفق لهذه الحالة التي هو عليها، ومن كانت هذه نيته فهو غانم للأجر،
وعاقبته حميدة.

وأما الحالة الأخرى: فهو إذا لم يرغب إلا أن يكون لقيامه بأشغال
والده له على ذلك مصلحة، فالطريق في ذلك أن يعقد معه أبوه عقد إجارة
كل شهر، أو كل سنة، بشيء معين، مثلما يأخذ غيره من الناس، فهذا يصير
مثل الأجير مشاهرة، أو مدة يتفقان عليها.

(١) البخاري (٢٥٨٧)، وأحمد (٧٥/٤)، وأبو داود (٣٥٤٤)، والنسائي (٢٦٢/٦)
(٢) الفتاوى السعدية (٣٢٦/٧)

وأما تخصيص المبلغ المذكور زيادة على إخوته فهذا ما يصلح؛ لأنه لا يدري هل هو مقدار استحقاقه، أو أقل، أو أكثر، وأيضا وسيلة إلى محاباته، ووسيلة إلى أنه يُنسب إلى الحيف، والتخصيص لبعض أولاده دون بعض بخلاف عقد الإجارة، أو غيرها. والله أعلم، وصلى الله على محمد وعلى آله وسلم. أ.هـ.

● يقول السائل والده توفي، وقد قسم تركته بين أولاده الثلاثة وبناته الثلاث قبل موته، لكنه زاد الذكور، فأعطى كل واحد من الذكور الثلاثة قطعة أرض لبنائها، وقام كل واحد منهم ببناء أرضه وسكنها هو وأولاده، فهل للأخوات حق في تلك الأراضي ؟

الجواب:

إذا كانت الأخوات قد رضين بذلك، فلا حرج عليكم، وإن كن لم يرضين فالواجب إعطاؤهن حقهن من الأرض مقسماً لهن على حساب الميراث، للذكر مثل حظ الأنثيين.^(١)

● امرأة لها أولاد غير أشقاء، فخصت أحد الأولاد وتصدقت عليه بحصة من ملكها دون بقية إخوته، ثم توفيت المذكورة وهي مقيمة بالمكان المتصدق به. فهل تصح الصدقة أم لا؟

الجواب:

(١) فتاوى اللجنة الدائمة ٢٣٧/١٦

الحمد لله. إذا لم يقبضها حتى ماتت بطلت الهبة في المشهور من مذهب الأئمة الأربعة، وإن أقبضته إياه لم يجز على الصحيح أن يختص به الموهوب له، بل يكون مشتركاً بينه وبين إخوته. والله أعلم.^(١)

• هل يجوز للوالدين أن يجهزا الصبيان بشقق الزواج، بينما يجهزا البنات بحوالي نصف القيمة تقريباً، وجميع الأبناء ليس لهم دخل، أم أن ذلك يعد من قبيل الهبة غير المتساوية؟

المجيب: فضيلة الشيخ أ.د. سليمان العيسى

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

إن جمهور العلماء رحمهم الله على أنه لا يجب التسوية بين الأولاد في النفقة والكسوة والسكن ولا التعديل بينهم بقدر ميراثهم بل يجب ذلك لكل من المحتاجين حسب كفايته وحاجته لأن النفقة والكسوة والسكنى وما يلحق بها إنما شرعت لدفع الحاجة فلا تلزم التسوية بينهم فيها بل كل فيما يخصه، وهي تختلف باختلاف حالهم فحاجة الذكر ليست كحاجة الأنثى وبالعكس، وحاجة الكبير ليست كحاجة الصغير، وبناءً عليه فللوالدين أن يجهزا من بلغ سن النكاح بما يحتاجه من سكن وغيره مما تدعوا الحاجة إليه.

أما الهبة والعطية فيجب العدل فيها، وكيفيته على القول الراجح في نظري من قولي العلماء أن تكون على قسمة الله للميراث للذكر مثل حظ

(٢) مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية ٢٧٢/٣١

الأنثيين. وقد صح عن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أنه قال: «اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم»، والله أعلم^(١).^(٢)

(١) موقع المسلم على الإنترنت/ التفاضل في عطية الأولاد

(٢) من مصادر البحث

- العدل بين الأولاد يحيى بن موسى الزهراني / إمام الجامع الكبير بنبوك
- اتقوا الله .. واعدلوا بين أبنائكم الشيخ/ محمد صالح المنجد

أساليب التأديب

- القسوة في التربية .. أسهل الطرق أصعب النتائج
- ليست العصا لكل من عصى
- سلوكيات تربوية خاطئة

القسوة في التربية .. أسهل الطرق أصعب النتائج

القسوة أو التربية الصارمة تؤدي لا محالة إلى خلق ضمير صارم أرعن، يحاسب الطفل على كل صغيرة وكبيرة، كما أنها تولد في نفسية الطفل الكراهية للسلطة الأبوية وكل ما يشبهها أو يمثلها، فيتخذ الطفل من الكبار ومن المجتمع عامه موقفا عدائيا يدفعه إلى الجنوح، وهذا ما يلقي الشك على الرأي الشائع بأن جنوح الأحداث يرجع إلى انعدام الضبط والعقاب.

وقد يستسلم الطفل أو يستكين للقسوة ويطيع، لكنها طاعة مصطبغة بالحقد والنقمة وتحين الفرص لارتكاب العمل المحظور، لا حبا فيه بل انتقاما لنفسه، فإذا هو يلتبس الملذات خلسة، أو يكف وجهه عن أغلب وجوه نشاطه لأنه لا يعمل شيئا إلا عوقب عليه، أو يرى الخلاص في تملق والده فيأخذ في تزلفه ويجد لذة في الخنوع.

ومثل هذا الموقف السلبي يمنع الطفل من تقمص صفات النضج، ويميت ثقته بنفسه، ويبث فيه الشعور بالنقص، ويقتل فيه روح المبادرة والاستقلال، ويجعله عاجزا عن الدفاع عن أبسط حقوقه.

قد يعلل الكبار قسوتهم على أطفالهم بأنهم يحاولون دفعهم إلى المثالية في السلوك والمعاملة والدراسة .. ولكن هذه القسوة غالبا ما تأتي برد فعل عكسي، فيكره الطفل الدراسة أو يمتنع عن تحمل المسؤوليات، أو يصاب بنوع من البلادة، كما أنه يمتص انفعالات وعصبية الكبار فيخترنهما ثم تبدأ

آثارها تظهر عليه مستقبلاً من خلال أعراض «العصاب» الذي ينتج عن صراع انفعالي داخل الطفل.

وقد يؤدي هذا الصراع إلى الكبت، خاصة وأن دراسة أمريكية حديثة أوضحت أن الأطفال الذين تعرضوا لإيذاء بدني تزيد لديهم مخاطر الإصابة باكتئاب خطير على مدى حياتهم بنسبة ٥٩ % مقارنة مع نظرائهم من الأطفال الذين لم يتعرضوا لهذه الإساءة.

وكانت دراسات سابقة قد ربطت بين إساءة المعاملة في الطفولة وبين الاكتئاب الحاد، لكن الباحثين قالوا إن هذه الدراسة هي الأولى التي توضح أن الاكتئاب هو نتيجة للمعاملة السيئة.

وقالت رئيسة فريق الباحثين «كاثي سباتز ويدوم» بكلية طب ولاية (نيوجيرسي) الأمريكية: «هذه النتائج تركز على الحاجة لتحديد ومعالجة الآثار النفسية على المدى الطويل الناجمة عن إهمال الأطفال».

الطريق الأفضل

ليس للتربية طريقة واحدة صائبة، بل هناك طرق عدة، وما يصلح لطفل ما، لا يجوز أن ننصح باتباعه مع طفل آخر. ولذا فمسألة النصيحة المتوارثة عبر الأجيال تحتاج منا لوقفة مراجعة، فما كان بالأمس صالحاً، هناك احتمال أكبر اليوم لعدم صلاحيته.

ولذا علينا قبل تطبيق النصائح أن ندرسها أولاً ونختبر مدى ملاءمتها لطبيعة طفلنا، بل ولطبيعة سياستنا تجاه الطفل.

كما أن التربية لا علاقة لها بالإجبار؛ فنحن نضع قوانين لتنظم حياة الطفل، وليس لتكبله وتخنقه. فوضع قوانين للطفل ونظام يومي ثابت تمنعه من الوقوع في حيرة، وتكسبه بالتدريج نظامًا داخليًا للضبط الذاتي. وإذا ما كنا نرغب في أن يكون أبنائنا لهم شخصية قوية، فأول ما يجب علينا فعله هو بناء ثقتهم بأنفسهم، وبناء الحب بيننا وبينهم، ثم بناء مهاراتهم.

إن التربية والتهديب لا تعني أن نجعل الطفل إما أن ينفذ ما نريد وإما أن نعاقبه! ولكن التربية هي أن نعلمه ونوجهه ونبين له خطأه الذي وقع فيه، وندله على أسباب هذا الخطأ، وندله على السبيل الذي يمكنه من خلاله مواجهة أخطائه، وتعيده على ضبط نفسه في المواقف المختلفة، وكيف يجب أن يتصرف إذا تعرض للخطأ مرة أخرى، ونطبق ذلك على جميع المواقف التي قد يتعرض لها الطفل بحكمة.

التربية بالعواقب لا بالعقاب

سياستنا التربوية يجب أن تكون على أساس واضح من أهدافنا التربوية. وهذا ما يحدد لنا ما هي المناطق التي نتمسك فيها بالقوانين التي نضعها؛ ومتى يمكننا أن نتفاوض حولها فننتلأفى صراع السلطة الذي يوصلنا لهذه النتائج المخيفة.

فمن المهم وضع ضوابط محددة للطفل، وهذه الضوابط توضع لغرض تعليم الطفل كيفية اتخاذ القرار بنفسه، ومن بعد ذلك عواقب الاختيار.

وضمن هذه التربية «التربية بالعواقب الطبيعية» مثل إصرار الطفل -مثلاً- على ارتداء ملابس صوفية في وقت الحر، فيشعر بالحرارة، ومن ثم يقلع بذاته عن لبس هذا النوع من الملابس مرة أخرى في هذا التوقيت. أو أن يكون هناك دواعي «أمن الطفل»، فيكون عندها أمر وعقوبة لمخالفة هذا الأمر، مثل: «إذا نزلت بالدراجة إلى عرض الطريق فسترفع الدراجة لمدة يومين».

ثم يجيء بعد ذلك تفاصيل كثيرة لحياتنا مع الطفل، وفي كل موقف نضع قانوناً محدداً حسب حجم هذا الفعل. يجب أن تدرك أيها المربي أن هناك اختلافاً بين إيقاع العقاب وإيقاع العواقب:

«الفارق الأول»: أن العواقب تعلم الطفل ما تريده أنت أن يتعلم، ولكن نادراً مايفعل العقاب ذلك، فمثلاً: لو طلبت من طفلك تنظيم غرفته فلم يقم بذلك، ومن ثم عاقبته أنت بحرمانه من اللعب بالكمبيوتر، هذا العقاب لا يساعده على تعلم تنظيف الغرفة، إنه فقط يضايقه بشدة.

وعلى العكس من ذلك أن تجعل العاقبة هي أن يقوم الطفل بتنظيفها أثناء مراقبتك له، ثم تعود الغرفة إلى عدم الترتيب ويقوم هو بتسويتها مرة أخرى، فهذه العاقبة تعلمه: ماذا تريده أنت أن يفعل؟

«الفارق الثاني»: الطريقة التي يُقدم بها كل منهما، فالعقاب ينطلق دائماً مترافقا مع الغضب، فغالباً ما تصير غاضباً بسبب مشاحنات ابنك أو إحراجك لك، فيكون العقاب الذي يظهر في نوبة من الغضب تنتقل انفعالاتك.

وإظهار الغضب أمر غير جيد؛ لأنه قد يدفع الابن إلى العناد، بل بعض الأطفال يعتبرونه لونًا من ألوان السيطرة؛ لأنك دعوته إلى الصراع معك، وليس إلى تعلم الدرس والاستفادة من الخطأ.

مثال ذلك: حينما لا يقوم ابنك بترتيب حجرته لأنه يلعب على الكمبيوتر، فيرفض تنظيف الحجرة ويتشنج؛ ومن ثم تغضب أنت بشدة وتقوم بتوبيخه وضربه؛ ثم يرجع ابنك إلى اللعب مرة أخرى ولا ينظف حجرته لأن أسلوب التشنج والاستثارة قد أجدى معه.

أما بأسلوب العواقب، فتقول له: «نظف حجرتك في خلال ربع الساعة، وإلا لن تذهب اليوم إلى النادي مع أصدقائك، والأمر بيدك أنت»، فهذا هو أسلوب العواقب بلا غضب ولا انتهاز، وإياك من نسيان الحزم في تطبيق هذه العواقب.

خطوات نافعة للانضباط

إن التأديب لا يعني العقاب أو الضرب، وإن كان كليهما من التأديب. فالتأديب هو: كل الخبرات التي نتعلمها كأباء، ونعلمها لأولادنا لكي يتخذوا قراراتهم بطريقة أفضل.

وهو أيضًا: تعليمهم تحمل المسؤولية، وهو كذلك: تعليمهم الأخلاق الفاضلة، ويشمل أيضًا: استغلال الأحداث في تربيتهم، وهو: استخدام أسلوب القصة معهم، وهو: استخدام الموعظة معهم، ولا يخلو من كونه أيضًا: استخدام العقاب إن احتاج الأمر معهم.

كل هذا، بل وأكثر من هذا داخل تحت معنى التأديب، ولكن السائد عند الآباء أن التأديب يعنى العقاب، وبالتالي يكون هذا هو أيضاً المعنى الراسخ عند أطفالهم، وبالتالي ينعكس هذا المفهوم الخاطئ عن التأديب على سلوك الآباء، وطريقتهم في التأديب، فيكون أول خاطر يخطر على بالهم إذا أخطأ الولد أن يؤدبوه بالعقاب.

ولذلك عليك عزيزي المربي، أن تقبل تغيير هذا المفهوم، «التأديب هو العقاب» بالمفهوم الجديد «العقاب جزء من التأديب» .. فالعملية التأديبية عملية تعليمية، وليست عقابية إلا إذا احتاج الأمر.

(إن الكثيرين من الآباء يختلفون فيما بينهم على ماهية التأديب، فهم يعتقدون بأن الهدف من عملية التأديب، هو عبارة عن التحكم في سلوك الأبناء، دون اهتمام بماهية سلوكهم، ولكن هذا الهدف غير منطقي وبعيد المنال .. إن الهدف من التأديب لا يعني مجرد التحكم في سلوك الأبناء، بل يعني: التعاون. والتعاون يعني: أن يتخير الأولاد سلوكهم بأنفسهم، مما ينتج عنه إدراكهم المتزايد لما يفعلونه، فإن الأمر يبدو جيداً عندما تشعر بحريتك في اختيارك لسلوكك، وهذا هو الهدف من عملية التأديب الجيدة) ^(١).

♦ البداية المبكرة: فكلما استطعنا تعليم الطفل القوانين منذ سن مبكرة، كان أليّن وأسرع في التعلم.

(١) كيف تكون قدوة حسنة لأبنائك، سال سيفير، ص (١٧)

♦ الصغار يقتنعون باللهجة الهادئة الحازمة؛ لأنهم يستشعرون من لهجتنا ونبرة صوتنا الخطر الحقيقي، خاصة إذا ما اعتادوا منا «عدم الرفض» لكل طلباتهم بدون مبرر واضح لديهم.

♦ التعبير الإيجابي له تأثير رائع على الطفل، فابنك - مثلاً - يتحدث الآن بصوت هادئ، اغتنم هذه الفرصة ودعّم هذا السلوك الإيجابي، وامتدح هذا الصوت الناعم الرقيق.. فإذا ما علا صوته مرة أخرى فعليك بأن تذكره كيف كان صوته جميلاً في المرة السابقة. وحين تتحدث مع طفلك كن هادئ قريباً منه، واستخدم لفظ «افعل» بدلاً من «لا تفعل»، أي قل له: «تحدث بصوت هادئ» بدلاً من: «لا تتحدث بصوت عال».

♦ ينبغي دفع الطفل للسلوك الإيجابي من خلال جمل قصيرة وإيجابية وبها طلب محدد، فبدلاً من قولنا: «كن جيداً»، أو «أحسن سلوكك ولا ترمي الكتب»، نقول: «الكتب مكانها الرف».

♦ إلقاء الأوامر طوال اليوم يعمل على توليد المقاومة عند الطفل، ولكن عندما تعطي الطفل سبباً منطقياً لتعاونه، فمن المحتمل جداً أن يتعاون أكثر، فبدلاً من أن نقول للطفل: «اجمع ألعابك»، نقول: «يجب أن تعيد ألعابك مكانها، وإلا ستضيع الأجزاء أو تنكسر»، وإذا رفض الطفل فنقول: «هيا نجعلها معاً»، وبذلك تتحول المهمة إلى لعبة.

♦ قبل أن تذهب للحديقة أو أي مكان عام، حدث طفلك عن ذلك، ووضّح له أنه بإمكانه لعب الكرة، الجري.. لكن لا يمكن خلع حذائه؛ فهذا غير مقبول لأنه ربما تُجرح قدمه، وربما تتسخ.. المهم قدّم له سبباً معقولاً

ومقبولاً، واختصر في توضيحك، فالأطفال عادة لا يحبون الاسترسال في التعليمات والأوامر.

وإذا حاول خلع حذائه – مثلاً - حاول إعطاءه بدائل، واشغله فوراً عن هذا السلوك غير المرغوب، قل له: «ما رأيك أن نلعب بالكرة معاً»، «هيا نتسابق»، «هيا نجري وراء هذه الفراشة» .. وهكذا حاول أن تبتعد عن مواطن الصدام، وحوّل نظره لاتجاه آخر.

♦ كن على طبيعتك مع طفلك، ووضح له الصواب والمرغوب. وإذا أقدم على الخطأ فاشغله عنه، وقدم له البدائل كما أوضحنا في مثال خلعه لحذائه. فإذا كرر الخطأ فنبهه بلطف، ثم كرر التنبيه مرة بعد مرة. فإذا أصرّ عليه بعد ذلك فعاقبه عقاب المحب المشفق وليس عقاب المنتقم، وتذكر دائماً أن العقاب يتعامل مع الماضي، والنظام يتعامل مع الحاضر والمستقبل .. استمر في حبك لطفلك فهو الكنز الحقيقي، ولكن الحب دون تدليل.

♦ اعترف برغبات طفلك، فمن الطبيعي بالنسبة لطفلك أن يتمنى أن يملك كل لعبة في محل اللعب عندما تذهبون للتسوق، وبدلاً من زجره ووصفه بالطماع نقول له: «أنت تتمنى أن تحصل على كل اللعب، ولكن اختر لعبة الآن، وأخرى للمرة القادمة»، وبذلك نتجنب الكثير من المعارك، ونشعر الطفل بأننا نحترم رغبته ونشعر به.

♦ استمع لطفلك وتفهم وجهة نظره، فعادة ما يكون لدى الأطفال سبب للشجار، فاستمع لطفلك، فربما عنده سبب منطقي لعدم طاعة أوامرك فربما حذاؤه يؤلمه أو هناك شيء يضايقه.

♦ حاول الوصول إلى مشاعره .. إذا تعامل طفلك بسوء أدب، فحاول أن تعرف ما الشيء الذي يستجيب له الطفل بفعله هذا، هل رفضت السماح له باللعب على الحاسوب مثلاً؟ وجه الحديث إلى مشاعره بقولك: «لقد رفضت أن أتركك تلعب على الحاسوب فغضبت وليس بإمكانك أن تفعل ما فعلت، ولكن يمكنك أن تقول أنا غاضب»، وبهذا تفرق بين الفعل والشعور، وتوجه سلوكه بطريقة إيجابية. وكن قدوة له، فقل -مثلاً-: «أنا غاضب من أختي، ولذلك سأتصل بها، ونتحدث لحل المشكلة».

♦ تجنب التهديد والرشوة.. إذا كنت تستخدم التهديد باستمرار للحصول على الطاعة، فسيتعلم طفلك أن يتجاهلك حتى تهدديه .. إن التهديدات التي تطلق في ثورة الغضب تكون غير إيجابية، ويتعلم الطفل مع الوقت ألا ينصت لك. كما أن رشوته تعلمه أيضاً ألا يطيعك، حتى يكون السعر ملائماً، فعندما تقول له: «سوف أعطيك لعبة جديدة إذا نظفت غرفتك»، فسيتطوعك من أجل اللعبة لا لكي يساعد أسرته أو يقوم بما عليه.

♦ يؤثر التأنيب في الأطفال حتى سن التاسعة بشكل عام تأثيراً عميقاً، وهو مثله مثل أي شكل من أشكال العقاب، وسيلة سلبية تؤذي الطفل وتشوه شخصيته، فكل ما يفعله التأنيب، هو أن يثقل الطفل بالمسؤولية، ويتهمه بالتقصير وسوء النية، ويجعله يعاني من الشعور بالذنب، ويدينه أنه طفل سيء! فالطفل في ذلك العمر لا يدرك الفرق بين سوء عمله وبين سوء ذاته، ولا يستوعب عملية الفصل بين عمله وذاته، وعقل الطفل في تلك المرحلة يرى أي لوم أو تأنيب دليلاً قاطعاً على أنه طفل سيء، لذلك فإنه

من الضروري جداً أن يتذكر الأهل براءة الأطفال، وحقهم الطبيعي في ارتكاب الأخطاء العفوية.

♦ الدعم الإيجابي .. عندما يرتكب الطفل خطأ ما، عادة يرتكب الآباء خطأ أكبر منه ! ألا وهو تركيز اهتمامهما على الخطأ وعواقبه، مما يكتف المشاعر السلبية في نفسية الطفل، فيزداد توتره واضطرابه ... ولتجنب ذلك، يجب أن يحاول الأبوان التصرف بطريقة إيجابية، وإيجاد حل للمشكلة، فهذا فعلاً ما يساعد الطفل على أن يكون عملياً متعاوناً معك ومتجاوباً مع توجيهاتك، على عكس الطفل الذي يلام ويؤنب فيشعر بالذنب، وتتولد لديه عقدة النقص لافتقاره إلى المزايا التي يتحلى بها الآخرون الذين لا يذنبون، فينغلق على نفسه ويتوقع وحيداً، ظناً منه أن ذلك سيحميه من نقد الآخرين له.

عندما يطيعك طفلك قبله واحتضنه أو امتدح سلوكه «ممتاز، جزاك الله خيراً، عمل رائع..»، وسوف يرغب في فعل ذلك ثانية. ويمكنك أيضاً أن تحد من السلوكيات السلبية، عندما تقول له: «يعجبني أنك تتصرف كرجل كبير ولا تبكي كلما أردت شيئاً».

بعض الآباء يستخدمون الهدايا العينية، مثل نجمة لاصقة، عندما يريدون تشجيع أبنائهم لأداء مهمة معينة، مثل: «حفظ القرآن»، ويقومون بوضع لوحة، وفي كل مرة ينجح فيها الطفل توضع له نجمة، وبعد الحصول على خمس نجومات يمكن أن يختار الطفل لعبة تشتري له أو رحلة وهكذا.

♦ الوقاية خير من العلاج، فلا تشعل الشرارة الأولى للعناد عند طفلك بنهره المستمر، ورفضك لكل ما يريد استكشافه، بل ساعده أن يكتشف كل شيء في طريقك؛ لأن ذلك يزرع فيه الثقة بالنفس، ولأنه يكسبه العديد من المهارات، إضافة لثقته بك؛ لأنك معلمه الأول الذي يسانده ولا يقف ضد رغباته المشروعة، وحينها لن تجده يفعل شيئاً بعيداً عن رقابتك وإشرافك، ولن تجده يعارضك على طول الخط؛ لأنه يعرف أنك توافق على كل ما هو مشروع، ولا ترفض إلا الخطر فقط، وتأكد أن لديه ما يحبه ويتمناه من أعماقه، ويتمنى أن يجد فيك سنداً وعوناً له على تحقيقه.

♦ قال الله تعالى: ﴿فَمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ إِنَّكَ لَهِمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِظَ الْقَلْبُ لَا نَفُضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَأَعُفْ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [آل عمران: ١٥٩] .

قال الحسن البصري رحمه الله : «هذا خلق محمد بعثه الله به» .. كان هذا خلقه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مع أن الموقف الشديد في غزوة أحد كان يتطلب من النفس البشرية غير هذا التصرف. فما بالنا لا نتأسى برسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مع أولادنا حيال أخطاء تافهة أحياناً.

أن تكون رحيماً لا يعني عدم الحزم في بعض المواقف؛ ولكن غير المرغوب فيه في مجال التربية أن تكون القسوة ديدنك في التعامل مع أبنائك.

إن كانت سمتك الغالبة هي «الفضاظة» حُرمت التواصل مع أبنائك، وبالتالي حُرمت من قدرة التأثير عليهم.

إذا لم تقم حاجز الرهبة حظيت بالعفوية في سلوك أبنائك وبناتك وفي حديثهم. هذه العفوية كنز يجب أن تحافظ عليه وتستفيد منه في فهم أكبر وأعماق لأبنائك، وللتغيرات التي قد تطرأ عليهم.. شجعهم على هذه العفوية ليس فقط بعدم القسوة؛ وإنما بالتودد إليهم، والتبسط معهم، ومشاركتهم سرأهم وضرأهم؛ حتى يصل بهم الإحساس بأنك مصدر أمن ومساعدة لهم، والأمر أهون مما نتصور؛ إذ قد يكون مما نكسب به قلوبهم قبله، أو ابتسامه، أو كلمة تشجيع، أو إشراك في رأي أو عمل بسيط.^(١)

(١) من مصادر البحث
- كنز الطاعة المفقود.. موجود نيفين عبد الله صلاح
- وصفات تربوية.. لحزم بلا استبداد نيفين عبد الله صلاح
- من أجل أطفالنا محمد سلمان
- مجلة إبداع/عدد ٧٧٩

ليست العصا لكل من عصى

التربية هي جهد مبذول يحتاج إلى نفس طويل وصبر وتأن وبرمجة يومية ومتابعة جيدة لنرى بعد ذلك -إن شاء الله تعالى- الثمار والنتائج الإيجابية، وإن كان التعجل مفسدة في كل شيء، فإنه يعد قاتلاً للسلوك الإيجابي، قاتلاً للقدرات الكامنة في شخص الطفل، والتعجل يدفع الآباء والأمهات في الغالب إلى اللجوء لوسائل تربوية غير صحيحة من أجل رؤية النتائج سريعاً على أبنائهم، ومن هذه الوسائل «العقاب البدني والضرب».

إن الأطفال بحاجة للشعور بالأمان والمحبة حتى تنمو شخصيتهم، وينطلقوا في استكشاف العالم من حولهم، ويتعلموا تشكيل علاقات صحية. أما حين يتعرضون لمعاملة قاسية من ذويهم فإن العالم لا يعود له معنى بالنسبة إليهم، وتتأثر كل مجالات التعلم بتجربتهم القاسية، ويتعطل نموهم العاطفي والاجتماعي والثقافي.

من الواجب علينا كأباء ومربين أن نعيد النظرة حول مسألة علاقة العقاب بالتربية، خاصة «العقاب القاسي» لأخطاء لا تستحق هذه الدرجة من القسوة، والأسوأ أن يعاقب الطفل ولا يعلم ما هو خطأه ولماذا يعاقب! وأي نوع من أنواع الاعتداء على الأطفال يكون تأثيره مذهباً ومخرباً، وعادةً ما يستمر هذا التأثير معه بقية حياته.. يقرر العلامة ابن خلدون أن القسوة على التلاميذ تزرع فيهم الخوف، وبسببه يتعلمون

ويتعودون الكذب والتظاهر بغير ما في الضمير خوفا من العقاب، كما يتعلمون المكر والخديعة والتحايل.. وبسبب القهر الذي يصيبهم من قسوة المعلمين عليهم تفسد المعاني الإنسانية في نفوسهم، مثل الكرامة والمروءة والنجدة، ويحقّدون على المجتمع.

كما يقرر ابن خلدون أن قسوة الآباء والمعلمين على الناشئة تمسّخ شخصياتهم الاجتماعية ويصابون بالخوف «الرهاب الاجتماعي». بل يقرر -أيضا- أن القسوة على التلاميذ تغتال إبداعهم وتجعلهم يتظاهرون بالنفاق الاجتماعي.^(١)

ويقول الكاساني: (إن الصبي يعزر تأديبا لا عقوبة؛ لأنه من أهل التأديب. ألا ترى إلى ما روي عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: «مروا صبيانكم بالصلاة إذا بلغوا سبعا، واضربوهم عليها إذا بلغوا عشرا». وذلك بطريق التأديب لا بطريق العقوبة؛ لأنها تستدعي الجناية، وفعل الصبي لا يوصف بكونه جناية بخلاف المجنون والصبي الذي لا يعقل؛ لأنهما ليسا من أهل العقوبة ولا من أهل التأديب)^(٢).

(١) يقول رحمه الله: (من كان مرباه بالعسف والقهر من المتعلمين أو الخدم، سطا به القهر وضيق على النفس في انبساطها، وذهب بنشاطها، ودعا إلى الكسل، وحمل على الكذب والخبث، وهو التظاهر بغير ما في ضميره، خوفا من انبساط الأيدي بالقهر عليه، وعلمه المكر والخديعة لذلك، وصارت هذه له عادة وخلقاً، وفسدت معاني الإنسانية التي له من حيث الاجتماع والتمدن. إن من يُعامل بالقهر يصبح حملا على غيره، إذ هو يصبح عاجزا عن الذود عن شرفه وأسرته لخلوه من الحماسة والحمية) مقدمة ابن خلدون

(٢) بدائع الصنائع للكاساني (٦٣/٧)

عندما نجعل العقاب مرادفا للتربية !

عقاب الطفل هو إلحاق أذى نفسي أو بدني به جزاء على سلوك خاطئ بدر منه. وهو أمر صحي ومعتبر إذا كان توظيفه في عملية التربية مقتصرًا وملتزمًا بحجمه الصحيح وبمواصفات استخدامه التربوية.

فالعقاب هو أحد وسائل التربية وليس أهمها أو كلها؛ بل ربما يكون أضعفها، ولقد قسم علماء التربية الوسائل التربوية حسب أهميتها كالتالي:

القدوة، والثواب، والعقاب.

أي أن العقاب يأتي في مؤخرة الوسائل التربوية، ومع هذا نجد أن المربين غالبًا ما يبدءون به ويبالغون في التركيز عليه؛ ربما لأنه يحقق نتائج سريعة يرغبونها.

ويكفي أن نؤكد حقيقة مفادها أن الطفل خاصة في سنواته التسع الأولى، لا يمكن أبداً أن يدرك العلاقة بين أي خطأ قد يقترفه وبين الإيلاء البدني الذي يقع عليه، وبالتالي فلن يتحقق فيه أي هدف تربوي من خلال الضرب. ولا يمكن أن نستثني في هذا الصدد إلا الخطأ المتعلق بقيام الطفل بضرب غيره عمداً حينها فقط يكون الجزاء من جنس العمل، وبذلك كله يكون الضرب من ناحية علاقته بالخطأ عموماً ممارسة غير عادلة.

ويرى الكثير من الباحثين والمختصين في المجال النفسي أن اعتماد الضرب وسيلة وحيدة في تربية الأبناء من شأنه أن ينتج في النهاية أطفالاً مشوشين في شخصيتهم. غير قادرين على اتخاذ قرارات بمفردهم، فضلاً

عن فشلهم في التعامل مع المجتمع بإيجابية، مما يجعل حياتهم أشبه بالمعقدة.

هذا بالإضافة إلى أن هؤلاء الأبناء قد يتحولون في مرحلة ما إلى أشخاص لا مبالين .. فمع تكرار الضرب تنقلب الأمور على حالها، ويصبح الطفل لا مبالياً، وهو يدرك أن أي خطأ سيقوم به ستكون نتيجته الضرب بالعصا أو بغيرها، وينتهي الأمر، حيث يكون الطفل قد اعتاد على ذلك.

ويجمل لنا المختصون سلبيات الضرب في النقاط التالية:

١. ضرب الطفل يولد كراهية لديه تجاه ضاربه، مما يقتل المشاعر الإيجابية المفترض أن تجمع بينهما وتقربهما من بعضهما البعض.
٢. كل مَنْ يلجأ للضرب يُبعد الآخرين عنه تفادياً للمشاكل التي يمكن أن تحصل في حال التصادم معه، ومن هذا المنطلق يعمد الأولاد إلى الحد من علاقاتهم مع أهلهم خوفاً من العقاب الشديد، مما يساعد على تعطيل دور الأهل في مسيرة التربية الصحيحة واللازمة للأولاد.
٣. اللجوء إلى الضرب يجعل العلاقة بين الطفل وضاربه علاقة خوف لا احترام وتقدير .. إن طبيعة الطفل أنه يحترم ويقدر من يحب لا من يخاف، والسلوك المطلوب أن نجعل الطفل يحبنا ويخاف غضبنا بتوازن، ومن يغلب جانب الغضب يولد عند الطفل دوافع سلوكية نابعة من خارج نفسه وذاته، بينما المطلوب تربوياً أن يكون الدافع نابعاً من داخل الإنسان ويُقَوِّم هذا الدافع ويُزَيِّن بحوافز خارجية.

٤. يستشعر الطفل أنه قد تم التخلي عنه، وأنه قد سُجل في لائحة الأشقياء، ولا يعرف كيف يمكنه العودة على قائمة الأبناء الطيبين.
٥. الضرب ينشئ أبناء انقياديين لكل من يملك سلطة وصلاحيات أو يكبرهم سناً أو أكثرهم قوة.. هذا الانقياد يضعف الشخصية لدى الأبناء، ويجعلهم شخصية أسهل للانقياد والطاعة العمياء، لاسيما عند الكبر مع رفقاء السوء.
٦. قد يلجأ الطفل الذي يتعرض للعقاب البدني القاسي إلى التملق، حيث يجد فيه خلاصه الوحيد، فيأخذ في التودد إلى والديه، بينما في أعماقه سخط، وحنق، وألم.. وهذا الموقف السلبي يدمر ثقة الطفل بنفسه، ويبعث بداخله شعوراً كبيراً بالنقص.
٧. الضرب يقتل التربية المعيارية القائمة على الاقتناع وبناء المعايير الضرورية لفهم الأمور، والتمييز بين الخطأ والصواب والحق والباطل.
٨. الضرب يلغي الحوار والأخذ والعطاء في الحديث والمناقشة بين الكبار والصغار، ويضيع فرص التفاهم وفهم الأطفال ودوافع سلوكهم ونفسياتهم وحاجاتهم..
٩. الضرب يفقر الطفل ويحرمه من حاجاته النفسية للقبول والطمأنينة والمحبة.. هذه المشاعر قد تتقلب فيما بعد إلى سلوكيات أخرى مرضية، كالتبول الإرادي والمخاوف المرضية.
١٠. الضرب يعطي أنموذجاً سيئاً للأبناء ويحرمهم من عملية الاقتداء.

١١. الضرب يزيد حدة العناء عند غالبية الأطفال ويجعل منهم عدوانيين.
(١)

١٢. قد يتخذ الطفل مواقف عدائية تجاه كل من حوله تدفعه للجنوح أو الهروب من المنزل.

١٣. الأطفال يتعلمون من هذا الأسلوب أن الضرب هو الطريقة المثلى لحل مشاكلهم مع غيرهم من الأطفال.

١٤. الضرب يضعف الطفل ويحطم شعوره المعنوي بقيمته الذاتية، فيجعل منه منطويا على ذاته خجولا لا يقدر على التأقلم والتكيف مع الحياة الاجتماعية.

١٥. في لحظات الضرب لا يمكن أن يستوعب الطفل أي توجيه، أو يفهم أية رسالة أو يفكر بهدوء وتعقل، بسبب أن إفراز مادة «الأدرينالين» في جسده يرتفع عن معدله الطبيعي.

١٦. الضرب يبعد الطفل عن تعلم المهارات الحياتية: (فهم الذات – الثقة بالنفس – الطموح – النجاح..) ويجعل منه إنسانا عاجزا عن اكتساب المهارات الاجتماعية: (التعامل مع الآخرين أطفالا كانوا أم كبارا).

١٧. الضرب يعالج ظاهر السلوك ويغفل أصله.. ولذلك فنتائج الضرب عادة ما تكون مؤقتة ولا تدوم عبر الأيام. وبمعنى آخر: الضرب قد يحد من الأعمال السيئة والتصرفات الشاذة، لكنه لا يحسن ولا يهذب الأولاد.. إنه

(١) وفي هذا الصدد تؤكد كذلك ما أكدته مجموعة من الدراسات العلمية: من أن العنف التربوي ينتج ١٠% من الأطفال العدوانيين، وأنه يكون من بين هؤلاء الأطفال العدوانيين ٩٠% سلبيين أي تابعين ومنقادين

يعلمهم ما لا يجب القيام به، لكنه لا يرشدهم إلى ما يجب القيام به.. أي أن الضرب لا يصح الأفكار، ولا يجعل السلوك مستقيماً.

١٨. الضرب يقوي دافع السلوك الخارجي على حساب الدافع الداخلي الذي هو الأهم دينياً ونفسياً.. فهو يبعد عن الإخلاص ويقرب من الرياء والخوف من الناس .. فيجعل الطفل يترك العمل خوفاً من العقاب، ويقوم بالعمل من أجل الكبار .. وكلاهما انحراف عن دوافع السلوك السوي الذي ينبغي أن يكون نابعاً من داخل الطفل: (اقتناعاً .. حباً .. إخلاصاً .. طموحاً .. طمعاً في النجاح وتحقيق الأهداف وخوفاً من الخسارة الذاتية..)

١٩. الضرب قد يدفع الطفل إلى الجرأة على الأب والتصرّح بمخالفته والإصرار على الخطأ.

٢٠. أثبتت الدراسات أن هذا النوع من الأطفال انخفض أداؤهم التعليمي بشكل كبير جداً بفعل ما يتعرضون له من قمع متواصل.

٢١. اللجوء إلى الضرب هو لجوء لأدنى المهارات التربوية وأقلها نجاحاً^(١).

إنّ الصواب في العملية التربوية هو الحزم بلا قسوة، مع وضع حدود وضوابط واضحة تعين الطفل على تعلم القيم الراشدة، وتحقيق له التوازن والأمان النفسي. فالعقاب الأشد ليس هو الأفضل.. إنما العقاب العادل اللطيف هو الذي يعلم الأبناء أكثر.

(١) كتاب (الأطفال المزعجون) للدكتور مصطفى أبو سعد - القاضي حسن عشاوي: كيف نربي أولادنا، ص(٣٢).

التصحيح الفكري ثم العملي

مما لا شك فيه أن استئصال الخطأ من جذوره وأصوله يعد نجاحا باهرا، ونصرا كبيرا في العملية التربوية، وإذا ما تأملنا طبيعة أي خطأ وجدنا أن أصوله تعتمد على ثلاثة أشياء:

- فإما أن يكون سببه «فكريا»، أي أن الطفل لا يملك فكرة صحيحة عن الشيء، فتصرف من تلقاء ذاته فأخطأ.

- وإما أن يكون السبب «عمليا»، أي أن الطفل لا يستطيع أن يتقن عملا ما، ولم تدرب أصابعه على العمل فأخطأ.

- وإما أن يكون السبب «ذات الطفل»، أي أنه يتعمد الخطأ، أو من ذوي الطباع العنيدة، لذلك يصر على الخطأ.

لهذا فإن تحديد أصل الخطأ يسهل كثيرا في تلافيه .. إن الطفل كأني كائن حي يجهل أكثر مما يعلم، فإذا علم فعل الصواب سارا محمودا، وحيث أن الإنسان عدو ما يجهل، لذلك فإن مرحلة تعليمه الصحيح من السقيم أولى الخطوات في تقويمه، ولنا في رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أسوة حسنة.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أَخَذَ الْحَسَنُ تَمْرَةً مِنْ تَمْرِ الصَّدَقَةِ فَجَعَلَهَا فِي فِيهِ فَقَالَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «كَيْفَ كَيْفَ أَلْقَاهَا، أَمَا شَعَرْتَ أَنَّا لَا نَأْكُلُ الصَّدَقَةَ؟»^(١)

(١) رواه البخاري ومسلم، والدارمي ١٦٩٥ واللفظ له

وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ مَرَّ ابْنُ عُمَرَ بِفَتْيَانٍ مِنْ قُرَيْشٍ قَدْ نَصَبُوا طَيْرًا وَهُمْ يَزْمُونَهُ، وَقَدْ جَعَلُوا لِصَاحِبِ الطَّيْرِ كُلِّ خَاطِئَةٍ مِنْ نَبْلِهِمْ، فَلَمَّا رَأَوْا ابْنَ عُمَرَ تَفَرَّقُوا، فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: مَنْ فَعَلَ هَذَا. لَعَنَ اللَّهُ مَنْ فَعَلَ هَذَا. إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لَعَنَ مَنْ اتَّخَذَ شَيْئًا فِيهِ الرُّوحُ غَرَضًا ^(١).

وكثيرا ما يُطلب من الطفل القيام بأعمال لم يسبق له أدائها أو شاهد من عملها، لذلك يبقى في جهل، فإذا طلب منه العمل وقع في أخطاء تحتاج إلى تصحيح لا عقاب.

فَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مَرَّ بِغُلَامٍ وَهُوَ يَسْلُخُ شَاةً، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «تَنَحَّ حَتَّى أُرِيكَ» فَأَذْخَلَ يَدَهُ بَيْنَ الْجِلْدِ وَاللَّحْمِ فَدَحَسَ ^(٢) بِهَا حَتَّى تَوَارَتْ إِلَى الْإِبْطِ، ثُمَّ مَضَى فَصَلَّى لِلنَّاسِ وَلَمْ يَتَوَضَّأْ ^(٣).

وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ غَنَمٍ أَنَّ أَبَا مَالِكٍ الْأَشْعَرِيَّ رضي الله عنه جَمَعَ قَوْمَهُ فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ الْأَشْعَرِيِّينَ اجْتَمِعُوا وَاجْمَعُوا نِسَاءَكُمْ وَأَبْنَاءَكُمْ أَعَلَّكُمْ صَلَاةُ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- صَلَّى لَنَا بِالْمَدِينَةِ، فَاجْتَمَعُوا وَجَمَعُوا نِسَاءَهُمْ وَأَبْنَاءَهُمْ، فَتَوَضَّأَ وَارَاهُمْ كَيْفَ يَتَوَضَّأُ فَأُحْصِيَ الْوُضُوءَ إِلَى أَمَاكِينِهِ، حَتَّى لَمَّا أَنْ فَاءَ الْفَيْءِ وَانْكَسَرَ الظِّلُّ، قَامَ فَأَذَّنَ فَصَفَّ الرِّجَالَ فِي أَدْنَى الصَّفِّ

(٢) رواه مسلم ٥١٧٤

(١) أدخل يده بين جلد الشاة ولحمها ليوسع بينهما

(٢) أبو داود ١٨٥ وصححه الألباني

وَصَفَّ الْوُلْدَانَ خَلْفَهُمْ وَصَفَّ النِّسَاءَ خَلْفَ الْوُلْدَانِ ثُمَّ أَقَامَ الصَّلَاةَ فَتَقَدَّمَ فَرَفَعَ يَدَيْهِ فَكَبَّرَ .. الحديث (١)

فليكن شعار المربين والوالدين في تعاملهم مع أطفالهم «تنح حتى أريك» فإنه أدعى للعلم الصحيح، والعمل البناء، والطريقة السليمة في العملية التربوية.
الثواب والعقاب

أفضل مظاهر السلطة الضابطة والموجهة للأسرة تكمن أساسا في ظاهرتي «الثواب والعقاب»، ولكل من هاتين الظاهرتين حدودها من حيث الكم والكيف.

فالثواب يجب أن لا يرتبط بعمل أساسا من صميم واجب الطفل، لأن إثابته على عمل من واجبه قد يخلق منه شخصا ماديا يربط دائما بين العمل الذي يؤديه حتى وإن كان عملا مطلوباً، فلا يجوز مثلا- أن يثاب الطفل لأنه تناول طعامه في مواعيده المقررة، بينما ممكن إثابته إذا قدم إحسانا لرجل فقير.

ومن الأفضل أن تكون الإثابة «معنوية»، كأن نمدح العمل الذي أداه ونصفه بصفات حسنة، لأن الإثابة المعنوية إذا ما أحسن تطبيقها وتوجيهها تساعد على تنمية «الضمير الحي» في نفوس الصغار، وفي أي الحالات يجب أن لا يكون الثواب غرضا في حد ذاته سواء كان ماديا أو معنويا،

(٣) مسند أحمد ٢٣٦٠٩

وإنما يجب أن يكون وسيلة تدفع الطفل إلى تعلم وممارسة قيم السلوك السليم.

إن الطريق بين الصواب والخطأ طويل، يمكننا أن نضل في أغلب الوقت في أوله دون أن نصل للخطأ – آخره – لكن إذا اغتتمنا الفرص لمكافأة كل صواب يفعله طفلنا كان أفضل بكثير من الانتظار حتى يفعل الخطأ فنعاقبه.

والغريب أن الكثير من الآباء يهتمون بالعقاب، وينسون الثواب أو يتناسونه، فتجد بعض الآباء يلجئون إلى معاقبة أبنائهم لأنهم قاموا بأفعال خاطئة، لكنهم لا يكافئونهم إذا قاموا بأفعال أو تصرفات إيجابية، مما يولد اعتقاداً داخلياً لدى الأبناء بأن التصرفات الإيجابية التي قاموا بها غير هامة؛ لأنهم لم يُثابروا عليها، وربما تعتقد فئة أخرى من الأطفال أن ما قاموا به من تصرفات إيجابية يدخل في إطار الخطأ البسيط الذي لا يُعاقب عليه بالضرب.

وكما أن للثواب ضوابطه، للعقاب ضوابطه أيضاً، فمن الواجب علينا أن لا نوقع العقاب بأطفالنا إلا في الحالات التي تضطرنا إلى ذلك، ويحسن أن يكون العقاب نفسياً أو معنوياً مثله في ذلك مثل الثواب، لأن العقاب النفسي كالتوبيخ أو العقاب المعنوي كحرمان الطفل من النزهة قد يكون أكثر إيجابية في نتائجه من العقاب البدني «الضرب».

الضرب ليس العقاب الأوحَد

هناك خيط رفيع بين «التربية» و «الاعتداء» .. التربية السليمة تعني أن نقوم بتصحيح سلوك الطفل وأن نظهر له طريقة أفضل للتصرف. أي أن التربية لا يجب أن تكون عن طريق الاعتداء البدني على الطفل، ولا يجب أن تنطوي على انتهاك كرامة الطفل أو انتهاك شعوره باحترام أو تقدير ذاته.

أما الاعتداء على الطفل فهو تعمد إيذائه سواء كان ذلك إيذاءً بدنياً أو نفسياً.

ويوجد بدائل للعقاب غير الضرب تجمع بين الحسنيين من تحقيق المراد في تقويم سلوك الطفل دون أن تخلف آثاراً سلبية على نفسيته أو بدنه، من أهمها هذه البدائل:

- النظرة الحادة: أو ما تسمى «البقلقة» وهي تردع بعض الأطفال، بل ويكون منها أحياناً.
- الهمهمة: وهي صوت يخرج من الحنجرة يدل على الإنكار، وينبه الطفل إلى ما وقع منه.
- مدح غيره أمامه: بشرط أن يكون للعقاب فقط، وليس في كل الأحوال، كما ينبغي عدم الإكثار من هذا الأسلوب في العقاب لما في تكراره من أثر سيئ على نفس الطفل.
- الإهمال: فتدخل وتسلم، ولا تخصه بالتحية، ولا تسأل عما فعل اليوم، كما كنت تسأل، وإن حدثك فأدر وجهك للجانب الآخر، وهكذا حتى

يشعر بخطئه، وحينئذ أسرع ببيان خطئه، ولا تتماذ في إهماله؛ لأن دورك التعليم وليس التعنيف.

■ العقاب بالتكليف الإيجابي، حيث يعاقب الابن بأن يؤدي عملاً إيجابياً يخدم الأسرة، مقابل ما وقع فيه من خطأ، كأن يكلف بتنظيف البيت أو جزء منه، أو بغسل السيارة، أو بترتيب المكتبة، وهكذا حسب نوع الخطأ وسن الابن.

■ الحرمان: من مصروف أو نزهة، أو أي شيء يحبه الطفل كالعب بالدراجة، أو الأتاري والكمبيوتر.... إلخ

■ العقاب بالتعويض، وذلك بإصلاح ما أفسد، وهذا مهم جداً، وناجح، وثماره ملموسة، مع أهمية العدل في ذلك.

■ الهجر والخصام: على ألا يزيد على ثلاثة أيام، وأن يرجع عنه مباشرة عندما يعترف الطفل بخطئه. وهذا العقاب من أشد أنواع العقاب حساسية، حيث قد يؤدي إلى بعض المفاسد، فلذلك لا بد من الانتباه الشديد له، واستعماله بحذر.

■ الزجر بالكلمات: وينتبه إلى عدم الإكثار منه، حيث يصبح ضعيف التأثير، محدود الفائدة، مع تجنب التجريح الشخصي، والدقة في العبارة، فآثار الكلمات الجارحة لا تنمحي.

■ التهديد: شرط أن ينفذ إذا تهاون الطفل. كذلك لا تعاقبه بعد وعدك بعدم العقوبة، لئلا يفقد الثقة فيك.

- العقاب بالحبس في البيت: وليكن استثناء لا أصلاً، وله ضوابط معتبرة، حتى يكون ناجعاً ومؤثراً، ولا تلجأ إليه إلا مكرهاً، لما قد يترتب عليه من سلبيات لا ينتبه لها، وهي سلبيات طويلة المدى والأثر قد تنعكس على حياة الابن ومستقبله.
 - رؤية السوط: كثير من الأطفال يردعهم رؤية السوط، أو أداة العقوبة، فبمجرد إظهارها لهم يسارعون إلى التصحيح، ويتسابقون إلى الالتزام، وتتقوّم أخلاقهم وسلوكهم .. فقد روى البخاري في «الأدب المفرد» عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أمر بتعليق السوط في البيت^(١). وروى عبد الرزاق والطبراني عن ابن عباس مرفوعاً: «علقوا السوط حيث يراه أعل البيت، فإنه أدب لهم»^(٢).
 - شد الأذن: وقد فعله النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كما أخرجه ابن السني، فعن عبد الله بن بسر المازني رضي الله عنه قال: بعثتني أمي إلى رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بقطف من عنب، فأكلت منه قبل أن أبلغه إياه، فلما جئت أخذ بأذني، وقال: «يا غدر»^(٣).
- قد يرى البعض أن الغلام ربما انتهى العنب فأكل منه فليست مشكلة، وهذا هو الظاهر مما حدث أنه اشتهاه، ولكن رغم هذا هل يترك النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الموقف يمر ولا يستفيد الطفل تعلم الأمانة والصبر وتوصيل الأمانات إلى أهلها؟ كلا، إن إشفاق النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-

(١) الأدب المفرد ٦٥٦/٢

(٢) حسن. صحيح الجامع ٤٠٢٢

(٣) الأذكار للنووي رواه عن ابن السني

على ذلك الصبي أن يكون أمينًا، أعظم من إشفاقه على بطن الطفل وشهوة طعامه.

ولعل هذا اللبس هو الذي غر كثيرًا من الناس! حتى إن أحدهم يكره أن يوقظ ولده لصلاة الفجر إشفاقًا عليه ليذهب إلى المدرسة مستريحًا بعد أن أخذ قسطًا من النوم كافيًا، والبعض لا يرده عن أكل حرام أو سرقة لأنه يراه صغيرًا لا لوم عليه ولا عتاب^(١)

وليكن في اعتبارنا أن هذه الأساليب يمكن أن يكون بعضها أكثر فاعلية من البعض الآخر؛ ولذا حاول أن تتعرف على أكثرها فاعلية مع ابنك، ويمكن في نفس الوقت أن تتنوع بينها.

ومن المهم أن تناسب بين العقاب ومستوى تطور ولدك .. مثلاً: إذا قررت عزل ولدك في غرفته لسوء سلوكه، فلا تبقه هناك أكثر من خمس دقائق، لئلا تطول مدة احتجازه أكثر من المعقول، وينسى هو شخصياً سبب هذا الاحتجاز.

وإذا فضلت التفاهم فكرياً معه، اجعل المناقشة معه بسيطة وعملية. ولا تستعمل عبارات افتراضية مع صغير السن، مثل: «هل تحب أن يفعلوا هذا بك؟». فالولد قبل سن المدرسة لا يدرك مثل هذا التعليل.

أيضاً لا تغير أنظمة العقاب تغييراً عشوائياً؛ فذلك يربكه. وكلما كبر، تتوقع منه طبعاً سلوكاً أنضج فأنضج. وإذا غيرت قواعد السلوك، برر ذلك

(١) أطفال المسلمين كيف رباهم النبي الأمين صلى الله عليه وسلم، جمال عبد الرحمن، ص (١٠٦-١٠٧)، بتصرف يسير

له. مثلاً: قد تتسامح معه عندما يشد ثوبك ليسترعي انتباهك وهو ابن سنتين، ولكن عندما يبلغ السنة الرابعة من عمره، يجدر به أن يجد طرائق أفضل لمقاربتك. وحالما تقرر تغيير قاعدة السلوك، اشرحها له قبل أن تضعها موضع التطبيق.

كذلك تأكد من أن جميع الراشدين المقيمين في المنزل وغيرهم من موفري العناية للطفل، متفقون على حدود العقاب المعد لتأديب ولدك. فقلة اتفاقكم يربكه. وقد يحاول أن ينجو بما يفعل، عن طريق وضع كل منكم ضد الآخر؛ مما يفسد عليكم جميعاً حياتكم الحاضرة والمستقبلية. فعليكم أن تواجهوه جميعاً بجهة موحدة.

قبل الضرب

• من الأجدى إن يمارس الوالدين الانتقاد الفعال، بمعنى أن ينتقدا فعل الطفل وليس شخصيته. مثلاً: عندما تكون درجة الطفل في الاختبار المدرسي دون المستوى المتوقع منه، فمن الأفضل أن يقال له بأنه لم يستغل وقته بطريقة صحيحة، أو أنه لم يعط الاهتمام أو الوقت الكافي الذي يحتاجه للدراسة.

فكلمات مثل هذه تساعد الطفل على معرفة مكن المشكلة، وتساعد على إيجاد حلول لها، ويعلم أن فعله هو المشكلة، وبالتالي لن يؤثر ذلك على نظره لنفسه على أنه «إنسان فاشل»، بعكس إذا ما استخدمت كلمات مثل: «أنت غبي»، «لن تفعل أبداً»، «لقد أخطأنا»، «أنت عار علينا».. فهذه الكلمات تضرب في صميم شخصيته وثقته بنفسه.

- الطفل لا يتعلم وهو خائف، ولا يتربى وهو حزين .. إنه حين يشعر بالأمن ويتفاعل مع أجواء المرح المفعم بالتوجيه، ويعامل بالملاطفة التي لا تُفسد النظام، يكون على أكبر درجة من الاستعداد للتعلم بقلب مفتوح وذهن حاضر وأذن واعية.
- إياك وكثرة الوعد والوعيد، واقتصد في ذلك، ودع الحقائق تتحدث عن نفسها، وكم من مفاجأة كانت أمضى أثراً وأبعد مدى.
- احذر أيها الأب أن يشاركك في تربيته أبنائك قناة فضائية مشبوهة أو جليس سوء، فإن ما زرعه وسقيته في أعوام قد تحرقه لقطعة في مسلسل ماجن أو مشهد من فيلم داعر أو صورة فاجرة يعرضها زميل، فاحفظ جوارحهم وخاصة -العين والأذن- فإنهما نافذتان إلى القلب، إن أطلقتا في الحرام فلن تستقيم لك تربية، ولن تدرك برأ، وسينهار كل بناء للفضيلة تريد أن تعليه في نفوسهم، فالعين أو الأذن إن زنت، فلا بد أن يبحث الفرج عما يطفئ لهيب تلك النظرات الفاجرة وتلك النغمات المحرمة.
- كن عزيزي الأب قدوة صالحة لأبنائك، فلا تنه عن خلق وتأتي مثله، وافعل أمامهم ما تحب أن تراه منهم، وإن ابتليت بمعصية فاستتر ولا تجاهر بها، فإن الابن قد جُبل على حب محاكاة والده .. فاحذر أن تغرس فيه خلقاً يجني عليك الندامة غداً، فكم من ابن كان سبب انحرافه معصية حاكي فيها والده فأوردته المهالك.
- تتعلم الأطفال على طريقه النسخ والتشكيل، فهم يستمعوا ويستقبلوا ويقلدوا، ويكون لك تأثير قوى في سلوكهم، لذلك لا بد أن تكون حريص في

الكلام أمام طفلك .. إذا كنت متعصب وصوتك مرتفع أثناء غضبك، لابد أن تتوقع أن يفعلوا نفس التصرف بالضبط وهكذا... كن حازماً بدون عصبية، إذا تحدثت وقت غضبك بصوت هادئ أو منخفض فإن ذلك يعلم طفلك أن يكون كتوم في حالة استفزازة أو غضبه، وتعلمه أيضاً الاعتماد على النفس في حل المشاكل.

● إياك أن تكثر من العقاب أيّاً كان نوعه، حسياً أو معنوياً، فهو كالدواء إذا زاد نقص، وإذا تعود الجسم عليه ضعف أثره، وإذا اضطرت إليه فليعلم ابنك أنك تعاقبه لا بغضاً له، ولكن كرهاً لعمله، بل أقنعه أنك تعاقبه من أجله، بل ومحبة له وحرصاً على مستقبله، وإزالة الأدوية المعنوية كإزالة الأمراض الحسية، فإذا كان ابنك لا يشك أنك عندما تجري له عملية لإزالة الزائدة أو المرارة أن هذا نابع من محبتك له وحرصك على حياته، فليكن شعوره كذلك وأنت تعاقبه، وإيصاله إلى هذه القناعة ليس بالأمر اليسير لكنه ليس بالمستحيل، وإن لم يقتنع اليوم فسيقتنع غداً، وأسلوبك معه في العقاب (نوعاً وكماً ووقتاً) هو الذي سيوصله إلى تلك النتيجة ولو بعد حين.

● العقاب البدني هو أسلوب قد نلجأ إليه عندما نستنفذ كل الأساليب الأخرى، وحين نفشل تماماً في توجيه الطفل ناحية السلوك السليم. وحتى هنا أيضاً - في هذا الموقف - قد يكون من الصعب أن يفيد العقاب إن لم يستند الأب أو الأم إلى علاقة حب عميقة بينهما وبين الابن، وكانت شخصية الابن سليمة بلا اعوجاج .. ومما هو جدير بالذكر أنه لا عقاب إلا

على ذنب، ولا عقاب بدون مناقشة سابقة مع الابن لكل نواحي الموضوع الذي يعاقب عليه، وغالبًا ما نجد الابن يقتنع دون عقاب، ولذا فمن الأفضل البعد قدر الإمكان عن العقاب، خاصة إذا كان هذا العقاب مهينا للإنسانية الطفل.

آخر الدواء الكي

كما قررنا آنفا .. الأصل في العملية التربوية التعليمية عدم اللجوء إلى الضرب، إلا في الحالات الشاذة المنحرفة التي لا تستجيب لوسائل التعزير الأخرى التي هي دون الضرب. يدل على ذلك قوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرِ سِنِينَ وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ». (١)

فالإشارة النبوية هنا بالضرب لا تكون إلا بعد نفاد جميع الوسائل التي تلزم الطفل - الذي طابق عشر سنين - بإقامة الصلاة والمحافظة عليها (ثلاث سنوات من التعليم بمختلف الوسائل التشجيعية والتدريبية). ولم يأذن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بضرب الطفل على التقصير في أعظم أركان الدين «الصلاة» قبل سن العاشرة، فمن الأولى في باقي الأمور الحياتية والسلوكية والتربوية التي لا تساوي مكانة الصلاة أهمية ومنزلة عند الله تعالى. (٢)

(١) رواه أبو داود ٤٩٥ وقال الألباني: حسن صحيح
(٢) ومما يؤيد مشروعية الضرب ما رواه الإمام أحمد في مسنده بإسناد حسن عَنْ مُعَاذٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ أَوْصَانِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِعَشْرِ كَلِمَاتٍ. قَالَ: «لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ شَيْئًا وَإِنْ قَتَلْتَ وَحَرَقْتَ، وَلَا تَعْفَنْ وَالِدَيْكَ وَإِنْ أَمَرَكَ أَنْ تَخْرُجَ مِنْ أَهْلِكَ وَمَالِكَ، وَلَا تُشْرِكَنَّ صَلَاةَ مَكْتُوبَةٍ مُتَعَمِّدًا فَإِنْ مِنْ تَرَكَ صَلَاةَ مَكْتُوبَةٍ مُتَعَمِّدًا فَقَدْ بَرَأَتْ مِنْهُ يَمَّةُ اللَّهِ وَلَا تُشْرِبَنَّ خَمْرًا فَإِنَّهُ رَأْسُ كُلِّ فَاحِشَةٍ، وَإِيَّاكَ وَالْمَعْصِيَةَ فَإِنَّ بِالْمَعْصِيَةِ حَلَّ سَخَطِ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - وَإِيَّاكَ وَالْفِرَارَ

وإني لأتساءل إذا كان الضرب غير مأذون به قبل عشر سنوات، فإلى متى يمكن للأب أن يستمر في ضرب الطفل الذي تجاوز العشر سنوات، خاصة وأنه على أبواب البلوغ؟ ألا ترى أن هذا الإذن المتأخر بالضرب قد ضيق على المربي، حتى لا يعتمد كوسيلة أساسية في تعامله مع الطفل، وحتى يبحث لنفسه عن وسائل أخرى أجدى وأنفع.

فصلى الله وسلم على النبي محمد وعلى آله، وبذلك يكون الضرب من هذه الناحية أداة غير «مجدية» لأكثر من ثلاث سنوات في أحسن الأحوال. إن الاستدلال بحديث الضرب مطلوب، ولكن بفهم الحديث فهماً شمولياً، والمطلوب كذلك الاستدلال واستحضار أنه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ما ضرب امرأة له، ولا خادماً، ولا ضرب شيئاً بيده قط، إلا في سبيل الله تعالى أو تنتهك حرمة الله فينتقم الله.

يقول ابن خلدون في مقدمته الشهيرة: (إذا كان التأديب يعطي حقاً في ضرب أو زج، إلا أن لذلك حدوداً سنّها الإسلام، لأن شدة الصرامة تكسب الطفل سوء الخلق)

وقال الأثرم: سئل أبو عبد الله «الإمام أحمد بن حنبل» عن ضرب المعلم الصبيان، فقال: على قدر ذنوبهم، ويتوقى بجهده الضرب، وإن كان صغيراً لا يعقل فلا يضربه (١)

مَنْ الزَّخْفُ وَإِنْ هَلَكَ النَّاسُ وَإِذَا أَصَابَ النَّاسَ مُوتَانٌ وَأَنْتَ فِيهِمْ فَانْتَبُتْ وَأَنْفِقْ عَلَى عِيَالِكَ مِنْ طَوْلِكَ وَلَا تَرْفَعْ عَنْهُمْ عَصَاكَ أَدَباً وَأَخْفَهُمْ فِي اللَّهِ.»
(١) الآداب الشرعية والمنح المرعية - محمد بن مفلح ٥٠٦/١

وينبغي أن يُعلم من سيرة الأب مع أبنائه، وتأديبه لهم أنه لا يضرب من يضربه إلا طاعة لله ولرسوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وأنه لا قصد له من وراء ذلك إلا تمام مصلحته، والحرص على تربيته على الوجه المشروع، حتى لا يشب الصبي كارها للأمر الشرعي الذي يشق عليه ويضرب من أجل تركه.

قواعد العقاب

للعقاب مجموعة من القواعد الصحية التي يجب الالتزام بها واتباعها إذا اضطررنا له في أثناء عملية التربية؛ حتى يستفيد الطفل منه، ويكون معينا له على التعلم من بعض أخطائه وتعديل سلوكه:

♦ يجب أن يعرف الطفل الأشياء التي تستوجب العقاب مسبقا، بمعنى أن تكون هناك قواعد واضحة في البيت أو المدرسة لما هو صحيح وما هو خطأ... ضع قواعد وحدود واضحة .. كررها باستمرار .. أشرك طفلك في وضع القواعد معك، وأشركه في تحديد عواقب اتباع أو عدم اتباع هذه القواعد.

♦ أن يتم تحذير الطفل بأن تجاوزه للقواعد المعروفة والمعلنة سوف يعرضه للعقاب.

♦ يجب أن تكون العقوبات معروفة لأبنائك، وإن لم يكن تفصيلاً، وإنما إجمالاً.

- ◆ أن يكون العقاب إصلاحياً لا انتقامياً، أي ليس بسبب الحالة المزاجية المضطربة للأم أو الأب. ^(١)
- ◆ أن يكون في مصلحة الطفل لا في مصلحة المربي صاحب السلطة؛ فبعض الأمهات يضربن أطفالهن لأنهن يشعرن بالراحة بعد ذلك؛ فقد نفّسن عن مشاعر غضب لديهن.
- ◆ أن يكون العقاب متدرجاً ومتناسباً مع شخصية الطفل؛ فالطفل الذي تردعه النظرة يجب ألا نوبخه، والطفل الذي ينصح بالتوبيخ يجب ألا نضربه.. وهكذا.
- ◆ لا نعاقب الطفل أو نخفف من عقابه جداً إن اعترف بخطئه، وإلا فإن الإصرار على معاقبته رغم اعترافه سيدفعه إلى عدم الاعتراف بأي خطأ في المستقبل.
- ◆ إذا كان خطأ الطفل ظاهر أمام إخوانه وأهل البيت فتكون معاقبته أمامهم، لأن ذلك سيحقق وظيفة تربوية للأسرة كلها. ويجب أن يتولى المربي العقاب بنفسه حتى لا يحقد بعض الأبناء على بعض.
- ◆ لا يضرب الطفل أمام من يحبه. كذلك لا تخرج طفلك بالعقاب، فلا تعاقبه في حضور أطفال آخرين -مثلاً- ولكن تتح به جانباً أو انتظر تفرده؛

(١) تؤكد الدراسات التربوية التي أجريت أن ٩٥% من الحالات التي يتعرض فيها الطفل للضرب تكون ناجمة عن انفعال ينتاب الأب ورغبة في التنفيس عن الغضب، وليست نتاجاً لتقديرات هادئة وحسابات تستهدف تحقيق هدف تربوي معين.

لأن الإحراج لن يسبب لطفلك سوى التفكير فيك على أنك ظالم؛ وبهذا لن يتعلم اتخاذ القرار الصحيح.

♦ العدل ثم العدل، فيكون العقاب مساوياً للذنب أو أقل، وتحرم الزيادة شرعاً وعقلاً .. ومن العدل: العدل بين الأولاد في العقاب وعدم المحاباة، فإن كانت المراعاة لسبب معتبر فأفهم أولادك ذلك، كأن يكون أول خطأ، أو لأنه مريض، وهكذا.

♦ لا نوقع عقاباً على الطفل وهو بريء، وهذا يتطلب منا الحذر ومراعاة التيقن من أن الخطأ قد صدر من الطفل وليس من الآخرين؛ ذلك أن كثيراً من الأطفال يلجئون إلى الكذب الدفاعي أو الانتقامي، وقد يقدم الواحد منهم قصصاً مقنعة، فتتحول العقوبة إلى غيره بسببه؛ لأنه أسنّ وأقوى حجة، وبعد أن يعاقب الطفل البريء يجتر مشاعر الظلم والقهر، ولهذا عواقب وخيمة على نفسه ومستقبله، وحينئذ فإن أبسط حق لهذا المظلوم أن نعتذر له ونطيب خاطره، لنزيل عنه آثار الظلم، ونعلمه خلق الاعتراف بالخطأ.

♦ أن يكون العقاب له نهاية، فمثلاً: عندما نقرر حرمان الطفل من المصروف لبضعة أيام، لا بد أن يأخذ بعدها المصروف.

♦ أن يترك معاقبته إذا أصابه ألم بسبب الخطأ. لأن هذه الآلام في حد ذاتها كانت وسيلة تأديب بالنسبة له، فحسبه إذا ما ناله من ألم، ولا داعي لتوبيخه في هذه الحالة، فإن ذلك يزيده ألماً، خاصة إذا خسر شيئاً شخصياً كتعطل لعبته مثلاً، أو إصابته بجرح أو لسعة من إناء ساخن، لكن لا مانع

أن نشرح له أن سبب ذلك هو عدم التزامه بتعليماتنا أو عدم اكتراثه بتحذيراتنا، وأن عليه أن يتحمل نتيجة تصرفه، فإذا كانت آلامه كبيرة أجلنا ذلك الشرح ريثما يهدأ ويتحسن.

♦ من المستحسن أن تكون العقوبة مباشرة للذنب حتى لا تفقد أثرها، ويمكن أن تؤجل بعض العقوبات لأسباب معتبرة، كما إذا كنتم زواراً، أو عندكم ضيوف، أو وقت الامتحانات، أو في مواسم الأفراح أو الأحزان .. وغيرها مما لا يخفى؛ لأن العقاب علاجاً وليس انتقاماً، فإذا لم يصادف محله عاد بأسوأ مما أريد علاجه، ولذلك لا بد أن يكون كما ينبغي في الوقت الذي ينبغي.. خاصة وأنه كلما طال الوقت بين بين الخطأ والعقاب نسي الطفل الخطأ وتذكر العقاب.

♦ من الحكمة توزيع الأدوار بين الأب والأم في نوع العقاب ووقته، فبعضها لا يصلح إلا للأب، وبعضها الأجدى أن تقوم به الأم، وإذا كان له بعض الأبناء الكبار فيحسن أن يقوموا بما لا يناسب أن يقوم به أحد الأبوين، ولكل حالة ما يناسبها، ولكل أسرة ما يلائمها.

♦ أقصى عدد الضربات لا يتجاوز في أي حال من الأحوال في العملية التربوية عن عشر ضربات، وذلك لما أخرج البخاري عن أَبِي بُرْدَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ كَانَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ: «لَا يُجْلَدُ فَوْقَ عَشْرِ جَلَدَاتٍ إِلَّا فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ» ^(١).

(١) البخاري ٦٨٤٨ ومسلم ٣٢٢٢

وقد عنون البخاري للحديث «التعزير والأدب» فقال الحافظ ابن حجر معلقا وشارحا: (والمراد بالأدب في الترجمة التأديب، وعطفه على التعزير، لأن التعزير يكون بسبب المعصية، والتأديب أعم، ومنه تأديب الولد وتأديب المعلم) ^(١).

وكان عمر بن عبد العزيز يكتب إلى الأمصار: لا يقرن المعلم فوق ثلاث، فإنها مخافة للغلام ^(٢).

وعن الضحاك: ما ضرب المعلم غلاما فوق ثلاث فهو قصاص ^(٣).
وهكذا يتضح لدينا أن تأديب الطفل يكون بثلاث ضربات وأقل، والقصاص أكثر من الثلاث إلى العشر، وما فوق العشر ففي الحدود.

◆ كل سوط أو عصا يستعمل للضرب يجب ألا يكون شديدا جدا، ولا رقيقا لينا جدا، بل بين اللين والشدّة، والغلظة والدقة .. فقد روى مالك في الموطأ عن زيد بن أسلم: أن رجلا اعترف بنفسه بالزنى على عهد رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فدعا رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بسوط، فأتي بسوط مكسور، فقال: «فوق ذلك». فأتي بسوط جديد لم تقطع ثمرته، فقال: «بين هذين». فأتي بسوط قد لان، وركب به، فأمر به فجلد ^(٤).

(٢) فتح الباري ١٥/١٩١

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب (العيال) ١/٥٣١

(٤) المصدر السابق

(١) ورواه عبد الرزاق في المصنف ٧/٣٦٩

وروى أبو عثمان النهدي عن عمر أنه أتى بسوط فيه شدة، فقال: أريد ألين من هذا، فأتي بسوط فيه لين، فقال: أريد أشد من هذا، فأتي بسوط بين السوطين، فقال: اضرب ^(١).

وكذلك لا يجوز أن يستعمل في الضرب سوط فيه العقد أو له فرعان أو أكثر.

♦ ولا ينبغي أن يكون الضرب في موضع واحد من الجسد، بل ينبغي أن يفرق على الجسد كله، حيث يأخذ كل عضو من أعضائه حقه إلا الوجه والفرج - والرأس أيضا عند الحنفية- فإنها لا يجوز ضربها.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «إِذَا ضَرَبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَتَّقِ الْوَجْهَ» ^(٢).

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «إِذَا قَاتَلَ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَلَا يُلْطَمَنَّ الْوَجْهَ» ^(٣).

قال النووي في تعليقه على هذا الحديث: (قال العلماء: إنما نهى عن ضرب الوجه لأنه لطيف يجمع المحاسن، وأكثر ما يقع الإدراك بأعضائه، فيخشى من ضربه أن تبطل أو تنتشوه كلها أو بعضها، والشين فيها فاحش لظهورها وبروزها، بل لا يسلم إذا ضربه غالبًا من شين) ^(٤).

(٢) أحكام القرآن للجصاص ٣٢٢/٣
(٣) رواه أبو داود ٤٤٩٥ وصححه الألباني
(١) رواه مسلم ٦٨٢٠
(٢) صحيح مسلم بشرح النووي.

وعن علي عليه السلام أنه أتى برجل سكران، أو في حد، فقال: اضرب وأعط كل عضو حقه، واتق الوجه والمذاكير^(١).

ويضيف (شمس الدين الإنباني) فيقول: «وأن يكون في غير وجه ومقتل».

وعن مروان بن شجاع قال: كان إبراهيم بن أبي عبله يؤدب ولد الوليد بن عبد الملك، فخرج عليه الوليد يوما، وقد حمل جارية على ظهر غلام، وهو يضربها. فقال له: مه يا إبراهيم فإن الجواري (أي البنات) لا يُضربن على أعجازهن، ولكن عليك بالقدم والكف^(٢).

ومن خلال ما تقدم نجد أن أفضل مكان للتأثير: اليدين والرجلين. يذكر أن «الصفع على الوجه» يعد أكثر صور العنف ضد الأطفال، ومع ذلك يرفض البعض اعتباره عنفاً ضد الأطفال معتقدين أنه ليس له تأثير على الصغار! ولهؤلاء خاصة، ولكل مربّي عامة نقول:

إنّ خطورة الضرب على الوجه كبيرة جدّاً، إذ يدخل الأطفال في حالة غضب عاطفي هائل يجعلهم غير قادرين على تعلم توجيهات الكبار. نعم قد يشفي هذا الضرب غليل الكبار، ولكن على حساب إحداث غضب هائل في نفس الصغار، وبينما يكون غضب الكبار مؤقت، فإن ضرب الطفل على وجهه يستمر أثره لفترات طويلة، كما يعطي هذا الضرب الأطفال إحساساً بأن الكبار خطرين عليهم، فيبتعدون عنهم طلباً للسلامة^(٣).

(٣) أحكام القرآن للجصاص ٣/٣٢٢

(٤) كتاب العيال لابن أبي الدنيا ١/٥٢٦

(١) هداية الله أحمد شاش: موسوعة التربية العملية للطفل، ص(٤٢٢).

♦ لا ضرب مع الغضب: ومن علامة الغضب بذاعة اللسان في السب والشتم وتقبيح الطفل .. ولهذا أوصى القابسي في رسالته بالابتعاد عن ذلك، فقال عندما يكثر خطأ الطفل: «ولم يغن فيه العزل، والتقريع بالكلام الذي فيه القواعد من غير شتم، ولا سب لعرض، كقول من لا يعرف لأطفال المؤمنين حقاً، فيقول: يا مسخ! يا قرد! .. فأستغفر الله منها، ولتنته عن معاودتها، وإنما تجري الألفاظ القبيحة من لسان تمكن الغضب من نفسه، وليس هذا مكان الغضب، وقد نهى الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أن يقضي القاضي وهو غضبان^(١)» ... إننا حين نغرق في الغضب من سلوكيات أبنائنا، نتحول إلى أناس يتحركون بلا إرادة، ومن ثم لا نحصل من أبنائنا إلا على علاقات مقطعة، وسلوكيات مشوهة.

♦ لا تأمر الطفل بعدم البكاء أثناء أو بعد الضرب.

♦ إياك وإرغام الطفل على الاعتذار بعد الضرب مباشرة وقبل أن يهدأ، لأن هذا فيه إذلال ومهانة له.

♦ من واجبنا أن نعلم الطفل أن يعتذر، وعلينا أن نشجعه على ذلك؛ لأن الاعتذار أمر مهم جداً في منظومة العقاب، ولكن بعد توقيع العقوبة وليس قبله، بمعنى أن جزءاً مهماً في توصيل رسالة العقاب التربوية هو الاعتذار، حتى يترسخ في ذهن الطفل سبب العقاب، ويكون الاعتذار هو التعبير العملي عن وصول رسالة العقاب إليه .. أي أنه عرف خطأه ولذلك

(٢) التربية في الإسلام ص ٢٧٠ وحديث «لا يقضين حاكم بين اثنين وهو غضبان» رواه الجماعة عن أبي بكر رضي الله عنه

يعتذر عنه؛ وقد دفع ثمن هذا الخطأ، وهذا ما لا يحدث في حالة الاعتذار قبل وقوع العقاب، وبالتالي لا يصبح لهذا التهديد بالعقاب أو عدم الاستمرار في إنفاذه أي أثر تربوي، فيعود الطفل لنفس السلوك السيئ.

من المهم نسيان أو تناسي الذنب بعد الضرب، وتجنب تذكير أو تعيير الطفل به. أيضا ينبغي عدم التحدث كثيراً في تفاصيل الأخطاء؛ إذ إن الطفل قد يسعد بذلك لأنه يشغل الأسرة ويلفت انتباهها طوال الوقت.^(١)

وأخيراً.. يجب أن نتذكر أننا لن نستطيع إصلاح سلوك الطفل دفعة واحدة؛ فلا بد من الصبر، وتجنب الضرب قدر الإمكان، فالضرب لا يعتبر طريقة للعقاب، وإنما وسيلة لهدم البناء النفسي للطفل، وتعليمه أن جسمه يمكن أن يدفع كل الأثمان للآخرين.. فلو أخطأ فلأبوين إهانة ذلك الجسم، ولو أثناب عليهم بإمتاعه.. وبالطبع لذلك دلالات خطيرة تبعده عن الرقي الإنساني.

«ومن المؤسف أنه باسم التربية وتهذيب الأبناء تُرتكب أحياناً جنح القذف والسب والضرب، وجنايات ترويع آمنين، وشروع في محو شخصية طفل، باستخدام القوة والعنف!

(١) من مصادر البحث

- معا نتعلم كيف نضرب أطفالنا د. محمد مهدي
- أفكار اجتماعية عبد الله الجعثن
- كيف تكون الشدة ومتى يكون اللين في تربية الأطفال د. علاء الدين بدوي فرغلي
- منهج التربية النبوية للطفل محمد نور ج ١
- كيف تربى ولدك، ليلي بنت عبد الرحمن الجريفة
- تربية الأولاد في الإسلام، محمد سعيد مرسي

باسم التربية وتهذيب الأبناء، يمارس بعض أولياء الأمور مهنة
حانوتية ترايبية، فيكفنون النبوغ والتفرد، ويدفنون الموهبة والإبداع
والابتكار، ويهيلون التراب على البراءة والحب والحنان!
نسينا أن من حق الطفل أن يسأل، ويحاور ويجادل، وواجبنا أن نجيب
وننفهم ونتعقل ونصبر .. يريد البعض إلغاء شخصية الطفل الخاصة وكيانه
المختلف .. يريدون أطفالاً نسخاً متطابقة شكلاً وموضوعاً على طريقة
«النعجة دوللي»!

نسينا أن لكل جيل مفرداته الفكرية، وتطلعاته المستقبلية.
نسينا أن ممارسة القهر ضد الطفل تعد الطريقة المثلى لتفريخ العنف
المضاد، المتمثل في العداء للمجتمع والأسرة والنفس.
نسينا أن من حق الطفل أن يعيش طفولته، ولا يحيا كهولتنا .. أن يحيا
سعادته، ولا يعيش تعاستنا وتجهمنا وكآبتنا.
إننا في حاجة ماسة لقانون يحترم إنسانية الطفل، وحقه في العيش
الآمن الكريم، وتوقيع أشد أنواع العقوبة على مرتكبي العنف والقهر ضد
الطفل، الذي لا حول له ولا قوة ، فيكون القانون سنده من ضعف، وأمانه
من خوف.

إننا في حاجة لتغيير نظرتنا للطفل، ومعاملتنا له، ونحتاج لتغيير
مفهومنا للتربية والتهذيب، بعيداً عن الشخط والنطر، والفلكة والكرجاج ..
إننا في حاجة لمحو الشعار الذي عشن كالعنكبوت في أذهان البعض
«العصا لمن عصا»، ونستبدله بالحب الذي يصنع المعجزات.

إننا فى حاجة لإنشاء جمعية لحماية الطفل .. وبعد أن نجحت حملات التطعيم ضد الأمراض البدنية نجاحاً منقطع النظير، نحتاج إلى حملة قومية لتطعيم الطفل طعم الحرية، ضد القهر وضد الضرب .. حملة قومية ضد الرعب وشلل الفكر»^(١).

(١) من يمنع ضرب الأطفال فى المنازل؟! مجدي شلبي / بتصرف

سلوكيات تربوية خاطئة

- تخويف الطفل بالغول والعفريت والحرامي والنار والحقن والطبيب.
- تربية الأطفال على التهور وسلطة اللسان والتطاول على الآخرين.
- المبالغة في حسن الظن بالأطفال .
- المبالغة في إساءة الظن بهم.
- السخرية من الأبناء والاستهزاء بهم وبحديثهم.
- تربيتهم على عدم تحمل المسؤولية.
- الدفاع دوماً عن الطفل في حضرته وتبرير أخطائه.
- معاملة الأبناء معاملة واحدة في التوجيه والتهديب والعلاج.
- قلة تعاون الوالدين مع المدرسة وسوء انتقاء مدارس الأبناء.
- تزوير الحقائق أمام الأطفال ،وتأسيس التهرب من الحقيقة لديهم.
- قول بعضهم: لم نكن نريد بنتاً رابعة.
- تربية الأطفال بأوامر ونواه سلبية.
- تنشئة الأطفال على الاهتمام بالمظاهر.
- تربيتهم على السخرية ومتابعة الأمور وسيئ العبارات.
- عدم تعويد الأبناء على النظام والترتيب والتخطيط في كافة شئونه.
- أن يجبر الآباء الأبناء على اختيار الهوايات والميول.
- تعويد الأبناء على تنفيذ الأوامر والنواهي بعد تكرارها واحدة تلو الأخرى.

- فرض الأوامر على الطفل دون اقتناع منه بأدائها.
- تحديد سياسة للتعامل مع الطفل لا تتغير مهما غير سلوكه.
- إحجام الآباء عن فرض الانضباط على الطفل.
- عدم التعامل مع أخطاء الطفل بسياسة النفس الطويل.
- عدم محاولة المربين تفهم الدوافع التي تؤدي بالطفل إلى السلوك الخاطئ.
- قبول الوالدين دوما شروط الطفل.
- الإسراف في الوعود المتكررة للطفل.
- عقاب الطفل عقابا عرضيا على سلوكه الجيد.
- عدم معاقبة السلوك الخاطئ الصادر عن الطفل.
- عدم الإيحاء الإيجابي للطفل.
- المقارنة الغير عادلة مع غيره من الأطفال.
- التناقض أو الازدواجية من قيمة إلى أخرى أو من موقف تربوي لموقف آخر.
- عدم مراعاة الفروق الفردية عند التعامل مع الطفل.
- عدم مشاركة الطفل في وضع قواعد السلوك.
- إتباع اتجاهات سلبية خاطئة عند التعامل مع الطفل.^(١)

(١) ٤٣ سلوك تربوي ممنوع إستخدامها مع الأطفال/ بتصرف
<http://forum.stop55.com/107124.html>

- أن تهدد الأم ابنها بأن أباه سيعاقبه عندما يعود إلى البيت، وهذا يجعل الأب شرطياً مهمته العقاب لا صديق حميم، بل إن الوالد قد يشعر بالحر ج من زوجته يعني يعاقب على شيء لم يشهده، وإذا كان الأب متعباً قد يترك الابن دون عقاب فنكون هددنا ولم ننفذ.
 - تضخيم أخطاء الأبناء، واعتبار الصغيرة كبيرة، وكأن الخطأ الذي يرتكبه الابن أو البنت لا يُغتفر، أو لا يمكن إصلاحه، حتى أن البعض من الآباء أو الأمهات -ونتيجة لصبرهم المحدود والنافذ سريعاً- يشتكون من بعض تصرفات أبنائهم بالقول: لقد تغيروا .. لم يعودوا يطيعوننا .. هم الآن غيرهم بالأمس .. لا جدوى من إصلاحهم.
 - استمرار التعامل مع الأبناء كأطفال صغار لم يشبوا عن الطوق، ولم يبلغوا الحلم ، وما زالوا دون سنّ الرُّشد، ممّا يُبرّر للآباء فرض وصاياهم عليهم حتى وهم كبار، الأمر الذي يخلق حالة من النفور والنفرة عند الشبان والشابات الذين يتطلّعون إلى تعامل فيه الكثير من الرحمة والتقدير والاحترام لشخصياتهم التي غادرت دنيا الصغار إلى دنيا الكبار.
- إن ما يجب التأكيد عليه، هو أن مدى نجاح الارشاد والتوجيه للطفل، يعتمد أساساً على الانسجام بين الأب والأم، إذ على قاعدة هذا الانسجام ينشأ الطفل، وتنشأ معه عاداته المكتسبة وطرق تصرفه واتجاهات تفكيره. وبقدر ما يجعل الأهل ابنهم معتاداً على أنهم يقصدون ما يقولون ويعونه تماماً، بقدر ما يكون وقع الإرشاد في نفسه أكثر، وإذا دعت الحاجة

لممارسة العقاب ضده، فيجب أن يدخل هذا العقاب في مجال الإقناع، وليس بهدف جعل الطفل غاضباً، وإلا فإن هذه العقوبة فاشلة حكماً.

أبجديات الصراع الطفولي

- الغيرة بين الأطفال .. تزداد مع المولود الجديد
- شجار الأولاد .. منه الحلو ومنه المر
- طفلي يعض !!!
- الطفل العدوانى .. سلوك نشاز في عالم الطفولة البريء
- صغارنا وخلق التسامح

الغيرة بين الأطفال .. تزدد مع المولود الجديد

الغيرة إحدى المشاعر الطبيعية عند الإنسان، ويجب أن تتقبلها الأسرة في أطفالها كصفة واقعية، ولكن لا تسمح في نفس الوقت بنموها .. فالقليل من الغيرة يفيد الطفل، وهي حافز يحثه على التفوق، لكن الكثير منها يفسد حياته ويصيب شخصيته بضرر بالغ، حيث تمثل خطراً داهماً على توافقه الشخصي والاجتماعي.

ومما تجدر الإشارة إليه أن الغيرة في الطفولة المبكرة تعتبر شيئاً طبيعياً حيث يتصف صغار الأطفال بالأنانية وحب التملك وحب الظهور، لرغبتهم في إشباع حاجاتهم دون مبالاة بغيرهم أو بالظروف الخارجية، وقمة الشعور بالغيرة تحدث فيما بين (٣ - ٤ سنوات)، وتكثر نسبتها بين البنات عنها بين البنين، وتزداد أيضاً في الأسر الصغيرة التي يكون التركيز فيها على الطفل من ناحية الوالدين، كما تقل الغيرة إذا زاد الفارق الزمني بين الطفل وأخيه أو أخته.

أعراض الغيرة

تظهر الغيرة في صور مختلفة، مثل: التبول اللاإرادي أثناء النوم، إغماض العينين بطريقة عصبية، التأناة، الرغبة في التبول في فترات قصيرة، السلبية، رفض الطعام، التمارض وافتعال المشاكل التي من شأنها تحويل اهتمام الوالدين إليه وحده بالخروج عن الوضع المألوف إلى وضع جديد يثير اهتمام الآخرين ويسترد التميز المفقود، ملاحظة الانقلاب في

السلوك بحضرة المنافسين دائماً في صورة صراخ شديد أو غضب حائق أو عدوانية مستفزة، أو تمرد وانطوائية، كذلك تصرفاته الجافة مع لعبه ومحاولة تكسيرها.

ومن مظاهر غيرة الطفل: جذب الاهتمام عن طريق النكوص إلى أنماط سلوكية طفولية سابقة، مثل: سؤال والدته دائماً لتحمله أو لتطعمه بيدها، الرغبة في تناول زجاجة الرضاعة ثانية، التكلم مثل الأطفال الصغار، النوم في سرير الطفل الرضيع.

وقد تظهر الغيرة بأسلوب تعويضي مصطنع، حيث يخفي الطفل مشاعره الحقيقية، ويقوم بدور الممثل نحو أخيه المولود الجديد فيأخذ في ضمه وتقيله، ولكنه في حقيقة الأمر يود قرصه أو ضربه، وقد تكون هذه الحركات تلقائية وعفوية في أغلب الأحيان، وقد تكون مقصودة، ومن جانب آخر قد تظهر الغيرة ممثلة في البكاء أو العناد.

الغيرة المفرطة

عادة لا يخلو تصرف طفل من إظهار الغيرة بين الحين والحين، وهذا لا يسبب إشكالا إذا فهمنا الموقف وعالجناه علاجاً سليماً. أما إذا أصبحت الغيرة عادة من عادات السلوك وتظهر بصورة مستمرة فإنها تصبح مشكلة، ولا سيما حين يكون التعبير عنها بطرق متعددة.

ليس هناك من هو أكثر شقاء وتعاسة من الطفل الغيور، فهو يشعر بأنه أخفق في الحصول على الرعاية والحماية من شخص مولع به ولعاً

شديداً، لذا فهو يختزن أحزانه ويبالغ فيها حتى يشعر بأن الدنيا كلها تعمل ضده.

الغيرة المفرطة تثير في الطفل الحقد والغضب، وتؤدي إلى ضعف ثقته بنفسه، أو إلى نزوعه للعدوان والتخريب .. وقد تصل الغيرة إلى حد التحطيم والحزن، وأحياناً الاكتئاب، بل وتؤثر عليه في المستقبل وتجعله دائم الخلاف مع المجتمع.

كما أن انشغال نفس الطفل لاشعورياً بهذا الوضع المقلق يعطل أو يضعف شعوره بما يجري حوله؛ مما يجعله قليل الاهتمام بكل ما قد ينسبه قضيته المركزية التي هي «اهتزاز ثقته في نفسه، وصعوبة تحقيق ذاته» في ظل المنافسة المفروضة عليه من قبل الغير.

وإذا اشتدت الغيرة عند المرء في صغره لازمته في كبره، فإذا كان طفلاً تعسر عليه كثيراً أن يوفق في صلاته مع أترابه ولهذا يشعر بالخيبة والخل .. وفي هذا نفسه ما يعوقه عن الاندماج في الحياة الاجتماعية وهو يشعر بأنه مهبط الجانب مهمل مظلوم، فهو يتركز حول ذاته، ويزيد هذا التركيز حتى يدفعه إلى تجنب أترابه والابتعاد عن غمرة الحياة، وقد يتملكه اليأس والقنوط، وقد يغدو عاتياً معتدياً حتى يجتذب الأنظار إليه، فإذا مرت الأعوام أدى هذا الانفعال إلى عجزه عن مشاطرة الغير في ما يشعرون به من متعة وهناءة، وصار مستحيلاً عليه أن يشهد نجاح الآخرين دون أن يبدو منه سخط واضح مكشوف، ومن ثم يكون الغيور الحاسد موضعاً لكرهية الناس ونفورهم، وهو كثيراً ما يعتقد أن الناس يضطهدونه

ويسبيئون إليه، وكثيرا جدا ما تنتهي به الغيرة إلى حقد طاغ ينزل به أسوأ العواقب.

أسباب الغيرة

(١) التفريق في المعاملة بين الطفل وبين إخوته.. لذلك نهى رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عن ذلك؛ كما روي عن أنس رضي الله عنه أن رجلا كان عند النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فجاء ابن له فقبله وأجلسه على فخذه، وجاءته بنت له فأجلسها بين يديه، فقال -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «ألا سويت بينهم؟»^(١).

(٢) المقارنة الهدامة بين طفل وآخر، سواء كان بالصرامة أو السلوك.. فالمقارنة الخاطئة بين قدرات الطفل وقدرات إخوته تثير فيه الإحساس بالنقص والعجز وعدم الثقة، لدرجة قد تصيبه بمشاعر الإحباط، إذ ليس أشد إيذاءً من السخرية بمقدرة الطفل وموازنتها بطفل آخر. وقد يساهم الأهل في إثارة جذوة الغيرة في نفوس أطفالهم إذا ما أظهروا محبتهم لأطفال آخرين بأسلوب فيه شيء من السخرية والتحدي.

(٣) الشعور بالنقص خاصة إذا ما كانت جوانب النقص هذه ترجع إلى عيوب جسمية أو عقلية.

(٤) الحرمان من العطف والحنان الأبوي.

(٥) المشاجرات المستمرة بين الوالدين.

(١) رواه البزار، فقال حدثنا بعض أصحابنا ولم يسمه وبقية رجاله ثقات، ورواه الهيثمي في مجمع الزوائد ١٥٩/٨

(٦) خوف الطفل إذا فقد بعض امتيازاته أو احتياجاته الأساسية كالحب والعطف مثلاً.

(٧) تحدث الغيرة غالباً عند الطفل إذا ولد طفل جديد .. فعندما ترزق أسرة بمولودها الأول يكون هذا الوليد شغل والديه الشاغل، فهو أول ثمرة لهما في الحياة، ومنبع شعورهما بمعنى الوجود، ومصدر إحساسهما بعاطفة الأبوة والأمومة .. لهذا يحتل المولود الأول مكان الصدارة في حياة الأسرة ويكون محور الاهتمام.

وعند اقتراب موعد ولادة الطفل الثاني يُؤخر الأول بعيداً عن والدته فترة بقائها في المستشفى، وعند عودتها من المستشفى تكون مُجهددة وترغب أن تستريح، وهو يرغب في القرب منها نتيجة بعده عنها فترة، وبعد استراحتها تقوم بالعناية بالرضيع الصغير، ويقل الوقت الذي تعطيه للأول، ويصل الأهل والأصدقاء للتهنئة بالمولود الجديد والاحتفاء به .. أي أن كل الاهتمام وكل الوقت تحول للضيف الجديد.

ثم تبدأ سلسلة من التعليمات، وباستمرار يكون الصغير في أحضان والدته، ويذهب هو إلى فراشه حزيناً، وبالتالي يعتقد أنه فقد حب أمه له واهتمامها.. كل ما يفهمه هو أن قادم جديد جاء إلى المنزل أخذ منه كل شيء: الحب والحنان من الوالدين، وسرق اهتمام الجد والجدة والأخوال والأعمام، وأن الزوّار أصبحوا يحضرون ومعهم الهدايا لهذا الصغير بينما هو لا أحد يسأل عنه؟! هذا هو كل ما يفهمه الطفل.

وبعد أن يكبر قليلاً يلاحظ أنه يُعاقب لأشياء يُسمح لأخيه الصغير أن يفعلها ولا يعرف سبباً لذلك، أو أنه أصغرُ من أن يعرف السبب، وتزداد الغيرة بالمقارنة والتفضيل.

(٨) الغيرة في الطفل الصغير تتولد عند ما يذهب الكبير إلى المدرسة، ويهتم المنزل كله ببدء الدراسة، وبملابس التلميذ الجديد وأغراضه، ثم يرافقه أحد والديه إلى المدرسة في الصباح وهو في قمة السعادة .. وبالطبع يعاني الصغير – بدون قصد- من الأهمال.

منارات عملية

ليست الغيرة أمراً وراثياً بل هي تأتي نتيجة للأناية التي تنتج من التربية السيئة والخاطئة .. فإذا تعلم الطفل مشاطرة لعبه مع الآخرين، واقتسام محبة أبويه مع غيره .. وإذا عرف أن أمه في الحياة واجبات أخرى غير تحقيق كل رغبة وأمنية تبدو منه .. إن هذا الطفل لن تلازمه الغيرة أو تطغى عليه.

لكن الآباء الذين يرون الغيرة أمراً ظريفاً، فيحاولون ابتعاثها دوماً في نفس الطفل (كأن يقارنوه بغير من الأطفال، أو يتعمدو كيدته وإغاظته للمتعة بما يبدو منه من تشنجات) .. إن أولئك الآباء - وبدون أن يشعروا- يضعون الأساس لكثير من المصاعب العسيرة في حياة ولداهم المقبلة.

• أفضل الطرق لتخفيف حدة الغيرة هي ممارسة العدالة في الحب والمعاملة، فلا تظهر رعاية لأحد الأبناء على حساب حصة الآخر.. من المهم توفير العلاقات القائمة على أساس المساواة والعدل، دون تمييز أو

تفضيل ابن على آخر، مهما كان جنسه أو سنه أو قدراته، فلا تحيز ولا امتيازات بل معاملة على قدم المساواة.

- إشعار الطفل بقيمته ومكانته في الأسرة والمدرسة وبين الزملاء .. حاول أن تقدم له ما يريده، وتلبي حاجته أولاً، ثم تلبي حاجة باقي إخوته أو أصدقائه، ليكون هو الأول دائماً.

- تعويد الطفل على أن يشاركه غيره في حب الآخرين.
- تعليم الطفل أن الحياة أخذ وعطاء منذ الصغر، وأنه يجب على الإنسان أن يحترم حقوق الآخرين.

- تعويد الطفل على المنافسة الشريفة بروح رياضية تجاه الآخرين، وكما أن هناك مكسب يوجد أيضاً خسارة.

- بعث الثقة في نفس الطفل وتخفيف حدة الشعور بالنقص أو العجز عنده.. من المهم انتهاز كل فرصة مواتية لإشعاره بقيمته داخل الأسرة، والانتباه إلى كل عمل يمكن أن يزرع ثقته بنفسه وبمحبة والديه له، فحرص على تجنبه أو عند تعذر الاجتناب نَسعى إلى التخفيف من آثاره الضارة على نفسية الولد.

- تعويد الطفل على تقبل التفوق، وتقبل الهزيمة، بحيث يعمل على تحقيق النجاح ببذل الجهد المناسب، دون غيره من تفوق الآخرين عليه، بالصورة التي تدفعه لفقد الثقة بنفسه.

- تعويد الطفل الأناني على احترام وتقدير الجماعة، ومشاطرتها الوجدانية، ومشاركة الأطفال في اللعب وفيما يملكه من أدوات.

- يجب على الآباء الحزم فيما يتعلق بمشاعر الغيرة لدى الطفل، فلا ينبغي إظهار القلق والاهتمام الزائد بتلك المشاعر، كما أنه لا ينبغي إغفال الطفل الذي لا يفعل ولا تظهر عليه مشاعر الغيرة مطلقاً.
- تجنب إظهار الغضب من تصرفات الطفل الغيور الحانقة والمشغبة؛ لأن ذلك من شأنه أن يغريه بالاستمرار في هذا المسلك ما دام يخلق متاعب للآباء الذين يؤثرون إخوته عليه -من وجهة نظره- لعل ذلك يثنى عنهم عن التماهي في ذات النهج.
- يجب على الآباء أن يقلعوا عن المبالغة في مدح الأبناء أمام إخوانهم، مع الأخذ في الاعتبار أن كل طفل شخصية مستقلة لها مزاياها واستعداداتها الخاصة به.
- يراعى دوماً المساواة في العمل بين الابن والابنة، لأن التفرقة تثير الغيرة وتؤدي إلى الشعور بكرهية البنات للجنس الآخر في المستقبل.
- من المهم عدم إغداق امتيازات كثيرة على الطفل المريض والتي من شأنها أن تجعله يمارض أكثر وتثير الغيرة في نفس إخوته.. وخلاصة القول أنه يجب مراعاة الفروق الفردية الدائمة بين الأخوة مهما تكن، وعدم استثارة المقارنات الفردية المؤدية إلى الغيرة. ولا يمنع ذلك بالطبع من إظهار النواحي الطيبة في كل منهم، ومحاولة تنميتها والعناية بها.
- تنمية الهوايات المختلفة بين الأخوة كجمع الطوابع والقراءة وألعاب الكمبيوتر وغير ذلك .. وبذلك يتفوق كل في ناحيته، ويصبح تقيمه وتقديره بلا مقارنة مع الآخرين.

• على الوالدين أن يمهدا لاستقبال المولود الجديد، لتلاشي تولد مشاعر الغيرة لدى الطفل الأكبر، وأن يحببا المولود الجديد له بشتى الوسائل، حتى إذا ما جاء المولود شعر الطفل أنه شيء محبب إلى نفسه وليس منافساً له، كما يجب على الوالدين أن يقتصدا في إظهار محبتهم وعطفهم على المولود الجديد خاصة أمام الأخ الأكبر:

(أثناء فترة الحمل) :

- اجعلي الطفل الأكبر مستعداً لاستقبال أخيه المولود الجديد، بأن تحدثيه عن الحمل وتجعليه يتحسس حركات الجنين أيضاً.
- حاولي أن تعطي الطفل الفرصة ليراقب عن كثب أحد المواليد الجدد حتى يكون لديه فكرة أفضل عن المولود القادم.
- اجعليه يشارك في شراء احتياجات المولود القادم، وامنحيه شعوراً بأن هذه الأشياء هدية منه للمولود الجديد.
- شجعي الطفل على مساعدتك في تحضير غرفة المولود.
- انقلي سرير الطفل إلى غرفة أخرى، أو استخدمي له سرير جديد قبل حلول موعد الولادة بعدة أشهر، حتى لا يشعر بأنه قد تم أبعاده بسبب المولود الجديد، وإذا كنت ستلحقين الطفل بروضة الأطفال فافعلي ذلك قبل الوضع بوقت كافٍ.
- امدحي الطفل على سلوكه الناضج مثل: كلامه بأسلوب مهذب، أو ذهابه إلى الحمام بمفرده، أو القيام بارتداء ملابسه وتناول الطعام بنفسه، ولعبه بمفرده.

○ لا تطلبي من الطفل أن يقوم بمهارات لم يفعلها من قبل في الشهور التي سبقت الولادة (مثل محاولة تدريبه على الحمام) حتى إن كان على استعداد لذلك، فلا بد من تأجيل التغيرات الجديدة إلى أن يتكيف الطفل مع أخيه المولود.

○ أخبري الطفل أين ستتركينه ومن سيعتني به عند دخولك المستشفى للولادة، إذا لم يكن سيمكث مع والده بالمنزل.

○ أقرئي مع الطفل كتباً تتحدث عن فترة الحمل وعن فترة ما بعد الولادة.

(في مستشفى الولادة)

○ اتصلي هاتفياً بالطفل الأكبر يومياً من المستشفى.

○ حاولي أن يقوم الطفل الأكبر بزيارتك أنت والمولود الجديد في المستشفى.

○ شجعي والد الطفل على أن يأخذه في بعض النزاهات (مثل أحد المنتزهات أو حديقة الحيوان.... الخ).

(بعد مغادرة المستشفى)

○ عند دخولك المنزل اقض اللحظات الأولى مع الطفل الأكبر، واجعلي شخصاً آخر يحمل المولود الجديد بدلاً منكما.

○ قدمي للطفل الأول هدية من المولود الجديد.

○ اطلبي من الزوار أن يعطوا كثيراً من اهتمامهم للطفل الأكبر، ودعيه يفتح هدايا المولود الجديد بنفسه.

○ إياك أن تُجري مقارنات بينه وبين هذا الوافد الجديد من حيث الشكل أو الهدوء والطباع، وخاصة في حضور الغرباء وحتى الأقرباء .. فأحياناً كثيرة يؤدي استرسالك في هذه المقارنة إلى الإفصاح من غير دراية منك- عن حبك الزائد لهذا الجديد، بينما هو المسكين يراقب ذلك ويسمع ويتألم لحاله ومآله.

○ يجب أن تشيرى إلى المولود الجديد دائماً بـ «طفلاً الرضيع».

○ لا تعارضي فطرة طفلك، وامنحيه فرصة اكتشاف أخيه الصغير، وشاركه ذلك وحدثه عن ضعف المولود وحاجته للمساعدة خاصة منه، وامنحيه فرصة أن يكون الحارس الشخصي، وعززي فيه دور القوة والبطولة في الحفاظ على هذا الكائن الجميل الجديد في الأسرة، وابتعدي عن كلمة «لا» التي تستخدمها كثيراً معه، فكلمة «لا» تدفعه لمواصلة رغبته في الاكتشاف بطرق أخرى قد تؤذي أخاه الصغير.

(الشهور الأولى في المنزل)

○ لابد أن يكون للطفل الأكبر قدراً أكبر من الاهتمام والرعاية التي يحتاجها، وحاولي أن تشعره بأنه أكثر أهمية من غيره مع الاستمرار في تلبية حاجاته الضرورية، وأن لا يشعر بأن أخاه أصبح عائقاً دون تحقيق رغبته.

○ تجنبى كل مظاهر الرعاية والاهتمام الزائدة بالمولود، مثل: الاحتضان والتقبيل والانفراد به في حضور الابن الأكبر، إلا ما كان ضرورياً من ذلك، وخصوصاً في فترة تعديل سلوكه والرجوع به إلى حد

الاعتدال، فعليك أن تَزني حركاتك وكلماتك، إذ كل ما زاد منها عن الحاجة الشديدة سيؤجج الإحساس بالغيرة عند الابن .. وعندما ترين أنه لا مناص لك من احتضان الوليد لإرضاعه أو تغيير لباسه أو أي خدمة أخرى، فابدئي بملاطفة الولد الكبير وضمه إليك بحرارة، وقبله مرات عديدة وأدنيه منك واستمري في مداعبته والكلام معه ومع المولود في نفس الوقت، حتى تجعلينه يطمئن بأنك لا تنصرفين كليةً إلى الصغير وتهملينه كليةً.

○ لا بد من وضع برنامج للمهام الأسرية مع وضع الطفل الأول في مقدمة أولويات هذا البرنامج؛ بحيث يعطى نصيبه من الاهتمام والرعاية كما كان الوضع قبل ميلاد الطفل الجديد.

○ لا بد من تقسيم هذه المهام على عضوي الأسرة (الأب والأم)، بحيث تصبح مسؤوليات كليهما محددة؛ فالأم مثلاً تطعم الصغير بينما يقوم الأب بحكاية قصة قبل النوم للطفل الأول أو العكس، ويمكن تبديل المسؤوليات كل أسبوع أو كل يوم .. كما يجب أن يعود الوضع إلى ما كان عليه قبل ميلاد الطفل الجديد؛ بمعنى لو كان طفلك الأكبر قد اعتاد أن تطعمه أمه وجبة ما أو كل الوجبات، أو أنها تلعب معه، ثم توقفت عن ذلك بعد تزايد مسؤولياتها - أعانها الله- فلا بد من أن يعود الأمر كما كان.

○ خصصي وقتاً للعب مع الابن الكبير في أثناء وجود الطفل الصغير بجواركما، ولا تنتظري حتى ينام الصغير مثلاً؛ لأن ذلك يعزز شعور

الطفل بأنكما منسجمان بدونه، وعند لعبكما لعبة فيها مكسب وخسارة لا بد أن تتبادلا النصر والهزيمة.

○ شجعي الطفل على أن يتحسس المولود ويلعب معه، على أن يكون ذلك في حضورك.

○ اجعلي الطفل يساعدك في العناية بالمولود .. اطلبي منه - مثلاً - أن ينتبه ويرعى أخوه الصغير حتى تعدي له وجبته، ويكون ذلك تحت إشرافك، وعندما ينفذ ما طلبت اشكريه على معاونته لك.

○ حينما تخرجان للتسوق اطلبي منه اختيار هدية له وأخرى لأخيه، وذلك لتشعريه برعايته له ومسئوليته عنه، وثقتك في توليه لبعض أمور أخيه.

○ احضري له/لها عروسة أو دبة يجعلها ابناً له ليعتني بها ويمارس معها الأمومة/الأبوة والصداقة، وقد تخرج طاقته العدوانية فيها وينفس فيها بشكل معقول عن غيرته كي تخف حدة هذه النزعة لديه، ولكي يصبح قادراً على التعامل مع هذه النزعة دون كبت مفرط.

وفي هذا الصدد يقول دكتور «روث مرتاي»: (إن الدمية كافية للتنفيس عن شعور الطفل بالغيرة وتحرره منها، حيث يحدث عملية انشطار للمشاعر المزدوجة المتناقضة بتوزيعها على موضوعين مختلفين، يمثل أحدهما الطفل الحقيقي، والثاني الدمية، وهي الوجه المكروه للمنافس الأخوي)، وبذلك تمتص العروسة جانب الكراهية والعداء؛ مما يسمح بتوجيه الود للأخ.

○ أشعريه أنه من حقه أن يبدي استياءه من أخيه، ولكن في حدود عدم الإيذاء، بل وشاركه أحيانا هذا الاستياء، ولهذا أثره المجرب فعلا؛ كأن تقول: «أتعرف لم أحب اللعب معك؟؟ لأنك كبير، وكلامك ممتع، صحيح أنني أحب أخاك لكن لا أستمتع معه مثلما يحدث معك.. فهو لا يعرف الكلام واللعب.. لكنك ستعلمه.. صح؟»، أو «إن هذا الطفل لا يعرف الكثير»... إلى غير ذلك مما يشعره أنك في صفه؛ بحيث تساعدني على التغلب على عدائه تدريجيا وتخطيه، والتعاطي مع ازدواجية المشاعر (مشاعر الحب والعداء في نفس الوقت!) لديه بارتياح؛ فهذا التفهم لمشاعره السلبية، وإشعاره أنها طبيعية يؤكد له أنه محبوب وذو قيمة؛ فيحب نفسه ويتمتع بالأمان.

○ إذا كان الطفل كبيراً - نوعاً ما - فشجعيه على أن يحدثك عن مشاعره المتضاربة تجاه المولود الجديد.

○ لا تطلبي من الطفل أن يلزم الهدوء من أجل المولود.

○ تقبلي السلوك الرجعي للطفل مثل مص إبهامه أو تشبثه بك.

○ عودي طفلك على تقاسم محبتك وحبك وعنايتك مع الطفل الأصغر .. أي العمل على المساواة بين الأولاد في التعبير عن الحب والحنان في اللحظة نفسها رفعا لكل التباس أو غموض، ويعزز هذا السلوك بكل ما يخدم هذا الاتجاه ويحقق هدفه، مثل تقديم لعبتين متشابهتين له وللصغير وتكليفه بأن يختار منهما واحدة ويسلم الثانية للصغير، وأن نضع ملابس الصغير أو أي شيء يتعلق به في مكان معين، ونطلب منه أن يحضره له

مثل رضاعته أو نصيبه من الحلوى أو لعبته، ثم يظهر ابتهاجنا بكل تواصل إيجابي يقوم به إزاء الأخ الأصغر، ونحفزه على مواصلته بالثناء عليه وشكره وتقيله.

○ التظاهر أمام الطفل بأن كل شيء يفعله طبيعي، ومعاملته بالحب والاحترام .. الطفل الغيور – عموماً- هو طفل غير سعيد وعلى الأم أن تبذل كل المحاولات لجعله سعيداً، فيجب أن تتحاشى التأنيب أو التوبيخ حتى لو أضر أخاه الصغير، فكل هدفنا أن نجعله يلعب معه ويساعد أمه في خدمته، ففي حالة ضربه أو إصابته للصغير تأخذه الأم بعيداً، وتحاول أن تجعله مشغولاً، ولا تؤنبه إطلاقاً بل تعطيه الحب والأمان. وإذا تكرر الفعل اللاإرادي لا تنصحه الأم بأي شيء وإنما تشغله في لعب أو خلافه، وإذا دمر لعبته أو أفسدها فلا تفعل له شيئاً بل تشغله في شيء آخر وتعطيه الحب والحنان والأمان. وأي توبيخ أو عقاب قد يزيد المشكلة تعقيداً.

○ عندما يتكرر سلوك عدم الغيرة بشكل مطلوب، فمن المهم أن يعزز بطريقة عشوائية، أي ليس في كل موقف يظهر فيه عدم الغيرة، بل يعزز بعد عدة مواقف (بالتقبيل أو الاحتضان أو بشراء هدية رمزية دون إفراط)، وذلك لتثبيت السلوك الجيد به.

○ إيصال الطفل الأول أو الأسبق لمراحل متقدمة من النضج، وذلك بأن نغرس في نفسه أنه أصبح كبيراً ناضجاً وأنه يعتمد عليه في رعاية أخيه، وأنه سيكون كالوالد له، ويمكن تكليفه ببعض الواجبات ومنها رقابة

أخيه الصغير وكل ذلك يشعره بأنه لازال محبوباً وموضع اهتمام والديه
وأن ولادة أخيه لم تؤثر على ذلك.
○ أن نبني له صداقات خارجية مع أطفال من سنّه.^(١)

(١) من مصادر البحث
- مشكلات الأطفال اليومية د. محمد جوهر
- الخطوات الـ ٧ لتجنب غيرة الأطفال وفاء أبو موسى
- غيرة وشجار الأشقاء دعاء ممدوح
- تربية الأولاد في الإسلام ج ١
- سلوك الغيرة عند الأطفال وليد مراد - ممارس أول علاج نفسي
- صحة الطفل د/ خليل مصطفى الديواني

شجار الأولاد .. منه الحلو ومنه المر

الشجار بين الأطفال مثل لعبهم لا يكاد يخلو منه بيت من البيوت، وهو على عكس ما يتصور البعض أنه «شرخ في العلاقة الأسرية»، فالشجار يمثل مرحلة طبيعية في النمو، فمثلاً أطفال السنتين يضربون، ويدفعون، ويخطفون الألعاب والأشياء، بينما يميل الأطفال الأكبر سنًا إلى أسلوب الإساءة عن طريق اللغة «الإغاضة»، ويزداد الشجار والتنافس والتناحر مع ازدياد العمر، فطفل الثماني سنوات أكثر شجارًا من طفل الأربع سنوات، وهكذا...

وقد يكون للمشاحنات البسيطة بين الإخوة فوائد تعلمهم كيف يدافعون عن أنفسهم وعن حقوقهم، وكيف يحلّون صراعاتهم بأنفسهم ويعبّرون عن شعورهم، وكثيراً ما يستمتع الإخوة وهم يتشاجرون مع بعضهم البعض، فهم يتعرفون من خلال تلك المناوشات على إمكانياتهم ونقاط الضعف والقوة عندهم، ويجربون نشوة الإثارة والانتصار.

وقد تضيف أيضاً الإغاضة غير المؤذية على الإخوة جواً من المرح. أما حينما يصبح تحرش الأخوة شديداً فإن على الأبوين التدخل بسرعة؛ ليمنعوا الإغاضة المتكررة الساخرة التي تؤثر على نظرة الطرف الثاني إلى ذاته وتهزُّ ثقته بنفسه. وأما الشجار المؤدي إلى التشابك بالأيدي فيجب على الأبوين منعه بشتى الطرق، وألا يسمحوا -عموماً- بإساءة الأطفال المعاملة

من قبل بعضهم البعض سواء أكانت الإساءة نفسية (الإغاطة، الإهانة اللفظية..) أو جسمية (الضرب والدفع ..).

أسباب ودوافع

● الخلافات الطبيعية التي تحدث بسبب الحياة المشتركة بين عدة أشخاص ولفترة طويلة؛ فلا يرغب الأطفال عادة أن يشاركهم أحد في الحصول على المحبة، والانتباه، والإشباع العاطفي.

● التفضيل: فقد يفضل أحد الأبوين طفلاً على آخر -حتى لو لم يظهر ذلك- فتحدث الغيرة، ومن ثم الشجار الذي ربما يصل إلى التناحر .. إن كل طفل يشعر في وقت من عمره أنه «ضحية»! وقد يكون لهذا الشعور ما يبرره من تصرفات الوالدين، وقد يكون شعوراً وهمياً .. أياً ما كان الأمر، فإن شعور طفل في الأسرة بأن أخاه أو أخته أفضل منه عند أبويه سيكون سبباً في كراهية الطفل المفضل، وبالتالي حدوث صراع معه لا ينتهي.

● عدم مراعاة ما بين الأبناء من فروق فردية، وتمييز المعاملة بينهم على أساس ما منحوا من قدرات ومميزات فطرية لا دخل لهم بها .. فالطفل ذو الإمكانيات المتواضعة قد يظهر مشاعر عدوانية تجاه أخيه الأكثر تميزاً، خصوصاً إذا وجد هذا الألمي دعماً خاصاً من قبل الوالدين والمتعاملين معه في المحيط الذي يعيش فيه، مع إهمال - حتى وإن كان غير مقصود- للطفل المحدود القدرات، ويزداد الأمر سوءاً إذا قورن أحدهما بالآخر، فيفقد الطفل الضعيف ثقته بنفسه، ويبدى العدوانية تجاه أخيه المتميز، ويعبر عن ذلك بحجج واهية، وقد يخترع أية مشكلة صغيرة لتفريغ شعوره بتدني

الذات لديه .. كل هذا يحول الإخوة إلى أسود، كل أسد يتربص بما اصطاده الآخر، ويريد صيدًا مشابهًا كما يقول دكتور «سبوك».

• عدم توازن القوى: الطفل الكبير دوماً يكون أقوى من الطفل الصغير، لذلك فهو أقدر على ضرب الصغير وخطف اللعب والحلوى من يديه، لكن ما إن يشب هذا الصغير عن الطوق حتى يتعلم ضروباً من الحيلة يثأر بها لنفسه .. فتارةً يبعثر ألعاب شقيقه الأكبر ليفسد عليه لهوه، وتارةً يكسر تلك الألعاب أو يتلفها انتقاماً، وتارةً ثالثة يصطنع دور المظلوم، فيصرخ ويبيكي ليستعدي والديه على شقيقه.

• اختلاف الجنس: للصبيان ألعاب وهوايات مشتركة تختلف عن البنات، وعندما يكون الطفلان من جنس واحد يكون ذلك مدعاةً للتقارب وتخفيف حدة الصراع ولو لسويغات محدودة يومياً، وعلى النقيض من ذلك عند اختلاف الجنس. فضلاً عن أن الأطفال الذكور يحاولون السيطرة على البنات مما يكون مدعاةً لحصول المشاكل والثورات.

• اختلاف الطباع: قد يكون أحد الأطفال حيويًا متدفق النشاط لا يكف عن الحركة، وربما يكون مشاكساً، وعلى العكس يكون شقيقه هادئاً وديعاً قليل الحركة. وللوهلة الأولى يبدو أن الطفلين يتم أحدهما الآخر، بينما في الحقيقة يكون الأمر مختلفاً .. فالطفل المشاكس لا يكف عن مجاذبة أخيه الوديع، الذي يستسلم تارةً ويثور تارةً، وقد يلجأ الطفل الوديع إلى الحيلة للتأثر من شقيقه الذي لا يدعه لحاله.

- حب التملك: أي الرغبة في الحصول على ما في يد الأخ الآخر، سواء كانت لعبة أو قطعة حلوى ... أو غيرها
- الطاقة الزائدة، واستخدام القوة لإثبات الرجولة: كأن يكون الابن حركي لديه طاقة كبيرة يستخدمها في مضايقة إخوته، وأحيانا يكون أسلوب اللعب لديه هكذا. أو أن يكون صاحب قوة وعضلات ويحب أن يمتاز عن بقية إخوته فيستعرض عضلاته عليهم حتى يثبت أنه الأقوى. وأحيانا أخرى من باب الدفاع عن النفس والممتلكات، فلا يعرف لغة التفاهم، وإنما لغته المفضله هي القوة والعنف، خصوصا إذا كان صبييا.
- وهناك نوعية أخرى من الأبناء يستخدمون الشجار من باب أنه دليل الرجولة وسمة من سماتها، ظنا منه أن الرجل من يهابه الناس بعلو صوته وخشونته في التعامل، وأن الشجار دليل القوة.
- العدوانية: يتسم سلوك بعض الأطفال بالخشونة والفظاظة. ومثل هؤلاء الأطفال لا يتورعون عن سب وضرب كل من يعترض طريقهم، صغارا كانوا أو كبارا.. هؤلاء الأطفال قد يشعلون فتيل شجار وعراك دون تحرش، وحتى دون سبب بالمرّة.
- توتر جو الأسرة: ينعكس جو الأسرة على الأطفال بصورة واضحة. فإذا كانت الخلافات والمناقشات الحادة بين الوالدين ما تكاد تنتهي إلا لتبدأ من جديد، فمن الطبيعي أن ينعكس ذلك على نفسية الأطفال، فيسهل توترهم وتشاجرهم.

وبالطبع فإن تلك المشاجرات تثير أعصاب الأبوين، وقد يصابا بالصدمة حين يعجزان عن منع تلك المشاجرات، حتى إن بعض الآباء يشك في قدرته على التربية، ويُسائل نفسه متحسرا: كيف لا يستطيع تربية أبنائه من دون شجار ولا خصومات؟.

منارات عملية

• «المحبة الفردية» .. عامل - عزيزي الأب/عزيزتي الأم - كل طفل من أطفالك كأنه طفلك الوحيد، واجعله يشعر أنه مهم ومحبوب بذاته بلا شرط ولا قيد، وأظهر تعاطفك الأكبر مع الأقل حظاً وموهبة .. فعندما يتأكد الطفل من مكانته في قلب الأم والأب، فإنه لا يهتم بما يأخذه بقية أخوته من حب والديه.

ولهذا فإن أول قاعدة في الوقاية من هذا الأمر بل وعلاجه أن «لا تقارن أي طفل بالآخر، وعامل الجميع بعدالة، وكن واعياً لإشارات التفضيل التي قد تصدر ودون قصد منا نحن الوالدين»، مثل:

- مناداة أحد الأطفال باستخدام مفردات التحبيب دون غيره.
- الانسجام بشكل أفضل مع طفل معين.
- قضاء وقت أطول مع طفل معين.
- التدليل العلني لأحد الإخوة.
- تقليل أهمية إنجازات أو قدرات أحد أطفالكم أو تجاهلها.
- إنفاق نفود أكثر على أحد الأطفال (ملابس، دروس خاصة، جامعة أفضل... إلخ).

ومن الأفضل أن يقوم الأبوان بسؤال أطفالهم بين الحين والآخر ما إذا كان أحدهم يشعر بتفضيل أحد على آخر، وألا يعتمدا على تفسيرهما الخاص للأمور، طبعاً بطريقة لا نعتمد فيها فقط على الأسلوب المباشر في معرفة الأمر في جالسات خاصة بكل طفل، وأفضل الأوقات لمثل هذه الأسئلة كما علمنا الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- هي: «وقت النزهة، والركوب» كما جاء في حديث ابن عباس رضي الله عنه قال: (.. كنت خلف رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ..)، ووقت الطعام لحديث أنس رضي الله عنه: «يا بني: سمَّ الله، وكل بييمينك..»، ووقت المرض.

• معرفة الدوافع والأسباب الحقيقية التي تكمن وراء تكرار المشاجرات لمعالجتها جذرياً حتى تقل أو تنعدم .. فقد يكون الشعور بالنقص الشديد، أو الغيرة، أو الرغبة في لفت الانتباه، أو حب الانتقام، أو حب الاستحواذ، أو ميول عدوانية نحو الوالدين، أو سوء تعامل الآباء والمقارنة الجائرة بين الأبناء وعدم العدل في المعاملة .. وربما تعبيراً عن قلق داخلي لدى الطفل تجاه شيء معين.

• من المهم جداً التعرف على حالة الطفل الصحية، فقد يكون سرعة الغضب أو البكاء نتيجة: اختلالاً في إفرازات الغدة الدرقية، أو الشعور بالإجهاد، أو الإمساك المزمن، أو سوء التغذية .. أو غيرها من الأسباب.

• الخلاف بين الأولاد ليس كله ضاراً، وليس بالسوء الذي يبدو للكبار، وقد يكون للمشاحنات البسيطة بين الأخوة جوانب إيجابية خصوصاً إذا قام الوالدان بدور التوجيه مثل:

- تعليم الأطفال كيفية الدفاع عن أنفسهم.
- تعليم الأطفال كيف يدافعون عن حقوقهم.
- تعليمهم كيفية التعبير عن مشاعرهم.
- تعويدهم على احترام حقوق الغير.
- تعريفهم بمعنى الصدق والكذب.
- بيان أهمية الأخذ والعطاء بأسلوب يحقق لهم المحافظة على حقوقهم وعلى حقوق الغير.

● إذا لم يكن هناك عنف أو استعمال العضلات في الشجار، فلا حاجة إلى المسارعة دوماً بالتدخل وحل النزاع .. الأولاد يحتاجون لمثل هذه النزاعات والخلافات، فهم يتعلمون منها أموراً كثيرة تنمي ملكاتهم وشخصياتهم .. ذكر في كتاب «الغيرة الأخوية وتفهم الوالدين» للكاتب (كوستي بندلي) قوله: «إذا ترك الأولاد لأنفسهم أقاموا فيما بينهم علاقات أكثر عدلاً وإنصافاً من تلك التي نقيمها عنهم؛ فهم يتعلمون أن يتحلوا بالدبلوماسية في مواجهة الواقع، وأن يعرفوا المساواة والعدل واعتبار الآخر واحترامه، وهذا هو بالضبط ما نريد تعليمه لأولادنا، وأفضل أسلوب لذلك أن نتوارى ونفسح لهم المجال لتصفية خلافاتهم البسيطة».

أما إذا كنت دائم السيطرة على المواقف، فهذا يعني أن العلاقة بينهم ستكون غير طبيعية، ومضبوطة بسلطتك أنت عليهم، وأنهم سيهجمون على بعضهم عندما تدير ظهرك عنهم، أو أن تدوم روح العداء بينهم، والتي لم يُنْفَس عنها طوال طفولتهم، وستكون العلاقة بينهم ضعيفة حيث يفضلون

الانفصال عن بعضهم في أول فرصة. لكن الأولاد الذين يُسمح لهم ببعض الجدل في صغرهم يصبحون عادةً أشد قرباً من بعضهم في كبرهم.

• إذا كان أحد الأولاد عرضة للإصابة بأذى جسدي فعليك أن تتدخل فوراً حتى تمنع الخطر المحدق، بأن تنادي عليهم وتأمّرهم أن يتوقفوا عن الشجار فوراً، وهذا عادة ما يحدث في شجار الأولاد، أما البنات فيملن إلى جولات الصراخ بدلاً من استخدام العضلات.

• عندما يتدخل أحد الوالدين لفض خصومة بين أطفاله فغالبا ما يدخل هو نفسه طرفاً فيها. وقد يتطور الأمر إلى مجلس قضاء يستمع فيه الأب أو الأم إلى أقوال كل طرف. وقد يتكون الحكم سلفاً قبل الاستماع إلى الأقوال: فالصغير -مثلاً- يجب ألا يُحرم من شيء، وألا يُضرب لأنه صغير، ومعنى ذلك صدور حكم جائر بأن الكبير هو الظالم في كل مرة!

إن معارك الأطفال ليست مثل خصومات الكبار .. مجرد احتضان الطفلين المتخاصمين سوف يؤدي إلى انتهاء الخصومة فوراً دون الحاجة إلى الاستماع لأقوال المدعين وشهادة الشهود. لذلك فواجب الآباء والأمهات عند التدخل لفض نزاعات أبنائهم هو تهدئة الموقف دون الدخول طرفاً في النزاع.

ويلخص (د.درايكرس) ذلك بقوله: «الأولاد يتشاجرون عمداً ليجتذبوا الانتباه، فأصغرهم يستخدم المشاجرة ليبرز ذاته في نظر الأهل ليستدرجهم لإعطائه الحق وتحميل اللوم للأخ الأكبر، ولو كلفه ذلك تلقي الضرب من أخيه الأكبر، أما الأكبر فهو يرد على تحدي الأصغر ليفرض نفسه بهذه

الوسيلة على انتباه الأهل؛ لذا فإن تدخل الأهل ولو أخدم المشاجرة وقتياً إلا أنه يغذي لدى الأولاد الحافز الذي دفعهم للشجار، وبالتالي فهو من حيث لا يدري يشجعهم على تكرارها».

ويمكن أن تستمع إلى كل الأطراف كل على حدة، ودع الأطفال يفهمون لماذا بالضبط تم اتخاذ القرار بهذا الشكل.

• علينا أن نعمل على تعليم الأطفال طرق التعبير عن مشاعر الغضب، كالحديث المباشر إلى أخيه، وحذار أن تطلب منه أن يصمت، ولا يذكر أنه يكره أخاه أو أخته، بل استمع إليه وإلى مشاعره حتى تتمكن من تهذيبها وتوجيهها، فإن التنافس بين الإخوة يمكن أن يكون عادياً، طالما أنهم قادرون على تبادل مشاعر مشتركة بينهم من الرضا والإحباط، ولم يكونوا مشحونين بنزعات العنف أو الحقد.

• أوضح لأبنائك أنك لست ضد محاولتهم فض الخلاف بأنفسهم، ولكن ضد الضوضاء التي يصلون إليها لفض خلافهم، وإذا كان الخلاف على لعبة فيمكنك أخذ اللعبة منهم جميعاً، وأخبرهم أنه يمكن استرجاعها بعد أن يتوصلوا إلى اتفاق، وقد يحتاج الأمر إلى إرسال كل منهم إلى مكان أو غرفة لفترة قصيرة.

• شكّل مجلساً للأسرة يعبر فيه كل فرد عن الشكاوى بشكل صريح ويعامل فيه الجميع بعدالة.

• ربما تكون المشكلة أعسر عندما يكون فارق السن كبيراً بين الأولاد المتنازعين، ورغم أن الكبير أقوى من الصغير، إلا أن الصغير قادرٌ أيضاً

على إزعاج الكبير، وخاصة أنه قد يحتمي بصغره، وقد يبالغ في ألمه ودموعه.

• حاول ألا تنحاز مع أحد الأولاد ضد الآخر .. أشعرِ الكبير أن عليه أن يعطف على أخيه الصغير، واطلب منه أن يخبرك فوراً إذا كان قد حاول الصبر ولم يتمالك نفسه، ولا تقدم الحماية الزائدة للطفل الأصغر؛ لأن عليه أن يتعلم احترام حقوق وملكية الآخرين.

• لا تجعل من الإخوة الكبار أوصياء على الصغار، أو تجعل من الولد الأكبر أباً بديلاً عنك يجب الاستماع له دائماً، ولكن وضّح للجميع أن تصحيح الأطفال وتربيتهم وتوجيههم هو مهمتك أنت أولاً.

• ساعد الصغير على أن يحترم الكبير، وأن لا يحاول إزعاج أخيه الأكبر فينتقم منه.

• من الأشياء التي تقلل المشاجرة السماح للابن الأكبر وخصوصاً عندما يصبح في سن المراهقة بالانفراد في غرفة حتى تكون له خصوصياته فيهدأ ويقل شجاره مع من هو أصغر منه.

• لا تسمح بالوشاية أن تحدث بين الإخوة وبينك أو بينهم، ووضّح لهم بأننا كلنا نخطئ.

• علّم الطفل أن له الخيار في رفض الشجار عندما يستفزّه الطرف الآخر لذلك بالإغظة وغيرها.

• وضع قوانين واضحة لملكية الأشياء في المنزل، بمعنى إذا كانت اللعبة تخص أحد الأبناء يكون له حق التصرف الأول فيها، ويكون له حق

أخذ القرار بالسماح لغيره من إخوته أو أخواته باستخدامها .. إذا كانت اللعبة مشتركة -بمعنى ملكيتها لا تخص طفلاً واحداً في العائلة- فيجب أن تكون القاعدة هي إعطاء كل طفل وقتاً محدداً مساوياً للطفل آخر لاستخدام اللعبة .. يجدر بالوالدين عدم إجبار طفلهم الذي انفرد باللعبة أن يشارك إخوته الذين يريدون اللعب معه أو بلعبته، لأن إجباره يؤلّد حالة الشجار فيما بينهم أيضاً.

- علّم أبناءك على أن يلتزم كل واحد منهم حدود ما يخصّه، فلا يعتدي على مقتنيات غيره، عادة يتعاطف الآباء مع الصغير حين يعتدي على ممتلكات الكبير . . ويحاولون إقناع الكبير بالرضا!! هذا الأمر وإن كان وجد رضا مؤقت عند الكبير لكنه يؤلّد في النفس أثر الشعور بالانهزامية والعدوانية !!

- شجّع أطفالك على الاستقلالية الفردية، والخصوصية، والحصول على الخبرات المنفصلة، ولا تربط أحدهما بالآخر كأن تلزم الأكبر باصطحاب الأصغر معه للعب، بل شجّعهم على إيجاد اهتمامات مختلفة، لكي يتعلموا مواجهة المواقف دون مساعدة أحد.

- لا تسرع بمعاقبة المذنب، فإن ذلك ينمي بينهم روح الغيظ والانتقام، وقد يقع عقابك على البريء فيشك الطرفان في حكمك في المستقبل.
- لا تدع ابنك يذوق حلاوة الانتصار بتحقيق الرغبة التي انفجر باكياً من أجلها وغضب.

- لا تقارن الواحد منهم بالآخر فتقول لأحدهم: (إن أخاك كان أفضل منك عندما كان في سنك)، أو (إنك على عكس أخيك فهو يطيع من أول مرة أقول له شيئاً)، فإن ذلك يجعل الولد يشعر بالذنب من نفسه والغيب من أخيه، وإن تكرار هذه المقارنة يجعل الولد يكره التشبه والإقتداء بأخيه رغم صفاته الحسنة.
- على الأم خاصة- المحافظة على هدوءها قدر الإمكان أثناء غضب ابنها أو مشاجرتة مع إخوته. وعلى الأبوين أن يكونا قدوة حسنة فيقلعوا عن عصبيتهم وثورتهم لأتفه الأمور أمام الأبناء.
- على الآباء إصلاح أنفسهم أولاً، فكثير من حالات التشاجر عند الأطفال مرجعها الآباء أنفسهم، بسبب سلوكهم المتسم بالحزم المبالغ فيه، والسيطرة الكاملة على الطفل، ورغبتهم في إطاعة أوامرهم طاعة عمياء، وثورتهم وشجارهم بين بعضهم البعض (أي الزوجين) لأتفه الأسباب.
- القدوة في التعامل أمام الأبناء، فلا يرفع الأب صوته أو يده على الأم والعكس، وأن يبتعدا عن السباب والشتام والخصام أمام الأولاد .. فهذا يعود الطفل على أن ينشأ في جو يسوده الاحترام والتقدير.
- علّم أبنائك القيم الإيمانية للترابط الأسري، وأنهم كالجسد الواحد، وعلى كل عضو أن يعمل لصالح الجميع؛ وذلك للحصول على الحياة المريحة من أجل الجميع، وكافئ مشاعر التكافل التي تصدر من أحد الأطفال.

- استخدم أسلوب المكافأة الجماعية بوضوح كأن تقول: (لكما هدية مني إذا لم تتشاجرا خلال ٣ ساعات)، أو استخدام العقوبة الجماعية عند عدم اتضاح سبب المشكلة، كأن تحكم عليهما بالانفصال تمامًا وعدم اللعب معًا حتى يوقفا الشجار بينهما.
- من الطرق المناسبة لامتناس لثورة العراك بين الأطفال تحويل نقتهم إلى نوع من العمل الإيجابي السليم، كمساعدة الغير أو دعوتهم إلى مساعدة أهم أو ما شابه، ومن الخطأ أن يتوقع الآباء أن يتصرف الأبناء بعقلية الآباء.
- أشغل أبناءك بما يفيد، ولا تجمع البيض في سلة واحدة ! .. شارك أحيانًا الأطفال في لعبهم، فانضمامك هذا يقلل من التوتر ويعلمهم اللعب الناجح معًا.
- وزع المسؤوليات بشكل لا يصطدم فيه الأطفال بعضهم ببعض، ودور المهمات بحيث لا تبقى بعض المهمات الصعبة على شخص بعينه دائمًا.
- اعمل على ترتيب رحلات أسرية، وحفلات، وأنشطة رياضية كالمشي وسواه لكل الأسرة، وهو ما ينشر جوًا من المرح، ويكون لدى الأفراد مشاعر إيجابية تخفف المشاعر السلبية تجاه بعضهم البعض.^(١)

(١) من مصادر البحث

- غيرة وشجار الأشقاء / أسماء جبر أبو سيف/معا نربي أبنائنا/ إسلام أون لاين
- أبنائكم يتشاجرون ؟ ... إليكم الحل/ صيد الفوائد
- الغيرة بين الأبناء د. عبد الرحمن النمر - مجلة النور الكويتية عدد ٢٩٢

طفلي يعض !!!

«العض» ظاهرة شائعة جداً بين الأطفال في عمر العام والنصف إلى ثلاثة أعوام. ويعكس أغلب هذا العض مشاعر الطفل الصغير، نتيجة قصور قدراته اللغوية عن التعبير، حيث يستطيع الطفل في عمر الخمس سنوات أن يعبر عن حاجاته ورغباته، ولكن الطفل الأصغر عمراً قد يستخدم أسنانه كوسيلة للتعبير.

تعتبر «ظاهرة العض» لدى الأطفال موضوعاً بالغ الحساسية بالنسبة للوالدين، فهو يبدو سلوكاً همجياً وغير مهذب، ويعتقد العديد من الآباء أنه ينم عن اضطراب في شخصية الطفل. فلا شيء يجعل الطفل مرفوضاً من دار الحضانة ومنبوذاً من قائمة المدعوين للحفلات والمناسبات السعيدة أسرع من أن يُعرف بأنه «عضاض». ولكن المطمئن في الأمر أن العض وحده ليس مؤشراً ينبئ بمشاكل نفسية أو اجتماعية في المستقبل، كما أن أخطاره الجسمانية لا تذكر.

وغالبا ما يعض الطفل للحصول على مراده أو التعبير عن مشاعره المختلفة، ورغم أن العض يبقى تصرفاً غير مقبولا حتى من الطفل رغم توفر سلامه النية، لكن لا داعي للقلق لأن هذه الحالة ليست فريدة بل نصادفها لدى معظم الصغار، إلا أن هذا لا يعني أن نغض الطرف عن هذه العادة ونمنح الحرية الكاملة للولد، بل لابد من مساعدة الطفل ووالديه للتغلب على هذه المشكلة.

لماذا يحب الطفل العض أحياناً ؟

مسألة العض تختلف من طفل إلى آخر، فمنهم من يتخذها وسيلة للفت الانتباه، أو تعبيراً عن الانزعاج أو الغضب، أي للتفريغ عن مشاعر داخلية، ومنهم من يتخذها وسيلة لطلب شيء يريده، وقد تكون أحياناً وسيلة للتعبير عن الحب، وذلك بتقليد شخص قام بعضه وهو يلاعبه، أو للتعبير عن الشعور بالغيرة، أو للدفاع عما يملكه الطفل خصوصاً إذا قام أحد أترابه بمحاولة انتزاع غرض ما منه.

ويمكن اختصار أهم أسباب العض عند الطفل في أربعة فئات:

- **العض الاستكشافي:** أي أن الطفل يستخدم العض كوسيلة من وسائل استكشاف ما حوله وكل ما قد يصل فمه، وهذا يلاحظ عند الأطفال في بدء المشي، فيميل لعض كل ما يصل إلى يديه .. فالطفل في هذه الفترة لا يزال في المرحلة الفمية (مرحلة التحسس عبر الفم) حيث يسمح له الفم بتحقيق رغباته خصوصاً تلك التي تتعلق بسد جوعه والإحساس بالراحة والطمأنينة التي تؤمنها له الرضاعة .. من هناك كان طبيعياً أن تكون ردة فعله الأولى اكتشاف كل ما يحيط به بواسطة هذا الجزء من جسمه «الفم».

- **العض الانفعالي:** فالطفل قد يلجأ للعض أو الضرب لمن حوله عندما يجد نفسه في ورطة، وغير قادر على حل المشكلة التي هو فيها! وتكون هذه الظاهرة عندما يتعلم الطفل كيف يلعب مع الآخرين ممن حوله، ويمكن التخفيف من ظاهرة العض الانفعالي كما يلي: اجعل وقت اللعب قصيراً، وضمن مجموعات قليلة العدد، وراقب الطفل عن قرب عندما يلعب،

وعندما يقوم الطفل بالعض خلال اللعب، قل له: (لا! لا تعض، فالعض يؤلم)، وقم بسحب الطفل من الحالة والوضع الذي هو فيه، وابق معه حتى يهدأ، واطرح له كيفية حل الورطة التي كان فيها بطرق هادئة وسلمية.

• **العض بسبب حاجة الطفل للشعور بالقوة:** وهذا يحدث في الحالات التي يجد فيها الطفل نفسه بحاجة للشعور بأنه قوي، وهذه الظاهرة تشاهد عند الأطفال الأصغر سناً من بين الأخوة، ويمكن التخفيف من هذا النوع من العض بتعزيز شعور الطفل بأنه محمي وليس في خطر، وأنه لا يمكن لأحد أن يأخذه بعيداً أو يعتدي عليه، واطرح سبب العض لمن هو أكبر من الطفل وكيف يلعب بهدوء مع الصغير، وعند تكرار الحالة أخبر الطفل ألا يعض، وأبعده عن الموقف الحاصل، وأبق معه حتى يهدأ، واطرح له أن هناك طرق أخرى لحل هذه المواقف غير العض.

• **عض الطفل بسبب التوتر:** وهذا يحدث عندما يكون الطفل تحت ضغوط عاطفية كثيرة، كالفرح الزائد أو الانفعال الزائد أو الغضب أو بسبب شعوره بالألم، وهنا لابد من معرفة السبب ومراقبة الحالات التي يعض فيها، وما هي محرضات العض عنده لتجنبها مستقبلاً.

منارات عملية

على الأرجح يندهش الطفل ويفاجأ عندما تقابل أحاسيسه المبالغية التي يعبر عنها بالعض- تقابل ببكاء رفيقه أو التوبيخات المختلفة التي يوجهها له الكبار.. لكن الأهم هو ألا نعاقبه أو نوبخه بقسوة أو حتى نعضه:

- على الوالدين تشجيع طفلهما الذي يعض على النطق، واستخدام الكلمات للتعبير عن مشاعره.
- لا تنتظر ولو لبضعة دقائق بعد أن يعض طفلك آخر حتى تتكلم معه، ففكرة الصغار على التركيز ضعيفة، ولذا يحتاجون إلى رد فعل واضح وفوري .. كن هادئاً وحازماً في تعاملك مع الطفل، اركع بجانبه كي تصبح على مستواه وتستحوذ على انتباهه، ثم تكلم إليه ببطء وبطريقة جازمة وأعلمه أنك غير موافق على تصرفه هذا، وبأن العض يؤدي الآخرين، وأظهر له الآثار التي خلفتها أسنانه الصغيرة على بشرة غيره.
- تجنب العبارات المبهمة مثل: «الآن يجب أن تكون لطيفاً مع أخيك»، وذلك لأن الطفل الصغير لا يرى الصلة بين ذلك والعض.. جرب أن تقول: «لا! يمكننا أن نعض التفاح أو الساندويتشات، لكننا أبداً لا نعض الناس!».
- لا يجدر بك أن تلومه أو تشعره بالذنب، بل يجب أن يعي تماماً أنه لا يجوز أن يعض مجدداً. ولكي يقتنع بوجه نظرك قدم له تصرفاً بديلاً يمكنه اللجوء إليه عوضاً عن العض، فإن شعر بالغضب -مثلاً- لأن صديقه أخذ منه لعبته، فبإمكانه أن يأتي ويخبرك بغضبه، ويطلب منك المساعدة في استعادة أغراضه بدلاً من أن يعض من حوله.
- إذا كان عمر الطفل أقل من سنة ونصف، فيفضل وجود لعبة نظيفة مخصصة للعض ليعضاها. ومن المهم أيضاً تزويده بلعب تساعد في التعبير عما يعاني منه.

- إذا أصر الطفل على عض من حوله رغم ما سبق، ألزمه بالبقاء وحيداً في الغرفة لخمس دقائق في كل مرة يعض فيها، أو اسحب منه لعبته المفضلة لدقائق.
- لا تقم بعض طفلك إذا قام بعضك، فالمرء من فرط غيظه يميل لمقابلة العض بالعض! وهذا خطأ فاحش، لأن من شأنه أن يعزز فائدة فعل العض عند الطفل.
- لا تعض -أيضاً- طفلك على سبيل المزاح، فهذا يجعله يعتقد أن العض يمكن أن يكون جزءاً من اللعب والدعابة.
- في حال قام الطفل بعض طفل آخر فلا تركز على طفلك، ولكن ركز على مدى الأذى الذي لحق بالطفل الآخر وحاجته للعلاج، وتجاهل من قام بالعض لفترة من الوقت.
- يمكنك أيضاً أن تعتذر من أهل صديقه الذي عضه في وجوده، فهذا من شأنه أن يجعله يتخلى سريعاً عن هذه العادة، وتصبح تصرفاته مع الآخرين أكثر سلمية.
- امنح الطفل المكافآت عند تخليه عن عادة العض، أو على الأقل أطبع قبلة حارة كلما استغنى عن العض كوسيلة للتعبير.^(١)

(١) من مصادر البحث

- عض الطفل للأشخاص والأشياء د.رضوان غزال
- طفلك يعض ما العمل؟ مجلة الغذاء الصحي اللبنانية - عدد ١٠٥-١٠٦ مايو ٢٠٠٩
-الأطفال الصغار في مرحلة ما قبل المدرسة /البروفيسور لورانس كوتنر (أفون ١٩٩٤)

الطفل العدواني .. سلوك نشاز في عالم الطفولة البريء

يعتبر السلوك العدواني من أحد أهم السلوكيات التي يتصف بها كثير من الأطفال بدرجات متفاوتة، ويقصد بالعدوانية: أي سلوك من شأنه إيقاع الأذى الجسدي أو النفسي أو الألم بالذات أو بالآخرين، حيث يظهر بين الأخوة داخل الأسرة وبين الطلاب في المدرسة وفي الشوارع والأماكن العامة بأشكال مختلفة لفظية وبدنية.

والسلوك العدواني أحد المشاكل السلوكية المنتشرة لدى الذكور والإناث على حد سواء، ولكن لدى الإناث غالباً ما يكون العنف لفظياً بخلاف الذكور الذين يظهر لديهم العنف على شكل إيذاء بدني وتخريب وعدم احترام للقوانين الاجتماعية.

بعض علماء النفس ينظر إلى العدوانية كضرورة نفسية لا بد منها حتى للطفل السوي، فهو في حاجة إلى أن يظهر بعض مظاهر العدوان تجاه الكبار والصغار، والطفل الذي لم يتشاجر بحياته مع أحد لا بد أنه عاجز عن إقامة علاقات واتصالات مع غيره.

وبعض ما نفسره بالعدوانية في سلوك الطفل قد لا يكون كذلك. فما نطلق عليه عملية التخريب المتمثلة بتحطيم الطفل للعبته ليس تخريباً، فهو يحطمها ليعرف ما بداخلها أو ماذا يحركها، أو مما صنعت؟ ودافعه في هذا هو حبه للاكتشاف وإشباع الفضول.

أهم الدوافع

تختلف النظريات في تفسير العدوانية .. البعض يؤكد على العامل البيولوجي، والبعض الآخر يؤكد على التعلم والاكتساب كمصدر أساسي له. والواقع أننا لا نستطيع إنكار تأثير أي من المصدرين، فالغضب يبدو شيئاً مشتركاً بين جميع البشر، ويمكن ملاحظته حتى عند صغار المواليد، حيث يتم التعبير عنه من خلال الرفس والضرب باليدين والرجلين. ومعنى ذلك أن هناك أساساً بيولوجياً للسلوك العدواني، أما متى وكيف يظهر ذلك السلوك كرد فعل لحالات الغضب أو تعبير عنها؟ فذلك يرجع إلى التعلم من خلال التنشئة الاجتماعية. فالطفل الذي يشاهد أباه يحطم كل شيء عندما ينتابه الغضب، يقوم بتقليد هذا السلوك العدواني بلا شك ويتأثر به في سلوكياته عامة، وبالتالي يمكن أن نجمل الدوافع للعدوانية في النقاط التالية:

١- **التعرض لخبرات سيئة سابقة:** كأن يكون قد تعرض الطفل لكرهية شديدة من قبل معلمه، أو كراهية من والديه، أو رفض اجتماعي من قبل زملائه الطلاب، أو رفض اجتماعي عام وغيرها .. مما يدفعه للعدوانية في السلوك.

٢- **الكبت المستمر:** فقد يعاني الطفل ذو السلوك العدواني من كبت شديد ومستمر في البيت من قبل والديه أو أخوته الكبار، أو في المدرسة من قبل المعلمين والإدارة، فيؤدي هذا الكبت إلى دفع الطفل للتخفيف والترويح عن نفسه وإفراغ الطاقة الكامنة بداخله، والتي تظهر على شكل عدوانية انتقاماً من مواقف الكبت المفروضة عليه.

٣- **التقليد والمحاكاة:** حسب النظرية «النفسية- الاجتماعية» فإن الإنسان يكون عنيفا عندما يوجد في مجتمع يعتبر العنف سلوكا ممكنا، مسموحا به ومتفقا عليه. وهذا سبب مهم، ففي كثير من الأحيان يظهر السلوك العدواني بدافع التقليد لما يقدم في الأفلام والمسلسلات حتى الكرتونية منها، ونجد في بعض الأحيان أن التقليد يكون للأب أو أحد الأخوة أو أحد أفراد المجتمع الذين يتسمون بالعنف والعدوانية، وفي النهاية نجد أن الطفل يقلد هذه النماذج، ولا يوجد مكان أحب إليه من إظهار قدراته ومهاراته القتالية من المدرسة، حيث يبدأ في أذية زملائه ومعلميه وقد يؤذي نفسه.

لقد كان شائعا في الثلاثينيات والأربعينيات من القرن الماضي أن الإحباط يقف وراء جميع الأشكال العدوانية، إلا أنه تم التشكيك في هذا الرأي عندما أجريت الدراسات الحديثة في مجال التحليل النفسي التي أظهرت أن العدوانية ناتجة عن دوافع داخلية لا شعورية، كما أظهرت الدراسات التي أجراها باندورا (١٩٧٣م) وباترسون وآخرون (١٩٧٥م) أن العدوانية تعتبر سلوكا متعلما .. فالأفراد يتعلمون الكثير من السلوكيات العدوانية عن طريق ملاحظتهم لآبائهم وإخوانهم ورفاقهم في اللعب، والممثلين في التلفزيون والسينما، فهم يقلدون الأفراد الذين يسلكون سلوكا عدوانيا خاصة إذا كان هؤلاء ذوي مركز اجتماعي مرموق، أو إذا كان هذا السلوك العدواني يظهرهم بمظهر الأبطال، ومن المرجح أن يتحول الأطفال

إلى ممارسة السلوك العدواني بقوة إذا أُتيحت لهم الفرصة لذلك دون أن يتعرضوا لنتائج غير سارة، أو إذا حصلوا على مكافأة أو نتائج سارة.

٤- **الشعور بالنقص:** قد يكون العدوان بدافع شعور الطفل بنقصه من الناحية الجسمية أو العقلية أو النفسية، كأن يفقد أحد أعضائه، أو يسمع من يصفه بالحمق والغباء والألفاظ الجارحة، مما ينعكس على سلوكه تجاه الآخرين.

٥- **الفشل والإحباط المستمر:** قد يكون عامل الفشل كالرسوب المتكرر، أو الفشل في شؤون الحياة الأخرى كالهزيمة في المسابقات، يؤدي إلى التصرف بعدوانية كرد فعل تجاه هذا الفشل والإحباط .. فالسلوك العدواني هو سلوك تعويضي عن الإحباط المستمر، وكلما زاد إحباط الطفل كلما زاد عدوانه.

وفي الغالب يشعر الطفل بلذة إذا ما قام بعمل عدواني، وهذه اللذة هي شعور طبيعي لتحقيق الانتصار على الآخرين كأخيه الصغير -مثلاً-، وبعد ذلك قد ينال قصاصاً من الأب فيشعر بالإحباط، وفي أعقاب هذا الإحباط تستثار العدوانية لديه من جديد، فيعبّر عنها بعض الأطفال مباشرة بمعاودة الكرة وبطريقة انتقامية، وعلى طريقة العدوان المزاحي أو المستبدل، أي الموجه إلى غير الشخص الذي سبّب الأذى أو الفشل للطفل، فينهال بالضرب على أخيه بشكل أقسى مما كان في المرة الأولى، فالنقمة على مسبب الإحباط وهو الأب تتمثل عدواناً مازحاً على الأخ المعتدى عليه.

٦- تشجيع الأسرة على العدوان: فالتسامح المفرط من قبل الوالدين إزاء الاتجاهات العدوانية للطفل من شأنه أن يزيدها وينمّيها، حيث ثبت أن التسامح يغذي العدوان ولا يزيله، حتى إن الطفل العدواني يعتبر أن التسامح معه هو نوع من الموافقة الضمنية على العدوان .. وهناك بعض الأسر تشجع على العنف والقسوة والعدوانية في التعامل مع الحياة ومع الناس، ويظهر ذلك جلياً في أبنائها حيث تظهر عندهم آثار العدوانية في ألعابهم وتعاملهم مع أقرانهم .. ففي الأنماط الأسرية التي يمثلها آباء محتقنون يتم توجيه لوم قاس للطفل الشاكي؛ لكونه عجز عن رد الصاع صاعين وتلقين زميله المعتدي درساً في الانتقام لن ينساه مدى الحياة!!.. ومع مرور الوقت يفقد هذا الناشئ الصغير القدرة على اتخاذ القرار السليم، طالما ظل أسير انفعالاته وتصوراته المحدودة للكيفية التي يدير بها المواقف الصعبة، إضافة إلى أن مثل هذا النوع من الأبناء يواجهون صعوبة في تكوين علاقات عميقة وثرية نظراً لمحدودية أدوات التأثير لديهم، وطرق الاتصال الضيقة التي يتعاطونها مع دائرة الزملاء والأقران.

منارات عملية

لقد كان الاعتقاد السائد قديماً أنه على الرغم من أن الأفراد العدوانيين يسببون الكثير من المشاكل إلا أنهم أفضل حالا من الأفراد الذي يتصفون بالانطواء أو بالأنماط العصائية، وذلك من حيث التفاعل الاجتماعي والعمل المدرسي، إلا أن الدراسات التي أجراها روبنز (١٩٧٩م) جاءت لتدحض هذا الاعتقاد وتؤكد على أن العدوان يصاحبه فشل اجتماعي، أما بالنسبة

للأفراد الانطوائيين أو العصائيين فبإمكان نسبة كبيرة منهم أن تحصل على عمل في المجتمع، وأن تتغلب على مشاكلها السلوكية، وأن يصبحوا بمنأى عن السجون والمصحات النفسية بدرجة أكبر من الأفراد العدوانيين.

• **تجنب الممارسات والاتجاهات الخاطئة في تنشئة الأطفال: التسبب**

في النظام الأسري أو الاتجاهات العدوانية لدى الآباء تجاه الأبناء تعمل – بلا شك- على توليد سلوك عدواني لدى الأبناء، وبالتالي يولد هذا العدوان ضعفاً وخللاً في الانضباط .. وتفيد بعض الدراسات أن الأب المتسبب أو المتسامح أكثر من اللازم: هو ذلك الأب الذي يستسلم للطفل ويستجيب لمتطلباته ويدلله ويعطيه قدراً كبيراً من الحرية .. أما الأب ذو الاتجاهات العدوانية: فهو غالباً لا يتقبل ابنه ولا يستحسنه وبالتالي لا يعطيه العطف ومشاعر الأبوة أو الفهم والتوضيح، فهؤلاء الآباء غالباً ما يميلون لاستخدام العقاب البدني الشديد لأنهم تسلطيين، ويسئون استخدام السلطة الأبوية .. ومع مرور الوقت يترسخ هذا المزيج السيئ من السلوكيات الوالدية السلبية مما يولد الإحباط والعدوان لدى الأطفال، بسبب مشاعر السخط عنده على أسرته ومجتمعه، وبالتالي التعبير عن هذا السخط بالعدوانية .. لذلك لا بد للآباء أن يكونوا قدوة حسنة للأبناء في تجسيد الوسائل الجيدة لحل المشكلات، وإرشاد الأطفال للتعامل مع المواقف بطرق حكيمة متعقلة.

• **العمل على خفض مستوى النزاعات الأسرية: لا تخلو الأسر غالباً**

من وجود نزاعات زوجية بغض النظر عن حدوثها وأسبابها وطريقة هذه النزاعات، ومن المعروف أن الأطفال يتعلمون الكثير من السلوك

الاجتماعي من خلال الملاحظة والتقليد، وعلى ضوء ذلك يتوجب على الوالدين أو الإخوة الكبار أن لا يعرضوا الأطفال إلى مشاهدة نماذج من النزاعات التي تدور داخل الأسرة، لما له من أثر سلبي على الأبناء يتمثل في تعليم الأطفال طرقاً شاذة لحل النزاعات ومنها السلوك العدواني .. فالبيئة الأسرية المستقرة وذات الطابع الاجتماعي تنمي لدى الطفل الشعور بالأمن وبالتالي استقرار الذات.

إن الطفل مخلوق حسّاس جدّاً، وهو لذلك يستشعر المحبة بين جناحي الوالدين أحدهما للآخر، كما يستشعر الكراهية، وشتان بين نبات يُسقى بماء عذب فرات، ونبات آخر يسقى بماء أسنٍ كدر.

• **تنمية الشعور بالسعادة عند الطفل:** الأبناء الذين يعيشون الخبرات العاطفية الإيجابية كالسعادة ودفء المشاعر وعطف الوالدين وحنانهم عليهم، يميلون لأن يكون تعاملهم مع أنفسهم ومع غيرهم بشكل لطيف وخال من أي عدوانية أو سلوك سلبي آخر .. أما الذين تعرضوا لإساءة المعاملة من قبل الوالدين وإهمال عاطفي واجتماعي، فقد يسعون لاستخدام العدوان بأشكاله المختلفة، من أجل جلب انتباه الأسرة وإشعارها بوجوده وضرورة الاهتمام به.

إن إساءة المعاملة الجسمية والنفسية الموجهة نحو الأطفال كلها تؤدي إلى مشاكل وضعف في الجهاز العصبي المركزي، وتقود إلى توليد اضطرابات سلوكية وانفعالية: فالعدوانية، والتخريب، والعند، والتمرد ... كلها سلوكيات تظهر عندما يفقد الصغير ثقته بأن من حوله يراعونه،

ويحترمونه، ويحسون بحقه في اللعب والانطلاق، وأن من حقه أن يلعب وينطلق .. اشرح لطفلك بودّ وحب أن له الحق في اللعب، وأنت ستساعده للاستمتاع بحقه هذا. بل شاركه في لعبه وانطلاقه؛ لأنك من خلال مشاركتك له سوف تتاح لك فرصة التوجيه والإرشاد الغير مباشر.

• **تصويب المفاهيم الخاطئة في ذهن الطفل:** كفي العلاقة المزعومة بين قوة الشخصية واستخدام العنف .. ينبغي الحرص على إقناع الطفل بأن المسلم القوي لا يغضب لأتفه الأسباب، ولا يستخدم العنف في تعامله مع الآخرين، فالمسلم هو الذي يسلم الناس من أذاه (لسانه ويده).

• **الإقلال من التعرض لنماذج العنف المتلفزة:** أظهرت نتائج كثيرة من الدراسات أن النماذج العدوانية التي يتعرض لها الأطفال في التلفاز تؤثر بشكل قوي في ظهور السلوك العدواني لدى الأطفال. وذلك لأن وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة تلعب دوراً كبيراً في تعلم النماذج السلوكية الإيجابية والسلبية، فعلى ضوء ذلك يجب أن توفر البرامج الفعالة ذات الأهداف الإيجابية للأطفال حتى يتم تعلم نماذج جيدة وبناءة في سلوك الأطفال، فلو نظرنا إلى واقع الأفلام الكرتونية والقصص وغير ذلك فإننا نلاحظ أنها تعمل على تعليم الأطفال العدوان والأنانية لتحقيق الأهداف، وتبعث في نفوسهم الخوف والقلق وغيرها من المشكلات التي لا يحبذ الأهل وجودها لدى أطفالهم لما لها من تأثير سلبي لاحقاً على حياتهم. وإن لم يكن بمقدورنا التحكم في البرامج التلفزيونية وأفلام العنف، فعلى الأقل يمكننا متابعة أطفالنا وخلق اتجاه نقدي بداخلهم تجاه هذه الأفلام،

وتوضيح الواقعي والخيالي فيها، وتحليلها بشكل يَكُون لهم اتجاهًا سلبيًا نحوها.

• **توجيه النقد للفعل وليس للشخصية:** كأن نقول إذا ضرب أخته: «هذا خطأ»، ولا نقول له: «أنت ولد شرير»؛ لأنه سيأخذ هذه الصفات كأنها منه، وبذلك يكون انطباعات خاطئة عن نفسه قد تؤدي به إلى كره نفسه، وبالتالي إلى عدم قدرته على حب الآخرين.

• **إشعاره بقيمته وذاته ودعمه بالمكافآت:** سواء كانت مادية بسيطة أو معنوية كالتصفيق له وتقبيله عندما يأتي بشيء جيد أو يبتعد عن فعل سيئ.

• **توفير الأنشطة البدنية الإيجابية:** من المعروف أن الأنشطة البدنية الإيجابية -كالرياضة بكافة أشكالها- تعمل على استثمار الطاقة الموجودة لدى الأطفال وتنمي كثيرا من الجوانب لديهم .. فتوفر مثل هذه الأنشطة خصوصاً لدى الأطفال في المراحل العمرية المبكرة يعمل على تصريف أشكال القلق والتوتر والضغط والطاقة بشكل سليم، حتى لا يكون تصريف هذه الأشياء عن طريق السلوكيات العدوانية، وهذا ما ثبت من خلال العديد من الدراسات عن مدى أهمية وفاعلية الرياضة في خفض السلوك العدواني لدى الأطفال.

كما يمكن أن نجذب نظره إلى ممارسة الفن بدلاً من ضرب الآخرين؛ فيفرغ طاقته في عمل أشكال مختلفة بالصلصال أو الرسم فينمي ذكائه في

نفس الوقت، وبالتالي تكون الفرص سانحة لأن يمدحه الآخرون ويكتسب ثقته بنفسه.

• **تنظيم وترتيب بيئة الطفل:** إن إعادة ترتيب البيئة المنزلية والمدرسية للأطفال بالشكل الذي يجعلها تتضمن مساحات واسعة في غرف النوم والمعيشة وأماكن اللعب وغرف الفصول، تعمل على التقليل من التوترات والانفعالات لديهم، وبالتالي تقطع الأمل في حدوث سلوك عدواني، لأن ذلك الترتيب يعطي فرصاً أكبر للأطفال للعب والحركة، كما ينصح بوجود أشخاص راشدين كمراقبين لسلوك الأطفال لمنع حدوث المشاجرات بينهم.

• **علم طفلك الطيبة عملياً لا بكثرة الكلام:** إن طفلك يكتسب جل خبرته وسلوكياته من مراقبة سلوكك أنت، كيف كنت في الآونة الأخيرة؟ ما هي القدوة التي جسدتها له؟ .. إن كنت تريد أن يكون ابنك سوياً في كل مرة تكونان فيها معاً، فيجب أن تبدي سلوكاً طيباً، وهناك العديد من الفرص اليومية مثل العناية بابن صديق لك، أو الاتصال بصديق يمر بضائقة، أو السؤال عن أحوال الآخرين، أو التحدث بحساسية وحب عن الآخرين بشكل دائم.

بعدما تمارس هذا السلوك الطيب يجب أن تحرص على إخبار ابنك بمدى ما يشعر بك به ذلك التصرف من سعادة .. إن رؤيتك للممارسات الطيبة الدمثة من خلال الأعمال والأفعال اليومية، وتركيزك على مدى كيفية تأثير هذه السلوكيات الطيبة على نفسك وإشعارك بالسعادة، سوف

يجعل ابنك أكثر ميلاً إلى الاقتداء بك، وكما يقول المثل القديم: «إن الطفل يتعلم مما يعايشه»، فإنها بالفعل مقولة صادقة إلى حد كبير.

إن الطفل يرى في كل مكان نماذج العدوانية، ويشاهد أقرانه في المدرسة وفي الشارع وفي الأسرة الذين يمارسون السلوكيات العدوانية، وإذا لم تقم أنت بتوجيهه نحو السلوك القويم وتقبيح السلوك السيئ له؛ فسيسير بالطبع وراء أقرانه، يقلدهم في كل أفعالهم.

• **الحزم:** الحزم لابد أن تكون صفة لازمة للمربي لا يمكن الاستغناء عنها، بها يستطيع المربي أن يقول «لا» لأطفاله في الوقت المناسب وهو يعينها، وبالحزم يكون جاداً عند الخطأ المتعمد والمتكرر من الطفل كي يعلمه أن المزاح أو الاستهتار ينبغي ألا يصحبنا في كل الأمور.

وبالحزم يضع القواعد التربوية اللازمة داخل البيت لجميع أفراد العائلة، وبالحزم يدرك الطفل الفرق بين الحرية التي لا حدود لها وبين الحرية القانونية والتي معيارها احترام القواعد والمبادئ والقيم.

إننا نتحدث عن الحزم الإيجابي الهادف ولا نقصد التجهم والغضب والإيذاء .. هناك آباء لا يستطيعون أن يقولوا كلمة «لا»، هم يشعرون بأنهم سيفقدون محبة أطفالهم لهم، أو ببساطة يستسلمون من أجل ضمان حياة سلسة هادئة.

ولكن الأطفال يحترمون الآباء الذين يضعون لهم قواعد وحدوداً، ويشعرون بالأمن والاطمئنان في ظلها .. جميع الأطفال في حاجة إلى أن يعملوا في إطار نظام صحي للتربية والتأديب، يشعرون في ظله بالأمن،

ويعرفون ما لهم وما عليهم .. والبديل أمر مخيف ومرعب، فالفشل في قول كلمة «لا» في الوقت المناسب الملائم يعني آباء متهاونون أو مهملون، وبالطبع لا أحد يقبل أن يتصف بهذه الصفة.

• **تجنب الإفراط في القصص أو التسامح:** وهذا ممكن أن يندرج تحت عنصر الحزم أيضا .. من الضروري تأديب الطفل وتوجيهه للقضاء على السلوك العدواني، وجعله اجتماعيًا يتعلم الأخذ والعطاء، ويتعلق بالقيم وإن كان ذلك مجردًا في أول الأمر؛ لأن الطفل بطبيعته يميل إلى المحسوس؛ ذلك لأن التجريد مرحلة راقية لاحقة في التفكير الإنساني، لا يمكن للطفل استيعابها بالشكل الصحيح في وقت مبكر من الطفولة، لكن يمكن لهذه المفاهيم أن تنمو مع نمو الطفل ليدرك معناها فيما بعد.

والعقاب ضروري أيضا للتأكيد على ثبات القيم المعينة على ألا يكون قاسيًا، فتكون النتائج سلبية تمامًا، والأفضل اعتماد القصص المتوسط، والابتعاد عن أسلوب التذبذب بين اللين والقسوة؛ لأن التأديب الصارم يجعل الطفل يختزن المشاعر العدوانية ليووجهها ضد الغير، وكذلك فاللين الزائد والتساهل يشجع المكبوتات العدوانية على الظهور بأشكال وأنماط سلوكية مختلفة؛ لذلك يفضل الأسلوب الثابت المتوسط في القصص.

يذكر أن الطفل الذي يواجه العدوان والقسوة من الآباء، ويجدهم أقوى لا يستطيع أن يرد، يلجأ إلى البحث عن ضحية خارج المنزل أو داخله ويمارس عليها عدوانه.

- استخدام العقاب من خلال تصويب الخطأ: فإذا تلفظ الطفل بعبارات غير مهذبة في تعامله مع الآخرين وهو غاضب فيُطلب منه أن يعتذر بعبارات مؤدبة، وإذا قام الطفل بضرب آخر فعليه -مثلاً- أن يقدم إليه هدية أو أن يعتذر إليه أمام زملائه إذا وقعت المشاجرة أمامهم.
 - استخدام أسلوب التربية بالقصة: عن طريق سرد بعض من القصص الرمزية والتي تحتوي على فضل الرفق والتحلي بالأخلاق الحميدة، وعاقبة الظلم والتعدي على حقوق الآخرين.
- وأخيراً ينبغي أن ننوه إلى أن أساليب العلاج ليست جرعة دواء تعطى للطفل وبعدها يهدأ، وإنما تحتاج إلى طول صبر ومتابعة حتى تؤدي مفعولها على أكمل وجه، فعلى المربي أن لا ينسى أن عملية العلاج السلوكي تحتاج إلى وقت طويل حتى تؤتي أكلها، ولا بد من عدم استعجال النتائج والتحلي بالصبر.^(١)

(١) من مصادر البحث
- السلوك العدواني عند الأطفال - روجي عبدات (اختصاصي نفسي تربوي)
- السلوك العدواني لدى الأطفال وكيفية تعديله - د. لطيفة حسين علي الكندري
- أحسن مربي في العالم، محمد سعيد مرسي، ص (٢٩٥).
- لا تعاملني بهذا الأسلوب، د. ميشيلي بوربا، ص (١٤٢-١٤٣)
- مجلة الأم والطفل العدد ١٦ ديسمبر ٢٠٠٢

صغارنا وخلق التسامح

هناك قيم أساسية لا يستطيع الإنسان أو المجتمع المسلم أن يعيش من دونها، ومن ثمَّ يجب عليه أن يصر على توريثها لأبنائه وأهمها «التسامح» الذي يقع على قمة الترتيب في سلم القيم النبيلة التي يجب أن يحرص على التحلي بها كل مسلم.

والتسامح يحقق السعادة، وهو يعتبر قوة حينما يكون نابعاً من موقف قوة وحق .. حينئذ يكون تسامحاً وعفواً عند المقدرة، فيجب أن نوضح لأبنائنا المواقف التي يكون فيها التسامح من قوة، وبالتالي يصبح سلوكاً محموداً.

وقد عدَّ القرآن الكريم هذه الصفة وغيرها طريق الفلاح التي تسرع بصاحبها إلى الجنات العلا، فقال الله تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَعْفَرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَبِيرِ وَالْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران ١٣٣ - ١٣٤]

وعن علي بن أبي طالب عليه السلام قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «اعف عمن ظلمك، وصل من قطعك، وأحسن إلى من أساء إليك، وقل الحق ولو على نفسك»^(١)

(١) صحيح الترغيب والترهيب- المنذري/الألباني ٢٤٦٧

ومن قصص العفو التي لا مثيل لها بين الناس، عفو رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عن زعيم المنافقين عبد الله بن أبي بن سلول، وقد كان عدواً لدوداً للمسلمين، يتربص بهم الدوائر، ويحالف عليهم الشيطان، ولا يجد فرصة للطعن عليهم والنيل من نبيهم إلا انتهزها، وهو الذي أشاع مقالة السوء عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وجعل المرجفين يتهايمسون بالإفك حولها، ويحاولون أن يهزوا أركان المجتمع الإسلامي هزاً بهذا الاتهام الدنيء، وتقاليد الشرق من قديم تجعل عرض المرأة في الذروة من القداسة، وتربط به كرامتها وكرامة أهلها، لذلك كان حزن الألم قاسياً في نفس الرسول وأصحابه، وكانت الغضاضة من هذا التلفيق الجريء تملأ نفوسهم كآبة وغماً، حتى نزلت الآيات آخر الأمر تكشف مكر المنافقين وتفضح ما اجترحوا، وتنوّه بطهر أم المؤمنين ونقاء صفحتها، حيث يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ مَا أَكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١١].

ولقد أقيم الحد على من كانوا مخالب القط في هذه المأساة، أما جرثومة الشر فقد نجا ليستأنف كيده للمسلمين، ثم كتب الله تعالى الفوز لرسوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وجنده رضي الله عنهم وانكمش ابن سلول ثم مرض ومات، بعدما ملأت رائحة نفاقه كل فج، وجاء ولده إلى رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يطلب منه الصفح عن أبيه فصفح عنه، ثم طلب منه أن يكفن في قميصه فمنحه إياه، ثم طلب منه أن يصلي عليه ويستغفر له، فلم يرد له الرسول الكريم المتسامح هذا السؤال أيضاً، بل وقف أمام جثمان

الطاعن في عرضه بالأمس يستدر له المغفرة، لكن العدالة العليا حسمت الأمر كله، فنزل قوله تعالى: ﴿أَسْتَغْفِرُ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرُ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: ٨٠]

والحق أنه كلما ازداد الإيمان في القلب ازدادت معه السماحة وازداد الحلم، ونفر المسلم من طلب الهلاك للهاضمين حقه، حتى إنه قيل لرسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: ادع الله على المشركين والعنهم. فقال -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «إني لم أبعث لعانا، وإنما بعثت رحمة»^(١) وعلى قدر ما يضبط المسلم نفسه، ويكظم غيظه، ويملك قوله، ويتجاوز عن الهفوات تكون منزلته عند الله تعالى.

كما أنه من الأمور الواجب الاهتمام بها في هذا المجال الإشارة إلى أن الإنسان في كل نزاع ينشب، أحد رجلين: إما أن يكون ظالماً، وإما أن يكون مظلوماً، فإن كان عادياً على غيره، ناقصاً لحقه، فينبغي أن يقلع عن غيه، وأن يصلح سيرته .. ذلك نُصح الإسلام لمن عليه الحق.

أما من له الحق فقد رغب إليه أن يلين أو يسمح، وأن يمسخ أخطاء الأمس بقبول المعذرة عندما يجيء له أخوه معتذراً ومستغفراً، ورفض الاعتذار خطأ كبير.

وبهذا الإرشاد المبين للطرفين جميعاً يحارب الإسلام الأحقاد، ويقتل جرثومتها في المهد، حيث اعتبر الإسلام من دلائل الصغار وخسة الطبيعة

(١) رواه مسلم ٢٥٩٩

أن يرسب الغل في أعماق النفس فلا يخرج منها، بل يظل يموج في جوانبها
كما يموج البركان المكتوم.

وبعد.. كيف يمكن غرس صفة التسامح في نفوس أبنائنا؟

■ من البديهي أن تكون هذه الصفة في طباعنا أولاً حتى يمكن نقلها
إلى أبنائنا، حتى لا ينطبق علينا قول القائل: «هل يستقيم الظل والعود
أعوج؟!»

■ الاهتمام بلغة الحوار على اعتبار أن لغة الحوار هي حجر الزاوية
في تعليم الطفل التسامح؛ لأنها بداية المعرفة واستخدام الألفاظ وتوظيف
المعاني حتى تتكون لدى المستمع إليه علاقة حميمة.

■ على الوالدين -وخصوصاً الأم- الاستعانة بما تعرف وتقرأ وتحفظ
من تراث لتشكل وجدان طفلها إزاء هذه الصفات .. إن البيت هو المزرعة
الأولى التي تنبت فيها بذور الشخصية، وعليه فيجب تعويد الطفل على أن
يكون متسامحاً، لأن هناك بعض الأسر يطبعون أبناءهم على لين الجانب،
ويتصف الراشدون فيهم بالحنان والعطف، بينما يدرّب بعض الآباء أطفالهم
على الخشونة، فينشئون على الصلابة وقوة المراس، والمنافسة والميول
العدوانية، وحتى المجتمعات الحديثة، يوجد تباين بين شعوبها يعود إلى
ثقافتهم، فيقال أن الإنجليز يتميزون بالبرود، في حين يتميز الاسكتلنديون
بالبخل، والعرب بالكرم.

■ وسائل الإعلام وعلى رأسها التلفاز تؤثر على الطفل في تشغيل
فكره، وفي أعمال عقله، وفي بث الضوء على التكوين النفسي والوجداني

له، كما أن الصحافة تلعب دوراً كبيراً في أداء هذا الدور أيضاً، لذا فعلى الوالدين تزويد الطفل بالمجلات الدينية المتخصصة التي تعمل على غرس هذه الصفات النبيلة في نفسه، كما يحسن تشفير القنوات التلفزيونية التي يمكن أن تقدم خطراً على السلوك النفسي والاجتماعي لأبنائنا.

■ لابد أن نجنب الأطفال التنافس البغيض والمعايرة الكاذبة والصلف المزيف، فإذا كان التنافس شريفاً وموضوعياً فإنه يخلق جوّاً من الألفة وتبادل الخبرة، بعكس إذا كان التنافس يعتمد على وأد قدرات الآخرين وتحقيق المكاسب الفردية دون النظر إلى الزملاء، فإن الطفل يحتاج إلى أن يتعلم فنّ التسامح من خلال التنافس الموضوعي، ذلك الذي يدفعه إلى الاعتراف بقدرات الآخرين وتهنئة المتميزين وإعطاء كل ذي حق حقه، ذلك هو التسامح المطلوب الذي يجعل صاحبه يرتقي دائماً من الأنانية البغيضة إلى العطاء السامي الذي يجعله ينظر إلى الآخر بمودة وألفة واحترام.

■ على الآباء والأمهات أن يُعرّفوا الطفل بقدراته دون أن يقللوا من شأنها أو يبالغوا في مدحها، فتقدير الطفل لابد أن يكون سليماً متوازناً، ولابد وأن يُلقن عيوبه قبل مميزاته، ويتعلم منذ نعومة أظافره كيف يتقبل النقد دون مجاملة؛ لأن المدح والإطراء دون مُسوِّغ موضوعي يدفع الطفل إلى الغرور والصلف، فقد يرى في نفسه كفاءة تعلو على الآخرين ويظن وهماً أنه أفضل منهم، فيعاملهم بقسوة لا تعرف المودة ولا يرى التسامح طريقاً إليها.

■ ينبغي على الوالدين مساعدة الطفل في اختيار النوعيات الملائمة لأصدقاء طفلها حيث إن الكثير من الأطفال يكونون خبراتهم من أصدقائهم.

■ لا بد أن نعلم الطفل كيف يحرص على الأصدقاء، على اعتبار أن تشجيع الصداقات الوفية المخلصة من شأنه أن يكون شبكة من العلاقات الاجتماعية التي يتكون نسيجها من الأصدقاء، فهم أولئك الذين يقدمون له العون ويساعدونه في حل مشكلاته، ولا بد أن يعرف أنه يحتاج إلى أن يجمع أكبر قدر ممكن من القلوب الصافية الودودة والصديقة؛ ويحتاج إلى أن يتعلم وهو يمارس هذا السلوك الخُلقي أن يجاهد وينتقي، ولن يتم له ذلك إلا على أرضية من التسامح الجميل؛ فالتسامح هو الذي يصنع الأصدقاء الأوفياء.

■ يحتاج الطفل إلى أن نغرس فيه حب العدالة في المعاملة؛ لأن الحب والعدالة قيمتان فعليتان تمثلان بدورهما موقعين أخلاقيين يتخذهما الإنسان نحو أشباهه من الناس. فإذا كان الحب يسعى إلى تحقيق الوصال بين الناس بعضهم وبعض، فإن العدالة بدورها تهتم بحقوق الآخرين ومطالبهم المشروعة.

■ من الخطأ أن نُعلم الطفل أن التسامح هو تجاوز عن الحقوق أو هو انسحاب من مواقف العمل الجاد .. فالتسامح ليس مجرد عاطفة تدفع أصحابها إلى الانسحاب كما يظن البعض، ولكن التسامح يمثل طاقة مُنتجة تدفع صاحبها إلى العمل والإنتاج .. التسامح يُدعم التعاون ويغرس الفضيلة

الودودة، ومن هنا يكون دافعاً للعمل والإنجاز ومشجعاً للإرادة ومعتزاً بقدرات الآخرين.

■ تعديل المفاهيم السلبية ونشر القيم العقلانية في أذهان الناشئة ..
فالشر لا يزول بالشر، والصبر مفتاح النجاح، والمسلم من سلم المسلمون
من لسانه ويده، وفحش لسانه، وقبيح أفعاله. (١)

(١) من مصادر البحث
- كيف نربي صغارنا على التسامح د/ رشيدة محمد أبو النصر - مجلة الوعي الإسلامي
الكويتية العدد : ٤٣٨
- تعليم الطفل التسامح د. سيد صبحي / أستاذ التربية بجامعة عين شمس - موسوعة سفير
لتربية الأبناء

الاضطرابات السلوكية

- أسرار حياة الطفل الخجول والانطوائي
- الطفل الفوضوي
- تناذر فرط الحركة وقلة الانتباه عند الأطفال
- الطفل العصبي .. عنف وتمرد
- المشاكس العنيد !!
- كذب الأطفال .. تفهم الدوافع وتصرف بحكمة
- اللص الصغير
- قضم الأظافر .. العادة العصبية
- مص الإصبع .. عندما يدخل دائرة الخطر
- المصاصة

أسرار حياة الطفل الخجول والانطوائي

تتفق الآراء التربوية على أهمية مرحلة الطفولة في بناء شخصية الإنسان المستقبلية، فإذا ما اعتري تربية الطفل أي خلل فإن ذلك سيؤدي حتماً إلى نتائج غير مرضية تنعكس سلباً على الفرد والمجتمع معاً. ومن المعلوم أن ظاهرة الخجل من طبيعة الأطفال، ولعل أماراته تبدأ في سن الأربعة أشهر، وأما بعد كمال السنة فيصبح الخجل واضحاً في الطفل، إذ يدير وجهه أو يغمض عينيه أو يغطي وجهه بكفيه إن تحدث شخص غريب إليه، وفي السنة الثالثة يشعر الطفل بالخجل عندما يذهب إلى دار غريبة، فهو قد يجلس هادئاً في حجر أمه، أو إلى جانبها طوال الوقت لا ينبس ببنت شفة.

ولكن عندما يتجاوز الطفل سن السابعة ويبدأ في التعامل مع الناس سواء في المدرسة أو في الأسرة، فإن ظاهرة الخجل هنا تكون ظاهرة مرضية بحاجة إلى علاج.

ومشكلة الخجل الزائد التي يعاني منها بعض الأطفال يجب على الوالدين والمربين مواجهتها وتداركها.. فكثير من الأطفال يشبون منطوين على أنفسهم، خجولين، يعتمدون اعتماداً كاملاً على والديهم، ويلتصقون بهم، ولا يعرفون كيف يواجهون الحياة منفردين، ويظهر ذلك بوضوح عند بداية احتكاكهم بالعالم الخارجي كالمدرسة والنادي والشارع.

الطفل الخجول يقول عنه الأطباء أنه: طفل لديه حالة عاطفية وانفعالية معقدة تنطوي علي الشعور بالنقص، وهو طفل متردد في قراراته منعزلاً، وسلوكه يتسم بالجمود والخمول، وينمو محدود الخبرة لا يستطيع التكيف مع الآخرين.

إلا أنه يجب التمييز بين نوعين من الخجل: «الخجل الطبيعي»، و«الخجل المرضي» الذي يؤثر على ثقة الطفل بنفسه ويجعله عرضة للوحدة والكآبة .. فبعض الأولاد يتميزون ببطء الاستجابة، فهم لا يفعلون بسرعة، ويفكرون ملياً بالأشياء قبل القيام بها، ويفضلون المراقبة على المشاركة، ولكنهم إذا حصلوا على درجة من التشجيع يمكنهم الانخراط في دائرة الحياة، والقيام بالمهام المطلوبة منهم بصورة جيدة، وهنا يجب التعامل مع هذه النوعية من الأطفال حسب إيقاعهم وعدم الضغط عليهم مع مراعاة الاستمرار بتشجيعهم منذ مراحل الطفولة الأولى .. أما الخجل المرضي فهو نوع آخر يختلف تماماً في مظاهره وأسبابه بل وطريقة علاجه.

وبعبارة أخرى: كون الطفل أهدأ من المعدل المعتاد أو يميل إلى اللعب بمفرده ليس بالضرورة سبباً يدعو للقلق، فأول سؤال يتعين على الوالدين طرحه هو ما إذا كانت المواقف الاجتماعية تسبب لطفلهما القلق والتوتر أم لا .. الطفل السعيد والواثق من نفسه ولكنه يفضل البقاء بمفرده لا يدعو للقلق، ولكن الطفل الذي يجد صعوبة شديدة في المواقف الاجتماعية ويحزن نتيجة لذلك فيحتاج إلى الالتفات.

مع الأسباب

لا يمكن إغفال دور العامل الوراثي (٢٠% من الحالات) حيث أن فسيولوجية الدماغ عند الأطفال المصابين بالخجل المرضي هي التي تهيئهم لتلك الاستجابة .. إلا أن البيئة المحيطة لها الأثر الأكبر في تفاقم المشكلة، فمن الأمور المهمة التي ينبغي أن نلفت الأنظار إليها أنه في كثير من الأحيان يكون الوالدان هما المسؤولان عن إصابة الطفل بالخجل دون أن يشعرا، ويحدث هذا من خلال مواقف بسيطة أو ملاحظات عابرة لا يشعران بتأثيرها علي الطفل:

- الأطفال الذين يعانون من حرمان لاحتياجاتهم الأساسية، مثل: المأكل والمشرب، مكان النوم الملائم «المسكن»، سوء التغذية، وسوء العلاج الصحي أو الطبي.
- الحرمان العاطفي: غياب الحنان والدفء في التعامل مع الطفل، وعدم وضعه في أولويتنا: (عدم الرضاعة. أم تتكلم في الهاتف وتطعم ابنها بالقنينة من بعيد. إطعام الأم لطفلها وفي يدها سيجارة ..)، فمن الضروري مخاطبة الطفل وإشعاره بالارتباط النفسي والمعنوي، خاصة في حالة إعطائه وجبة غذائية أو تبديل ملابسه، فالطفل لديه القدرة على تخزين هذه المضامين ويعكسها في مرحلة يكون فيها قادرا على الحديث والتكلم.
- الحرمان التربوي: ونقصد به هنا ضرورة تهيئة الجو المناسب والمستلزمات المناسبة للطفل لتنميته فكريا وعقليا، وضرورة تواجد الوالدين فترة كافية خلال اليوم مع الطفل لإكسابه معايير تربوية جديدة.

● مخاوف الأم الزائدة في حماية أطفالها .. هذه المخاوف تساعد في نمو مشاعر الخجل في نفسية أبنائها، حيث ينشأ الأبناء ولديهم خوف من كل ما يحيط بهم سواء في الشارع أو مع الأقران، ويتولد لديهم شعورا أن المكان الآمن الوحيد لهم هو وجودهم بجوار الأم.

كذلك قلق الأم الزائد علي طفلها ولهفتها عليه، يجعلها تركز عينيها دائما عليه وعلي كل تصرفاته بهدف الاطمئنان عليه، أو حمايته، وهي لا تدري أنها بذلك تكبله وتحول دون انطلاقه، مما يجعله لا يستمتع بحرية في اللعب لأنه يتوقع في كل لحظة أن يصاب بأذى فيفضل البقاء منطويا بجوار أمه.

● التدليل المفرط من جانب الوالدين لطفلها يعد من أهم أسباب الخجل والانطوائية، كالطفل الذي تعود أن يقوم أبواه بكل شؤون حياته وعدم السماح له بأن يؤدي بنفسه الأعمال التي أصبح قادراً عليها تحت دوافع الشفقة والعطف.

ولا يخفى أيضا دور الاستجابة الدائمة لكل طلبات الطفل ورغباته، أو عدم محاسبته واتخاذ موقف صارم حينما يخطئ أو يهمل.

وغالبا ما يكون هذا التدليل المفرط من قبل الأبوين عندما يرزقان بالطفل بعد عدة سنوات، أو أن تكون الأم قد أنجبت بعد عدة إجهاضات مستمرة، أو في حالة الطفل الوحيد مع أخوات بنات .. ومن الطبيعي أن هذا المستوى من الحنان المفرط للطفل من جانب والديه لا يجده بالطبع خارج المنزل: (الشارع، الحي، النادي، المدرسة ..) خاصة إذا قُوبلت رغباته

بالصد، أو عُوقب على تصرفاته بالتأنيب والعقاب والتوبيخ من قبل الآخرين، الأمر الذي يوقعه فريسة سهلة للخجل والانطواء.

وعلى العكس -أيضا- قد تكون القسوة في العقوبة سببا للانطوائية والخجل: وذلك بالإسراف في معاقبة الطفل لمجرد ارتكابه أي خطأ أو تقصير في أداء المهام المطلوبة منه، أو انخفاض في مستواه الدراسي.

● الشجار المستمر بين الأب والأم يسبب شعور الطفل بمخاوف غامضة وهذه المشاعر تجعله لا يشعر بالأمان، وقد يتطور الأمر ويصل إلي حالة الانطواء والشعور بالخجل عند محادثته أو التعامل معه.

● الأشياء المصطنعة التي قد توجد لها الأم في خيال ابنها ليخاف منها (الظلام، الشرطي، اللص، ..) وأشياء ليس لها وجود تمثل في ذهنه صورة مرعبة (العفاريت، الغول..)، فالطفل عندما يبلغ عامه الثاني نجد أن قدرته العقلية مقصورة علي فهم الأمور منطقيا، والتربية بالتخويف تجعل الأشياء تختلط في ذهنه ولا يعرف كيف يفسرها، ولذلك نراه يخاف من أشياء لا تخيف بطبيعتها، وهذا ينتج من توجيه الأم الخاطئ، فيصبح في حالة رعب من أشياء غير واقعية مما يسبب له مشكلات سلبية تظهر خطورتها في المستقبل سواء في سلوكياته الاجتماعية أو النفسية أو الثقافية.

● من أشهر الأخطاء التي يقع فيها الوالدان «إثارة الغيرة لدى الطفل»: وذلك بالمقارنة بينه وبين أحد أقرانه، أو أشقائه، إذا كان متفوقا عنه في أي جانب من الجوانب، كمدحه على ذكائه أو حسن تصرفه، وخاصة أمام الآخرين .. وهذا يُشعر الطفل بالإحباط والحرج والميل الشديد للوحدة.

يُذكر أن عيوب الطفل الجسمية أو المادية، مثل: قصر القامة أو هزال الجسد أو ضعف السمع أو السمنة المفرطة، أو قلة المصروف .. كلها أمور تؤدي - أيضا- إلى إصابة الصغار بالخلل في مواجهة الآخرين.

أشهر المظاهر

- اضطرابات السلوك كالاكتئاب، كما أن الخجل المرضي عند الأطفال يترافق مع الإحساس بالقلق والخوف الذي يمكن أن يكون شديداً جداً بحيث يصل إلى درجة الرهاب.
- يكون الطفل كثير الحركة، وذو نشاط جم، ومحب للسيطرة داخل البيت فقط، وأما خارج البيت فيبدو خجولاً منطوياً لدرجة أنه يخفي رأسه إذا رأى شخصاً يعرفه في مكان ما، بل ويشتد خجله إذا حادثه.
- عدم القدرة على التعامل مع الأقران .. لا يحب المباراة والمنافسة خوفاً من أن يتغلب عليه الآخرون.
- شعور بالقلق والضيق عند الحديث، فالطفل الخجول متردداً بل وتطغى عليه أفكار مخيفة عندما يلتقي بجار جديد، أو حتى عندما يحاول أن يروي لأقران الصف الدراسي كيف استمتع بزيارة المتنزه أو الحديقة العامة.
- الانزواء والانطواء على النفس .. أحلام اليقظة .. الحساسية الشديدة .. توقع الخطر وإن كان بعيداً .. الأنانية ومحاولة فرض رغباته على من حوله .. التمارض لجذب الأنظار إليه .. اللامبالاة في بعض الأحيان.

• الجمود والخمول في الوسط المدرسي، مع ضعف التركيز، وقد يعرف إجابة السؤال الذي يطرحه معلمه في الصف لكنه لا يجرؤ على الإجابة.

• شعور بالنقص .. الطفل الخجول يفتقر لتلك الثقة الأساسية بالنفس وينشغل دائماً بالسؤال عن ما إذا كان الآخرون يقبلونه، وملاحظة كيف يتجاوبون معه وكيف يقيمونه .. لذلك يمثل مقابلة أشخاص جدد والدخول في مواقف اجتماعية جديدة أمراً مثيراً للتوتر له لأنه يشعر أنه في محاكمة والآخرون يحكمون عليهم.

• عند مواجهة مواقف اجتماعية جديدة أو أشخاص جدد يصاب الطفل الذي يشعر بمخاوف حقيقية من التفاعلات الاجتماعية بحالة من التوتر ويتوقف عن الحركة ويبعد بصره بعيداً، وتزداد معدل نبضات قلبه مع ارتجاف في اليدين واحمرار الوجه، ومع مرور الوقت قد يعاني من صعوبات كلامية في المواقف الاجتماعية فإما أنه يتكلم ببطء شديد أو يقوم بحركات عصبية، مثل: ملامسة وجهه أو دلك يديه أو ما شابه ذلك.

منارات عملية

في عدة دراسات نفسية للأطفال الخجولين وتحليلها من قبل أخصائيين وباحثين نفسيين تبين لهم أن هؤلاء الأطفال يتمتعون بصفات إيجابية، كالفضول والبحث لاستكشاف المجهول، ويميلون إلى الإبداع والاختراع وفق طريقتهم في التفكير والتأمل، مع سرعة في البداهة والتفكير، ولكن يتطلب من الوالدين لإظهار تلك المواهب إتباع إستراتيجية محددة قائمة

على توجيه خاص لهذا النمط من الطفولة، بإذكاء النقاط الإيجابية لديهم والسلوكيات السليمة، ومساعدتهم على تكريسها، مع محاولة التخلص من التصرفات والسلوكيات السلبية.

■ من الخطأ أن يتقبل الأهل صفة الخجل الزائد في الطفل بل ويرحبون بها على اعتبار أن الطفل الخجول لا يزعج أحداً، فيمر الجميع على خجله مرور الكرام، وقد ترحب معلمات المرحلة الابتدائية بهذه الصفة وتعتبرها دليلاً على الانضباط والاهتمام بالتعليم!

■ تحديد مصادر خجل الطفل وكيف نشأت: لا بد من التفكير في المواقف التي تسبب الخجل عند الأطفال وجعلها عادية ومشوقة وليست غريبة، لأن ذلك من شأنه إبعاد مشاعر القلق عنهم.

■ توفير جو هادئ في المنزل بعيداً عن التوتر، وعدم تعريض الأطفال للمواقف التي تؤثر في نفوسهم وتشعرهم بالقلق والخوف وعدم الاطمئنان .. ويتحقق ذلك بتجنب القسوة في معاملاتهم، وتجنب المشاحنات والمشاجرات بين الوالدين.

■ يتحتم على الآباء أن يوفرُوا لأولادهم الصغار قدراً معقولاً من الحب والعطف والحنان، وتجنب نقدهم المستمر، أو تعريضهم للإهانة أو التحقير، وخصوصاً أمام أصدقائهم أو أقرانهم؛ لأن النقد الشديد أو الإهانة أو التحقير — وخصوصاً أمام أصدقائهم — يشعر الطفل بأنه غير مرغوب فيه، ويزيد من خجله وانطوائه.

- اهتمام الأب بأبنائه منذ ولادتهم كاهتمام الأم تمامًا وإحاطتهم بجو من الحب والتقدير والدفء العاطفي، لأن دور الأب في غرس معاني الشجاعة والجرأة والرجولة أكبر بكثير من دور الأم.
- ابتعاد الآباء عن إظهار قلقهما الزائد علي أبنائهما، وإتاحة الفرصة أمامهم للاعتماد علي أنفسهم، ومواجهة المواقف الصعبة بهدوء وثقة .. فكل إنسان -كما يؤكد علماء النفس- لديه غريزة طبيعية يولد بها تدفعه للمحافظة على نفسه وتجنب المخاطر، وبالتالي فهو يستطيع أن يحافظ على نفسه أمام الخطر الذي قد يواجهه بغريزته الطبيعية.
- تعويد الأطفال علي الحياة الاجتماعية سواء باستضافة الأقارب في المنزل، أو إشراكهم في أنشطة جماعية بالمدرسة أو النادي أو فريق الكشافة، أو مصاحبتهم لآبائهم وأمهاتهم في زيارة الأصدقاء والأقارب، أو الطلب منهم برفق أن يتحدثوا أمام غيرهم، سواء كان المتحدث إليهم كبيراً أو صغيراً، وهذا التعويد يضعف تدريجياً في نفوسهم ظاهرة الخجل ويكسبهم الثقة بأنفسهم.
- السعي لتحريك الطفل إلى الحديث، وبيان آرائه ومكنوناته، ومحاولة الاستماع الجيد إلى كلامه وآرائه، وعدم مقاطعته أو إسكاته لمجرد كونه لا يقول ما يتناسب مع ما نعتقد .. لا بد من تشجيع الطفل الخجول على التعبير بصراحة ودون خوف عن رغباته وحاجاته وامتلاك الشجاعة للرفض أو الاعتراض عندما لا يرغب بشيء معين.

- عدم دفع الطفل للقيام بأعمال تفوق قدراته، فهذا لا يزيد ثقته بنفسه، بل إن عجزه عن أدائها يصيبه بالانهزام والإحباط .. علينا أن ندفعه إلى ما يتقنه ويجيده حتى يشعر بالنجاح.
- الإكثار من ذكر أمثلة من السيرة النبوية الشريفة وقصص الصحابة والصالحين التي تحض على الجرأة والشجاعة كقصة عبد الله بن الزبير، وقصة معاذ ومعوذ ... إلخ
- من الوسائل الهامة في علاج مثل هذه الحالة: إهداء الطفل حيوان أليف (عصفور أو بغاء أو حمامة..)، يشرف عليه بنفسه -ويترك الاختيار للطفل- وهذا ينتج عنه علاقة ألفة وثقة وتعاطف لا تلبث أن تتحول إلى طابع الطفل الوجداني ومزيد من ثقته بالناس وتدفعه إلى التعاون معهم برقة وأمان.
- لابد من وضع ضوابط لسلوك الطفل، فنلبي له الطلبات المعقولة ونرفض غير المناسبة.
- عدم توجيه النقد للطفل أو المراهق على سلوكه الخجول .. إن لفت نظر الطفل إلى خجله بشكل دائم يزيد الأمور سوءاً، وبدلاً من ذلك حاول أن تكون قدوة له في السلوك الاجتماعي المتسم بالثقة، وتذكر أن الأطفال الصغار يكتسبون الكثير من مراقبة سلوك الوالدين .. لا تكن خجولاً أيها المربي الفاضل، ولا تقل لطفلك أنت خجول مثلي فتحكم عليه بحكم مسبق .. لا تنعت طفلك بهذا الوصف أمام الآخرين أو وحدكما «إنه خجول بعض الشيء» لأن هذا الأسلوب سيطيّل من فترة علاج الخجل.

■ من الأخطاء الشائعة في التربية تلك الفكرة التي يحاول أن يغرسها الأبوان في ذهن طفلهما وهي أن «تصرفاته يجب أن تنال موافقة الآخرين». وهذا خطأ واضح، لأن تصرفات الفرد يجب أن تكون نابعة من ضميره الشخصي، بغض النظر عن اعتبارات الآخرين، سواء وافقوا عليها أم لم يوافقوا. ولا يجوز للأبوين أن ينشأ طفلهما على أطروحات من قبيل: «إن أحسن الناس أحسنت، وإن أساء الناس أسأت» بل عليهما أن يغرسا في ذهنه العقيدة الفردية التي تقوم على القيام بالعمل الصالح دون التأثير بآراء الآخرين.

واليك عزيزتي الأم خاصة:

- لا تلقي ما في يدك لتلبية طلب من طلباته، ولكن اطلبي منه الانتظار والانشغال بشيء يخصه إلي أن تنتهي من عملك.
- جمدي قلبك، ومهما استخدم من وسائل ضغط فيجب ألا تنهار إرادتك أمامه أبداً، فالطفل يدرك أن البكاء وسيلة ناجحة للتفاوض، فاقطعي عليه الطريق بالثبات علي موقفك.
- يكون فصل الطفل عنك بالتدريج، فساعدته علي عقد صداقات مع الأطفال في النادي وفي بيوت أقاربك ليتعلم قيمة الصداقة ويستطيع أن يميز الفرق بين صديق وآخر.
- تدريب الطفل علي تحمل المسؤولية ومساعدته علي تحقيق ذلك أمر مهم للغاية، لأن أي نجاح يحققه في هذا المجال يدفعه إلي مزيد من المحاولات ويزيد من ثقته في نفسه.

■ وضع نظام روتيني مشترك لحياتكما معا – وهو لا يزال معك ولم يذهب إلي دار الحضانة بعد – ينمي شخصيته بطريقة سوية، فاشغليه بعمل أثناء أدائك لعملك .. من المهم جدا إبعاد الطفل عن حالة الانزواء، وعن عدم الانشغال بنشاط معين، فالاستقلال شيء جيد ولكن قضاء الطفل لساعات طويلة في مشاهدة التلفاز أو اللعب بألعاب الكمبيوتر بمفرده لن يساعده .. يجب محاولة ملء فراغه بممارسات وفعاليات تخرجه عن الانطواء والعيش مع ذاته فقط.

■ لا تجعل وظيفتك الوحيدة في الحياة هي «الأمومة» لأننا نسعد عندما نشعر باحتياج أطفالنا لنا، ولكن يجب أن نكون مستعدين لليوم الذي سيفصلون فيه عنا، وأن نكون حذرين من أن يكون احتياجنا لهم أكثر من احتياجهم لنا، فكوني صديقة طفلك المخلصة، ولكن لا تكوني صديقه الوحيدة.

■ تحدثي مع طفلك عن حياتك عندما كنت خجولة وكيف أصبحت اجتماعية ومدى الفائدة التي عادت عليك من هذا، مثل: تكوينك لصداقات جديدة واستمتاعك بالأوقات المدرسية والأنشطة الاجتماعية.

■ امتدحي كل إيجابياته الاجتماعية، كمساعدته لأحد أخوته، أو اللعب معهم، أو حين يبدأ في الحديث مع الآخرين.

■ حاولي أن تدريبيه كيف يثق بنفسه من خلال التحدث عنه أمام الآخرين بفخر وإعزاز، واتركيه يتصرف في شؤونه بطريقته دون أن تُملي عليه ما يجب أن يفعل.

- لا تتدخل لتدافع عنه في المواقف الخلافية بينه وبين أخوته، بل دعيه يتصرف من تلقاء نفسه، حتى لو تعرّض إلى الضرب .. والحالة الوحيدة التي يمكنك التدخل فيها إذا كان هناك خطر ما يتعرّض له أحد المتشاجرين.
- شجّعيه على ممارسة نوع من أنواع الرياضة، فهذا يمنحه لياقة بدنية، ويزيد ثقة بنفسه.. شجّعيه – في بعض الأحيان - على اللعب مع بعض أقاربه أو جيرانه أو زملائه بالمدرسة الأصغر سنًا (أصغر بسنة أو سنتين فقط بحد أقصى)، حتى يتعلم القيادة لا التبعية.
- حاولي أن تمثلي مع أولادك لعبة الضيوف، كلّ له دور، ومن خلال هذه اللعبة يمكنك أن تعلّمي ابنك كيف يحسن التصرف سواء كان ضيفاً أو مضيفاً.
- عليك أن تترك للطفل الحرية في اختيار أصدقائه وطريقة لبسه، حتى في حالة عدم موافقتك علي ذوقه في الاختيار. وعلي الأم والأب أن يعاملا أصدقاء طفلها معاملة رقيقة ويرحبا بهم عندما يحضرهم معه إلي المنزل للعب.
- علمي طفلك إذا رأى مجموعة من الأطفال يلعبون أن يسألهم: ما الذي تلعبون؟
- حاولي أن تنمي قوة الابتسام لدى طفلك لأنها ستساعده كثيراً على كسب علاقات قوية مع الآخرين.

■ علمي طفلك كيف يواجه عبارات المجاملة ويقولها أيضا مثل:
«جزاك الله خيرا ،، شكراً ،، عفواً ،، لو سمحت ،، أنت رائع
وأخيرا ينبغي أن ننوه على أنه ليس هناك داع للقلق لو لاحظت ظهور
صفة الخجل بشكل مفاجئ على طفلك، فالعديد من الأطفال يمرون بمراحل
مؤقتة من الخجل تكون عادة رد فعل لحدث ما مثل الالتحاق بمدرسة جديدة
أو الانتقال إلى منزل جديد أو حتى البدء في ارتداء حمالات الصدر بالنسبة
للفتيات، ولا يعد ذلك خجلاً متأسلاً ولكنه فقدان ثقة مؤقت .. في مثل هذه
المواقف يجب الحفاظ على باقي جوانب حياة الطفل في حالة من الاستقرار
بقدر الإمكان، فعلى الأغلب سوف تهدأ الأمور مرة أخرى مع استعادة الثقة
بالنفس.^(١)

(١) من مصادر البحث
- تربية الأولاد في الإسلام - عبد الله ناصح علوان
- الخجل عند الطفل... الأسباب والعلاج - د. أحمد محمد الزعبي
- علاج ظاهرة الخجل والانزواء عند الأطفال مجلة الرياحين
- ماذا تفعل عندما يكون طفلك غير واثق من نفسه ؟ تراجي فتحي/مجلة الجزيرة /العدد :
١٢٤ / ٢٠٠٥ م

الطفل الفوضوي

مع رغبة الأهل بأن ينموا أولادهم ويكبروا بشكل جيد، ومع بدء تحقيق هذه الأمنية، تكثر الصعاب، وتزداد سلوكيات الأطفال نشاطاً وإزعاجاً .. ولا شك أن الأبوين هما الوعاء الأكبر الذي عليه استيعاب كل ذلك، واحتضان ما يعتمل بداخل أبنائهم من أفكار وأسرار، وما يعترئهم من تغيرات سلوكية تكون مزعجة في كثير من الأحيان .. ومع تفهم طبيعة الطفل، وسمات كل مرحلة عمرية يمر بها، يمكن أن نتفاعل بإيجابية مع كل النصائح التي يقدمها لنا التربويون، لنخرج للمجتمع بطفل سوي جيد لغة البناء لا لغة الهدم.

في الأعوام الأولى

لا يوجد طفل فوضوي بطبعه، ولكنه يكتسب هذا السلوك في سنوات عمره الأولى .. فالطفل مع بداية حركته يكون عاشقاً للفوضى، ويسعد كثيراً عندما يعيث بالأدراج والخزائن، لأنه من منظوره تساعد هذه السلوكيات على اكتشاف ما حوله، إضافة إلى أنها تجلب له المتعة، لذا ربما يتعين علينا السماح له بالتجول بحرية في أركان البيت، وأن ندعه يكتشفها على طريقته، على أن نبقى تحت أعيننا.

ويحذر الخبراء من أن تقييد حرية الطفل قد يحبط رغبته في التعلم .. وللتقليل من حجم الخسائر، وكذلك المخاطر التي قد يتعرض لها الطفل بسبب فضوله، يجب إزاحة كل ما يشكل خطراً على حياته من طريقه مثل:

الإكسسوارات المنزلية المصنوعة من الزجاج والفخار، أو الأدوات الحادة، كما يفضل منحه مساحة من المنزل يلعب فيها كما يحلو له، مثل: غرفة نومه أو غرفة المعيشة. على أن نوصد أبواب الغرف الأخرى لكي نوفر على أنفسنا عناء ترتيبها بين كل لحظة وأخرى. ولا يُنصح بالانتظار حتى ينام الطفل لنقوم بترتيب وتنظيف المكان بعده؛ إذ يجب أن يعتاد مشاهدة أمه تفعل هذا الشيء لكي يترسخ في ذهنه أن ما يسببه من فوضى يحتاج إلى إصلاح وترتيب.

منارات عملية

حينما نطلب من الطفل ترتيب أدواته المدرسية أو ألعابه، فنحن لا نهدف أن يكون الطفل منظماً ومنمقاً فحسب، بل لأنه حينما يبدأ بتنظيم الأشياء الخاصة به يشرع في الخطوات الأولى بالتفكير بشكل منظم ومنطقي، بمعنى أنه إذا كانت حجرته منظمة فتفكيره أيضاً سيصبح هكذا.. وهذا الأمر له مردود كبير علي التحصيل الدراسي للطفل خاصة وسائر شئونه عامة. فمثلاً: إذا كان أمامه كتب وكراسات وأقلام كثيرة أثناء المذاكرة أو كتابة الواجبات، فهذا يمكن أن يسبب له تشتتاً في الانتباه والتركيز أثناء الاستذكار، وبالتالي يصبح تحصيله أقل.

♦ القدوة هي أنجح الوسائل في ضبط سلوكيات الطفل، فالطفل لا يولد عاقلاً منظماً، لكنه يصبح كذلك عن طريق ضبط تصرفاته، وتوجيهه تدريجاً نحو القولية وفق أشكال السلوك السائد في العائلة والمجتمع، وهي بذلك تُدخل قسماً أساسياً من ثقافة المجتمع إلى صلب بناء شخصية الطفل،

بل وتتنبى أيضا القيم الاجتماعية والأخلاقية التي توجه وتضبط تصرفاته مع الآخرين .. ومن هذا المنطلق لابد أن نكون قدوة للطفل في النظام، وفي غيره من السلوكيات الجميلة، فعندما نشكره على العمل والسلوك الطيب، سيتعلم منا الشكر. وعندما نستأذنه في استعمال أغراضه وفي الدخول عليه، حتماً سيمارس الاستئذان. وعندما نرفق به سيتعلم الرفق والرحمة .. وفي هذا الصدد يقول التربويون: «إذا لم يهتم الوالدان بالرقى في معاملة أبنائهم، فلا يستغربوا إذا أساء أبنائهم في جميع سلوكياتهم».

◆ تذكر نصيحة مضيبي الطيران قبل الإقلاع والتي ينبهونك فيها إلى ضرورة وضع قناع أوكسجين في حالة حدوث أي طارئ .. قبل أن تساعد طفلك على وضعه، من الأهم أن يكون التعامل مع عواطفنا محط أنظارنا أولاً، فكل ما عليك فعله هو الانتباه قبل كل شيء إلى نفسك، ويقول (د. وولف): «قد لا يكون غضبك في حد ذاته هو المشكلة، وتكون المشكلة الأهم هي كيفية تعاملك مع غضبك هذا، أن تقسم بالأ تغضب أبداً قد يكون شيئاً مستحيلاً، وسيجعلك تشعر باستياء كبير، إضافة إلى أن الأطفال يشعرون بانزعاجك حتى وإن حاولت أن تخفي هذا الأمر عنهم، كل ما عليك أن تفعله هو أن تحد من غضبك»، فإذا ما ترعرعت وسط عائلة صاخبة، كل من فيها يصرخ، فقد يصبح ضبط الطريقة التي قد تعبر فيها عن مشاعرك أمراً شديداً الصعوبة .. عليك أن تغير الطريقة التي تعبر بها عن غضبك من سلوكيات طفلك الفوضوي، فبإمكانك أن تعبر عن غضبك دون أن تقول له أية كلمة تجرحه .. هدى أعصابك، فذلك سيساعدك بدون

أدنى شك- على التعامل بطريقة جيدة مع الموقف، بالإضافة إلى أنه سيمنح طفلك فرصة لفهم ما تقوله .. تذكر «إذا ما صرخت في وجه طفلك، فقد يقوض الصراخ من عملية تعليم الطفل نفسه، فكل ما سيركز عليه هو غضبك وطريقة تعبيرك عنه، وسينسى الخطأ الذي ارتكبه».

♦ بدلا من قولنا: «نعم» و «لا»، نقول: «افعل» و «لا تفعل»، في نفس الوقت نضع قواعد للبيت يحترمها ويخضع لها الجميع على سواء .. نعني بذلك وضع نظم ثابتة يسير عليها أفراد البيت جميعهم دون استثناء، ويفهمها ويشارك في وضعها كل أفراد البيت، وعلى هذا فيجب أن تكون هذه القواعد غير خاضعة للمناقشة مع كل موقف؛ لأنها ثابتة ومتفق عليها. كما أنها ليست طلبا من شخص إلى شخص يحتاج للإلحاح والرفض، ولكنه نظام. أيضا لا يتم تغيير هذه القواعد أو إيقافها أو تأجيلها .. هذه القواعد تساعد الأولاد والآباء على التفاهم وتأدية المهام المطلوبة بأقل قدر من الصراع والمشاكل؛ وذلك لأن هذه القواعد قد تم الاتفاق عليها معهم، فنحن ننفذ ما اتفقنا عليه، وليس في كل مرة علينا التفاوض من جديد، ولأن تعامل الطفل مع قاعدة ثابتة حتى ولو كانت لا ترضيه كل الرضا أفضل كثيرا من تعامله مع أم أو أب متقلبي المزاج والآراء ولا يمكن التنبؤ بردود أفعالهم، فاليوم يمكن أن يرفض ما قبله بالأمس، وغدا سيوافقا على ما رفضاه اليوم.

♦ نؤكد على كلا الوالدين أن يتفقا على نفس النظام والقوانين، فلا يجوز أن تتسامح الأم في موضوع معين ثم يأتي الأب ويناقضها كلياً في

الموضوع نفسه!!!.. إن الأبوين اللذين يشكلان جبهة موحدة فيما يخص الانضباط هما اللذان يحققان أفضل النتائج التربوية .. تبادل أنت وزوجتك الأفكار والمشاعر حول كيفية التصدي للسلوك السيئ .. إن النظام الأمثل هو أن ندع كلا من الطرفين سواء الأب أو الأم المتواجد مع الطفل عند إساءة السلوك بمعالجة الأمر كما يترأى له، فعهد «انتظر حتى يعود والدك» يجب أن يكون قد انقضى منذ زمن بعيد؛ لأن مثل هذه العبارات تصور الأب على أنه «الرجل الشرير»، بالإضافة إلى أن هذا التهديد يخلق نوعاً من القلق غير المبرر لدى الطفل الذي كان يمكن من الأفضل أن ترد عليه الأم بشكل فوري قائلة: «قلت لك ألا تضرب أخاك ولكنك ضربته ثانية، تعال واجلس معي واتركه يلعب لوحده في سلام».

♦ لا تخضع قوانين وروتين الأسرة للحالة المزاجية للوالدين، فلا يجوز أن يتم التغاضي عن التزام الأبناء بالنظام حينما يكونان (أحدهما أو كلاهما) في حالة مزاجية طيبة، أو يتشددان في تنفيذ الأوامر مع أبنائهما إذا كانا في حالة سيئة!.. إن الشعار الدائم الذي يجب أن يتبعه أولياء الأمور هو «الاستمرارية والثبات»، فالأطفال يفكرون دائماً بصورة منطقية، وهو ما يجعلهم يعتقدون بأنه إذا لم يكن الأب والأم يطبقان قوانينهما بصورة مستمرة فهذا يعني بأنهما لم يكونا جادين فيما قالاه.

♦ لا بد أن تكفّا (عزيزي الأب /عزيزتي الأم) بداية عن موضوع «أوامري مطاعة» وقوانيني وأنظمتي المنزلية، بل ليقبل كل واحد منكما لنفسه كلما صادفتما من الطفل هذا الإزعاج: «عليّ أن أتعامل بأكثر سعة

وهذوء وتفهم»؛ فعصيان الأوامر عامة مصدره الرغبة في إثبات الوجود، وانصراف الاهتمامات الذهنية والجسدية للابن بشؤون أخرى مختلفة تمامًا عما يفكر به الوالدان من الالتزام بالنظافة، وترتيب السرير، وتنظيف الأسنان قبل النوم... إلخ من قوانين البيت اليومية، حيث تصبح همًا وعبئًا على الأولاد والشغل الشاغل للوالدين، خاصة عندما يبدأ الطفل في العصيان ويصرح بإهماله وفوضويته تذرًا على الأوامر بأشياء ليست في أولويته، أو أن طريقة الأمر نفسها لم تعد تناسب نموه الإدراكي، حتى إن الأب والأم لا يكاد أحدهما يتحدث مع ولده في أي موضوع آخر سوى بالأوامر والنواهي والقوانين!!

♦ انظرا إلي طفلكما كما ينظر هو لنفسه على أنه رجل، ولا بد أن يعامل معاملة الرجال؛ فتقربا منه، واسمح له بما يؤكد تفهمكما له واحترامكما لنموه؛ فحاولا إشراكه في سهراتكما العائلية، والخروج معه إلى المطعم، والجلوس معه وحده لإعطائه الأهمية والاستماع لما يزعجه ويقلقه .. فقد يكون يواجه ضغطًا في المدرسة من زملائه، أو يكون قد تعرف على زميل يحدثه عن مخاوف وقلق سن المراهقة أو أية قصص أخرى تسهم في ازدياد توتره وقلقه، وربما هناك مشكلة مع أستاذ أو جيران .. كل هذا يجعلكما لا بد أن تحسنا الاستماع إليه حتى النهاية، وأن تعترفا بمشاعره، وتحاولا التخفيف عنه ومشاركته، وعدم السخرية منه أو فضح أسرارهِ أو توجيه الانتقاد له، مهما كانت المشكلة حساسة وتمس مشاعركما.

♦ توقفا عن اعتباره قدوة لإخوته، فهذا يشكل ضغطاً نفسياً عليه، فهو لا يزال طفلاً مثلهم، ومن حقه أن ينال الحنان، والضحك، والضم، واللعب مثلهم تماماً، وقد يكون مصدر غروره زرع موضوع القدوة فيه، وهو في سن غير مناسبة، مما يسبب له توترًا من جهة وغرورًا من جهة أخرى؛ لأنه الأكبر وعلى إخوته أن يقلدوه.

♦ تعاملًا معه بصداقة، واحترامًا لمشاعره ولا تستفزاه، بل تعاملًا معه بهدوء وتسامح إلى حد كبير -طبعًا في حدود المعقول-، وساويا بينه وبين إخوانه في النظرة والحنان وطريقة التعامل؛ فقد يكون كل ما يقوم به بدافع الغيرة من إخوته، والاهتمام بهم أكثر منه؛ لأنهم أكثر هدوءاً وذكاء ونظافة... إلخ، وتوقفا عن مقارنته بأحد.

♦ لا بد من دوام السؤال عنه في المدرسة وتشجيعه، وتقديم الهدايا له كمكافآت، وتسجيله في أحد النوادي الرياضية الترفيهية الملزمة بشرع الله عز وجل، وتشجيعه على حفظ القرآن الكريم والنشاطات المختلفة التي تساعد على التعبير عن ذاته ومشاعره.

♦ الطفل ينسى العبارات التي حفظها «يجب أن أرتب أغراضي» لكنه لا ينسى الشعور والقناعة بأنه يجب أن يكون مرتباً.. ولا نصل إلى هذه المعاني إلا بالنماذج الحسنة، وقص القصص عن سلوك النظام.. قصّ على طفلك مواقف من سيرة النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، والتي يتجلى فيها خلق النظام؛ مثل موقف الهجرة إلى المدينة، كيف خطط لها النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، ونظّم أمورها، ووزّع الأدوار على الصحابة الذين شاركوا

معه، وكذلك بيان عاقبة مخالفة النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في تنظيمه للأمور، مثل ما حدث في غزوة أحد، عندما خالف الرماة أمر النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وتركوا أماكنهم المحددة لهم، هذا إلى جانب إشراكه دائماً في ترتيب أغراضه لعوده مرة تلو الأخرى على ذلك.

♦ لا بد من تكرار متابعتنا للطفل، فهو يحتاج إلى التنبيه والتكرار عليه مرات عديدة لكي يفهم ويدرك ويتعود، فهذا الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يدرك مبدأ التكرار مع الأطفال، فقال في معرض توجيهه لسلوك الآباء نحو أبنائهم: «عودوهم الخير فإن الخير عادة».

♦ حاول تبسيط عملية الترتيب والنظام لطفلك بتقسيمها إلى مراحل، كأن تقول له: ضع المكعبات في السلة الخاصة بها، ثم اجمع الكتب وضعها على الرف.. ولا بأس بمشاركة إياه في المرات الأولى على الأقل.

♦ حينما يلعب الطفل نطلب منه إعادة اللعبة إلى مكانها بعد الانتهاء من اللعب بها، وقبل أن يلعب بلعبة أخرى. وعندما يطلب الوالدان منه ذلك عليهما أن يوضحا الفائدة التي تعود عليه من وراء ذلك، فمثلاً يقولان له: حتى لا تضيع الألعاب، أو لكي نحافظ عليها فتستطيع أن تلعب وتستمتع بها مرة تلو الأخرى، أو ليمكننا الجلوس بجوارك واللعب معك، أو لأن التنظيم يوفر الوقت بدلاً من إضاعته في البحث عن المفقودات، مما يتيح لك في النهاية وقتاً أطول للعب والقراءة وممارسة الهوايات.

♦ اربط العمل بالمتعة ليصبح وقعه على النفس أفضل، وهذا ينطبق على الترتيب والنظام، فإذا ما شعر الطفل بأهميته وبأنه عمل ممتع، فإنه

يتبناه أيضاً، فاحرص دائماً على أن يراك الطفل وأنت مستمتع بترتيب أوراقك في غرفتك، لكن اعلم أن ما قد يبدو لك غير منظم، قد يعتبره الطفل منظماً ومرتباً، فلا تنتقده دائماً حتى لا تفقده ثقته بنفسه، بل شجعه وعلمه، وأشعره بالفخر بما يقوم به، فهو كلما تقدم في العمر تمكن من هذه المهارة.

♦ لا بد من استخدام أسلوب الثواب والعقاب بطريقة هادفة وتربوية، فعندما يتصرف الطفل بطريقة صحيحة نكافئه عليها، وعندما يسيء التصرف نستخدم معه أسلوب الحرمان من الأشياء المفضلة والخصام، وهما يعتبران من أهم الأساليب التربوية في عقاب الطفل وتوجيهه، ولكن لا بد من ترشيد استخدامهما، وعدم الإفراط فيهما لكي لا يفقدا معناها، ولا بد ألا تزيد مدة الخصام عن نصف ساعة أو ساعة؛ لأنها بعد ذلك تفقد قيمتها ويميل ويبحث عن اهتمامات أخرى، فنفقد الفائدة المرجوة منها. ولا بد ألا يعاقب الطفل أبداً قبل مناقشته وتوضيح خطئه وسماع دفاعه عن نفسه وأخذ موافقته على أسلوب العقاب وعلى أنه أخطأ ويستحق العقاب.

♦ عندما نرى من الطفل سلوكاً فوضوياً فليس الحل أن نعايره أو نهينه، ولكن الحل أن نستخدم الحافز الإيجابي لتفادي وتعديل هذا السلوك، فنذكره بصفاته الجيدة، فنقول – مثلاً - ونحن نريد أن يغير سلوكه في الحمام أو في غرفته: «أنت الذكي الذي يحبه الناس، لا يصح ألا تكون غرفتك غير مرتبة»، ولا ننسى قيمة الحافز عندما يتجاوب معنا بزيادة الوقت المخصص له للعب أو الخروج في نزهة قصيرة أو زيادة مصروفه اليومي.

♦ حاول أن تجعل ابنك يحس ويتحمل مسؤولية الخطأ الذي قام به، بعد أن تتحدث إليه وتخبره عن سبب غضبك، وشرح له السبب الذي جعلك تطلب إليه شيئاً معيناً، والعواقب الحقيقية التي قد تنجم عن أي فعل يقوم به، بدلاً من أن تخبره عن الطريقة التي ستعاقبه بها .. أفهمه -مثلاً- بأنك لن تتمكن من إزالة آثار القلم. وكلما قل عمر طفلك قلت معه الكلمات التي يتعين عليك استخدامها لتوضح له الأمر .. انزل لمستوى طفلك وانظر إلى عينيه، ويجب أن يستمع إلى الخطأ الذي قام به، وما كان يتعين عليه فعله لإصلاح خطئه، كأن تقول: ما كان عليك أن تكتب على الحائط، كان بإمكانك أن تأخذ ورقة إذا أردت الكتابة، أو ما كان يجب أن تأكلي قطعة الحلوى، فسيحين موعد العشاء بعد قليل، وانسي الأمر بعد ذلك.

♦ وجه الطفل بعد قيامه بالسلوك الفوضوي مباشرة إلى ممارسة السلوك الصحيح المناسب، فإذا كان هذا السلوك متمثلاً بالتحدث دون استئذان، فالسلوك الذي ينبغي على الطفل تعلمه هو التحدث بطريقة مناسبة .. وهكذا.

♦ استخدام طريقة الباب مفتوح أو مغلق: يمكن استخدام هذه الطريقة مع طفل واحد أو أكثر يشتركون في غرفة نوم واحدة، حيث يتم تفحص الغرفة في وقت متفق عليه مع الأطفال، فإذا كان وضعها مرضياً، أقيت الباب مفتوحاً، أما إذا لم يكن مرضياً، قمت بإغلاق الباب، والباب المغلق يعني أن الغرفة بحاجة لترتيب وعدم السماح للطفل بالخروج للعب إلا إذا كان الباب مفتوحاً .. إنها طريقة عملية يمكن استخدامها مع الأطفال.. إذا

كان الباب مغلقا فعلى الأطفال تنظيف الغرفة قبل خروجهم للعب أو مشاهدة التلفزيون أو ما إلى ذلك.. وهذا النوع من الترتيب يؤدي إلى تجنب النقد اللفظي من قبل الأبوان والجدال الدفاعي من قبل الطفل.

♦ يمكن للطفل الفوضوي أن يظهر اهتمامًا بالعلم ويكون متحمسًا لإنجاز الكثير من الأمور لكنه يفشل في إتمام واجباته بسبب سوء تنظيمه، كأن ينسى أحد كتبه في المدرسة ويمضي يومه في البحث عنها .. ولذلك لابد أن يتحمل الطفل بمفرده مسؤولية إنجاز واجباته الدراسية - بدون مساعدة من أحد - وترتيب أغراضه أيضا، لكي يدرك بالفعل أهمية وفائدة النظام بالنسبة له ولتحصيله الدراسي.

♦ عوديه -أيتها الأم الفاضلة- على النظام مرّة تلو الأخرى، وساعديه في تعليق ثيابه التي ألقتها في زوايا الغرفة .. قولي له: «سأعلق لك ثيابك هذه المرّة، وساعدني في ذلك». وفي المرّات اللاحقة تستطيعين أن تشجعي طفلك على الترتيب مستفيدة من التجربة السابقة: «هيا يا بطل .. أنت تستطيع أن ترتّب غرفتك كما فعلت المرّة الماضية بنجاح».

♦ ترتيب خزانة الطفل يعتبر من الأمور التي إن تمت، فسوف توفر عليك عزيزتي الأم وعلى الطفل الكثير من الوقت، ومن أجل هذا قومي بترتيب دوري للخزانة بمصاحبة الطفل .. اسأليه أثناء الترتيب عن طريقة الترتيب التي يرغب في أن تكون عليها خزانته .. ابدئي بنظرة فاحصة للخزانة، فإذا كانت مفتوحة فأخرجي منها الأشياء التي تحجب رؤيتك لقاع الخزانة .. تخلصي من الأشياء أو الملابس أو الألعاب غير المستعملة،

بالتبرع بها للجهات الخيرية .. شجعي ابنك على فعل هذا؛ لتعلمه حب العطاء إلى جانب الترتيب، ثم تأتي المرحلة التي تقرران فيها معاً ما هي الأشياء التي يجب أن تعلق؟ وهل تعلق على الأرفف أم توضع في السلة داخل الخزانة؟

♦ أفكار التخزين ممكن أن يصممها الطفل بنفسه، فبعض الأطفال يفضل السلال التي تعلق على الجهة الأمامية من الخزانة؛ لتكون معلقة في الحائط، فيضع بها أغراضه .. كما يمكن استخدام العلاليق الصغيرة المعلقة خلف باب الخزانة؛ لتعليق إكسسوارات البنات، (يمكن استخدام السلال الخاصة بالخضراوات المستخدمة في المطبخ بعد تلوينها)، وتعد الأكياس الملونة المعلقة خلف الباب مفيدة جداً في توفير المساحة المطلوبة، أما أدوات التعليق التي تحتل جزءاً من الحائط، فتشجع الطفل على تعليق أغراض الرياضة واللعب الخاصة به، كما أنه يمكن استخدام سبعة أكياس من القماش الملون بعدد أيام الأسبوع، بحيث توضع في كل كيس الملابس الخاصة بهذا اليوم، ويتم تعليقه في الخزانة.

♦ استخدم العلب والألوان .. هناك علاقة بين الألوان والترتيب، فالعلب والسلال الملونة، تسهل عمليتي التصنيف والترتيب للأم والطفل، بل تعطي روحاً طفولية للغرفة، لذا يمكن الاستعانة بالسلال الملونة الجاهزة، هذا بالإضافة إلى إمكانية تلوينها في المنزل، وذلك عن طريق رشها بالصبغ، ولكن تأكد من خلوها من مادة الرصاص السامة.

♦ اجعل فكرة التعاون والمشاركة في إنجاز عمل ما مع مجموعة يكون طفلك واحداً منها، وهنا يعرف أهمية التعاون وقيّمته في إنجاز الأعمال وترتيب الأشياء.

♦ يجب ألا تفوق قواعد النظام قدرات الابن، لكي يكون النظام واقعياً ومقبولاً، وكما نعلم فكل طفل قدراته المختلفة عن الآخر، ولكل ميوله وإمكانياته، فإذا كلفت طفلك باتباع نظام قاسٍ فوق طاقته؛ فسيعمد هارباً إلى الفوضى المريحة.

♦ أحياناً يمكن ترك الطفل ليكتشف بنفسه مساوئ عدم تطبيق النظام؛ ليفهم من ذلك أهمية تطبيقه، فمثلاً إذا كنت تعاني من أن أطفالك لا يعيدون الأشياء إلى مكانها؛ فدعهم يبحثون عنها بأنفسهم، وأعلمهم أن هذا الوقت الذي يضيع في البحث سيقطع من وقت لعبهم وليس من وقت دراستهم.

♦ اكتساب مهارة التنظيم في كل الأعمال، فالنظام لا يعني فقط غرفة مرتبة، وخزانة نظيفة، ولكنه يعني أيضاً: التفكير بنظام، والاستفادة من الوقت بنظام، وكل هذا يكتسبه الطفل بالممارسة، والصبر من قبل الوالدين، فالطفل منذ ولادته في حاجة إلى أن نعلمه النظام، فهناك نظام غذائي يُتبع لإطعامه، وهناك نظام لنومه، ونظام لأداء واجبه.

♦ تعليم الطفل طريقة ترتيب أفكاره .. فلا بد أن نعلمه الخطوات منذ بداية صياغة تلك الفكرة في الدماغ، ومن ثم تدوينها أو رسمها، والبحث عما سيساعده على القيام بها، والانتهاء منها.^(١)

(١) من مصادر البحث

تناذر فرط الحركة وقلة الانتباه عند الأطفال

الأطفال الذين يعانون من فرط النشاط الحركي ليسوا أطفالاً مشاغبين، أو عديمي التربية، لكنهم أطفال عندهم مشكلة مرضية لها تأثير سيئ على تطورهم النفسي، وتطور ذكائهم وعلاقاتهم الاجتماعية .. ويقصد بـ «تناذر فرط الحركة»: الزيادة المفرطة في حركة الطفل مع صعوبة التحكم فيها، ويصاحبها عدم القدرة على الاستقرار أو التركيز أو تثبيت الانتباه.

وهذه الحالة تصيب الصبيان أكثر من البنات بحوالي ٦ أضعاف، وتصل نسبة انتشارها ٣ - ٥ % من الأطفال عامة قبل سن البلوغ، بينما أظهرت دراسات أخرى نسباً أعلى، حيث أظهرت دراسة في المدارس الابتدائية أن ١٧ % من الأولاد و ٨ % من البنات تنطبق عليهم أعراض قلة التركيز وفرط الحركة. وتنخفض هذه النسبة في فئة المراهقين لتصل إلى ١١ % الأولاد، و ٦ % في البنات.

ويتقبل أفراد الأسرة هذه الأعراض إلى أن يصل الطفل إلى سن المدرسة وحينئذ تصبح ظاهرة مرضية تستحق العلاج، حيث تكمن المشكلة

- الفوضوي المستفز .. كيف نجعله قنوة؟ أسماء جبر أبو سيف .. إسلام أون لاين
- كيف تضبطين طفلك في ٦٠ دقيقة؟ د. مصطفى أبو أسعد
- مناهج التربية محمد الخطيب

في عدم قدرة الطفل على السيطرة على تصرفاته، وتدهور أدائه الدراسي بسبب عدم قدرته على التركيز وليس لأنه غير ذكي.

بين الطبيعي والمرضي شعرة

ليس كل طفل كثير الحركة -من وجهة نظر والديه- هو مريض، فحركة الأطفال قد تكون دليلاً على الحيوية والنشاط، خاصة لأولئك الصغار الذين بدءوا حديثاً في المشي وغمرتهم السعادة في اكتساب مهارة جديدة، وهي المشي والجري والوصول للأشياء .. فنرى الطفل يجري هنا وهناك، ويستكشف هذا المكان أو ذاك. وقد تكون الحركة الكثيرة داخل الفصل الدراسي إشارة إلى ارتفاع معدل الذكاء لأولئك الصغار الذين يقيدهم منهج دراسي موجه لمتوسطي الذكاء.

وبعض الأمهات يشتكين من حركة أطفالهن الزائدة، وحينما يتم تقييم هؤلاء الأطفال يتضح أن حركتهم لا تزال في الحدود الطبيعية، لكن تحمل أسرهم لهم ورحابة صدورهم تجاههم قد تكون ضيقة، وقد يكون ذلك لوجود عوامل خارجية، مثل: ضيق المنزل، وعدم وجود أماكن مناسبة ينفس الأطفال فيها عن نشاطهم الطبيعي، وربما يرجع ذلك إلى عدم وجود وسائل تسلية وألعاب مناسبة يفرغ الأطفال فيها طاقاتهم الطبيعية. كما قد يعبر الأطفال عن إحساسهم بالكآبة وإحباطاتهم وعدم استقرارهم الأسري والعاطفي بالحركة الزائدة .

الأعراض والمظاهر

• أعراض فرط الحركة: يكون الطفل كثير الحركة .. لا يهدأ أبداً، ولا يستطيع اللعب بهدوء وصمت .. يلعب لفترة قصيرة بلعبه، وينتقل بسرعة من عمل إلى آخر .. كما يجد صعوبة بالغة في البقاء ساكناً في المواقف التي تستلزم الثبات، كأوقات الحمام والاستحمام وتناول الغذاء وأثناء ارتداء الملابس.

• أعراض الاندفاع والتهيج: فنجد الطفل يسرع في الإجابة على السؤال حتى قبل أن ننتهي من طرحه .. لا يتوقف عن الكلام ويقاطع الآخرين .. لا يحتمل انتظار دوره في اللعب، أو أي أمر آخر يستلزم الانتظار .. يأخذ الأشياء من بقية الأطفال دون الاكتراث لمشاعرهم.. يزرع الهلع بين رفاقه إذ يهددهم بواسطة أداة حادة كالمقص .. غير ناضج اجتماعياً، وأصدقاءه قلائل وسمعته سيئة .. يندفع إلى ألعاب خطيرة دون أن يقدر عواقبها، وليس حبا في المغامرة .

• أعراض ضعف الانتباه: يلاحظ أن الطفل لا يعير اهتمامه للتفاصيل .. يكرر أخطاءه المدرسية رغم التنبيه .. إذا قرأ نصاً لا يذكر بدايته ممل يثير سخرية رفاقه .. لا ينجز ما يطلب منه بشكل كامل .. يجد صعوبة في إتباع التعليمات المعطاة له .. يجد صعوبة في تركيز ذهنه على لعبة معينة، أو كلام موجه له من المعلمة أو أمه .. يبدو دائماً غير مصغٍ لما يقال له، ويتكلم في أوقات غير ملائمة .. من السهل شد انتباهه لأشياء أخرى غير التي يقوم بها .. دائماً مشوش وينسى أو يضيع أشياءه الضرورية .. يصفه مدرسه بأنه غير متكيف أو غارق بأحلام اليقظة.

المشكلات النطقية واللغوية

يلاحظ على الأطفال الذين يعانون فرط الحركة أو النشاط الزائد مشاكل لغوية مختلفة تتمثل في ما يسمى بـ «التأخر اللغوي» وصعوبات في فهم واستيعاب اللغة المحكية وصعوبة في النطق. ويمكن تقسيمها إلى مستويين:

- مشاكل لغوية على المستوى الاستيعابي والإدراكي

- مشاكل لغوية على المستوى الإصداري أو التعبيري.

المشاكل اللغوية على المستوى الاستيعابي والإدراكي:

وتتمثل هذه بشكل أساسي في صعوبة فهم واستيعاب اللغة المحكية، حيث يؤدي ذلك إلى جعل من يتعامل مع هؤلاء الأطفال - مثل الأهل والأصدقاء والمدرسين- يظنون أن مستوى ذكاء الطفل منخفض، أو أن الطفل يعاني مشكلة في السمع، لأن الطفل يقوم بعمل أشياء غير التي طلب منه عملها. ولعل السبب في ظهور هذه المشكلة يكمن في بعض الأعراض المرافقة لمتلازمة فرط النشاط، ومنها «ضعف التركيز» الذي لا يساعد هؤلاء الأطفال على الاستفادة من المثيرات من حولهم، وكذلك عدم قدرتهم على متابعة معلومة سماعية للنهاية، وعدم الالتزام بالأوامر اللفظية.

فمثلاً: قد يطلب الوالد من ابنه أن يقوم بإعطائه مفتاح الباب، إلا أن الطفل قد يقوم بفتح الباب بدلاً من إحضار المفتاح لوالده. والسبب يكمن في أن ضعف التركيز لدى الطفل وعدم قدرته على متابعة المعلومة السماعية

لوالده للنهاية، أدى به إلى فتح الباب عوضاً عن جلب المفتاح .. فالطفل هنا سمع كلمة «باب» فقام بعمل أقرب شيء تبادر إلى ذهنه وهو «فتح الباب»، بينما لو أنه قام بالتركيز على ما قاله والده لتمكن من تنفيذ الشيء المطلوب منه بنجاح.

وينتج عن ذلك -أيضاً- تأخر لغوي، نتيجة قلة استفادة هؤلاء الأطفال من المثيرات السمعية التي تشكل اللبنة الأساسية لنمو اللغة عندهم في مرحلة اكتساب اللغة.

فالطفل يتكلم اللغة التي يسمعها من البيئة المحيطة به. وتعتبر المدخلات السمعية التي يسمعها الطفل من والديه والمحيطين به أساساً للغة الطفل، وتؤثر في اكتسابه للمفردات اللغوية، وكذلك في قدرته على فهم ما يقال وتحليله، لتأتي بعد ذلك مرحلة إصدار الكلام.

فمثلاً لو طلب من طفل عادي لا يعاني «متلازمة فرط الحركة» ذكر مسميات لمجموعة من الأشياء أو الحيوانات التي سبق أن ذكرت له لتمكن من ذكرها كلها أو معظمها، بينما قد لا يتمكن الطفل الذي يعاني فرط الحركة من تسمية نصفها للأسباب التي تم ذكرها سابقاً. ونتيجة لذلك يحدث التأخر اللغوي عند ذلك الطفل.

المشكلات اللغوية على المستوى الإصداري أو التعبيري:

تعتبر المشكلات الإصدارية من المشكلات الأساسية التي يعانيها أطفال «فرط الحركة والنشاط الزائد». وتشكل عدم القدرة على نطق بعض الأصوات اللغوية أهم هذه المشكلات.

وتكمن هذه المشكلة في عدد محدود من الأصوات التي لا يستطيع الطفل نطقها كصوتين أو ثلاثة، أو قد تتعدها إلى مجموعة أكبر من الأصوات اللغوية، ويمكن في هذه الحالة ملاحظة أن هذه الأصوات التي لا ينطقها الطفل تدرج ضمن مجموعات، سواء من حيث مكان إصدار الصوت: كأن تكون الأصوات حلقية أو شفوية، أو من حيث طريقة الإصدار: كأن تكون الأصوات مجهورة أو مهموسة، احتكاكية أو انفجارية. فمثلاً قد نجد أن الطفل لا يستطيع نطق الأصوات التالية: (ت، د، س، ش، خ، ف، ن، ز). وهذه الأصوات يمكن تقسيمها إلى مجموعتين: المجموعة الأولى (ت، د، س، ن، ز) وهي أصوات لثوية أسنانية من حيث مكان الإصدار. المجموعة الثانية: (س، ش، خ، ف، ز) وهي أصوات احتكاكية من حيث طريقة الإصدار.

الأداء الوظيفي للغة

يواجه هؤلاء الأطفال العديد من المشكلات على مستوى الأداء الوظيفي للغة الذي يرتبط ارتباطاً مباشراً بالسلوك الاجتماعي للطفل، والذي يقوم بواسطته الطفل باستخدام اللغة للتعامل مع الآخرين. فيلاحظ مثلاً- أنه يبرز عند هؤلاء الأطفال الانتقال اللا منطقي من موضوع لآخر، وصعوبة بدء أو إنهاء الحديث، وصعوبة رد التحية أو

البدء بها، وكذلك صعوبة في عمل صداقات، واستخدام جمل قصيرة .. وغيرها من المشاكل الأخرى.^(١)

الأسباب مجهولة

الأسباب الحقيقية وراء هذا المرض مازالت لغزا يحير العلماء، إلا أن البعض يرى مجموعة من العوامل قد تسبب في حدوثه من أهمها:

- اضطراب في المواد الكيماوية التي تحمل الرسائل إلى الدماغ، حيث يعتقد الباحثون أن هناك نقصا في مادة «الدوبامين» التي تعمل كناقل عصبي، وبنقصها تضطرب عملية النقل العصبي إلى بعض أقسام الدماغ، وخاصة الفص الأمامي الذي يتم فيه ضبط كثير من السلوكيات والتصرفات؛ وهو ما يؤدي إلى اضطراب وفوضى في التحكم في كثير من الحركات، ونقص في الانتباه، وتشوش في التركيز، وزيادة في الشرود.
- العامل الوراثي .. فإذا كان أحد الوالدين مصابا فقد يصاب الأبناء، أي أن هذا النقص في مادة «الدوبامين» هو من أصل وراثي في حوالي ٩٥ % من الحالات، ومما يدعم هذه النظرية، أن الحالة موجودة عند آباء هؤلاء الأطفال بنسبة ٣٥ % من الحالات، وعند أمهاتهم بنسبة ١٧ % من الحالات.

(١) اضطراب فرط الحركة وتشتت الانتباه والمشاكل اللغوية المرافقة له .. غدير إبراهيم الحارس/مجلة المعرفة/السعودية/ العدد ١٦٣

● بعض الدراسات الحديثة تشير إلى أن قلة النوم عند الطفل على المدى الطويل قد تكون سببا في هذه الحالة، كما عند الأطفال المصابين بتضخم اللوزات.

● النساء اللاتي يعانين من القلق أثناء فترة الحمل، يتضاعف لديهن فرصة ولادة أطفال يعانون من فرط النشاط.

● أما الأسباب العامة لفرط النشاط لدى الأطفال، فهي متعددة؛ فقد تكون طبية: كالأنيميا المزمنة، والأنيميا الوراثية، وضعف الغدة الدرقية، ونقص السكر في الدم، والتسمم بالرصاص، والإصابة بالطفيليات، وضعف النظر والسمع، وإصابات بالمخ (أثناء الحمل – الولادة)، والحوادث التي تؤثر على الجمجمة.

وقد تحدث نتيجة إصابة الطفل بالأمراض المعدية، خاصة الأمراض التي تؤدي إلى إصابة المخ مثل: الحمى الشوكية، والحميات المختلفة التي قد تؤثر في المخ إذا لم تعالج في الوقت المناسب بالعلاج السليم. وتعد الأمراض النفسية الناتجة عن تفكك الأسرة، أو التعرض لحوادث خطيرة، أو مواقف مؤلمة ... عوامل مؤدية إلى إصابة الطفل بفرط النشاط الحركي.

● قد تتسبب بعض الأطعمة والمواد الحافظة في تطور وزيادة المرض لدى الأطفال المصابين، لذا ينصح بتزويد الطفل بغذاء صحي خالٍ من الصبغات الصناعية للمواد الحافظة.

التشخيص ليس سهلا

بشكل عام فالمرض ليس سهل التشخيص، لأنه كثيراً ما تطلق الأمهات جملة «ابني كثير الحركة» ولا تعني بها إلا الحركة الطبيعية التي تنسم بها هذه المرحلة العمرية، ولكي نحكم على مشكلة طفل بأنها «فرط حركة مرضية» فيجب أن تعرقل هذه الحركة نشاطه كله، بحيث لا يستطيع الاستمرار في أي نوع من الأنشطة سواء كان لعباً أو كلاماً مع زملائه أو جلوساً إلى درس .. بمعنى أنه إذا كان الطفل قادراً على التواصل مع زملائه، أو قادراً على الجلوس على لعبته الشيقة، أو متفاعلاً مع أمه في البيت دراسياً، فإنه لا يشخص مريضاً بفرط الحركة، بل نعتبر حركته في الحدود الطبيعية، ونحتاج إلى أن ندرس الأسباب الموضوعية لحركته، والتي هي في الغالب دالة على ذكائه وفضوله ورغبته في البحث فيما حوله.

إضافة إلى ذلك فإن صعوبة التشخيص قد تنتج من أن «فرط النشاط» هو من الأعراض المصاحبة للعديد من الاضطرابات التطورية (أي التي تحدث في الطفولة وأثناء النمو)، مثل: التأخر العقلي، الصرع، صعوبات التعلم، التوحد، سوء التغذية .. وغالبا عندما يشك الطبيب في التشخيص فإنه يجري تخطيط كهربية المخ «رسم مخ» للحالة لاستبعاد بعض الأمراض المتشابهة كالصرع، وقد يحتاج الطبيب لأشعة مقطعية للمخ لاستبعاد وجود أورام مخية قد تكون السبب، ومما يؤكد تشخيص المرض:

١ - بدء الأعراض يكون قبل عمر السبع سنوات.

٢ - الأعراض الحالية عمرها أكثر من ستة أشهر.

٣- نفس الأعراض تتكرر في البيت والمدرسة.

٤- الأعراض تتفاقم وتؤدي إلى عقبات اجتماعية، مدرسية وشخصية.

العلاج دوائي ونفسي

- لا يوجد علاج شافي ونهائي للمرض .. ويشمل العلاج الدوائي تناول العقاقير التي تحفز إنتاج المنبهات العصبية «الدوبامين» و «النورأدرينالين». وهذه العقاقير من فئة «الأمفيتامينات» والمصنفة في خانة المخدرات، وتعمل على قدرة التيقظ والتي بدورها تتحكم بالانتباه كما وباقي الوظائف المعرفية، كالتركيز والذاكرة ... بالمقابل يؤدي مفعولها المنشط إلى تهدئة التملل النفسي الحركي.

إلا أن هذا النوع من الأدوية ذات تأثيرات جانبية خطيرة، منها: الإدمان، ومخاطر قلبية وعائية.. لهذا وضعت عدة قوانين مقيدة لاستعمالها. - بعد دراسات عدة شملت مئات الأولاد الذين يعانون من فرط النشاط. تم التأكد من أن ٨٠% من هؤلاء يعانون من نقص في الحديد. حيث يلعب الحديد دورا أساسيا في تخليق «الدوبامين». لذلك من المهم جدا قياس معدل الحديد في الدم. فإن كان متدنيا يتم تزويد الطفل صباحا -وعلى الريق- بحصة الحديد المطلوبة في صورة مكملات الحديد الصيدلانية.

- في بعض الحالات يمكن إضافة «المعالجات النفسية»، كأن نحاول أن نعطي للطفل لعبة القوالب الخشبية لحوالي ١٥ - ٢٠ دقيقة، فإذ ركز معنا في هذا الوقت، نجرب أن نلعب معه «لعبة فريز» باستخدام الساعة،

حيث يقف فريز «متجمد» لبضع ثوان، ثم نزيد بالوقت تدريجيا، فهذا يساعد على التركيز أكثر.

- دور الأهل في العلاج مهم جدا، ويكون عموما بوضع جدول يومي للطفل يساعد على تنظيم حياته اليومية، فمثلا نحدد للطفل الوقت الذي يستيقظ فيه، ومتى يجب عليه أن يعود من المدرسة، ومتى وقت التلفاز ... وهكذا.

- يمكن أن نشركه بنشاط وبرنامج رياضي، مثل: السباحة أو الكاراتيه، حتى ينمي مهاراته الحركية ويوجهها التوجيه السليم، ومن المهم أن لا نترك الطفل وحده في أماكن يجدها مناسبة ليأخذ حرته، مثل: «الحدائق العامة».

- حديثا، أجريت دراسة علمية تناولت الأطفال الذين يعانون من كثرة الحركة وقلة الانتباه من البيت، وتأثير خروجهم إلى الأماكن الخضراء - مثل الحدائق والبساتين أو الأماكن الزراعية- على سلوكهم. وقد جددت الدراسة أن خروج الأطفال إلى هذه الأماكن الخضراء يحسن بشكل ملحوظ وجيد سلوكهم مقارنة بسلوك الأطفال الذين لا يخرجون من البيت أو يعيشون في أماكن قليلة الخضرة.

الجرعة الخضراء ليست عقارا أو نباتا، بل هي خروج من البيت إلى الساحات الخضراء كالحدائق يوميا - بعد العصر مثلا - ولو لمدة بسيطة.. هذه الجرعة الزهيدة الثمن قد تحسن من سلوك الطفل وتمنحه نوما هائنا دون تناول جرعة الدواء المسائية.

إن زيادة المساحات الخضراء في حياة الطفل يؤدي إلى استقرار عصبي مريح، مثل: مشي الطفل إلى المدرسة في طريق تحفه الطبيعة الخضراء، أو أن يلهو ويلعب في حديقة خضراء، أو في ملاعب المدرسة الخضراء المزروعة أشجاراً ونباتات مختلفة، وألوان وروائح عطرية طبيعية مختلفة.. قد يكون هذا عاملاً مساهماً في تخفيف أعراض تشتت الانتباه لدى الأطفال.

إن اللجوء للطبيعة الخضراء كعلاج مريح للجهاز العصبي ليس بغريب، بل هو واضح في سلوك أهل الريف الطيبين والمزارعين الهادئين. - استخدام أسلوب الثواب والعقاب من أنفع الوسائل العلاجية، ويكون باستخدام شيء يشد انتباه الطفل، مع تلازم الثواب للأداء الجيد؛ بمعنى أن يتبع الأداء الجيد مباشرة بالجائزة، وتمنع الجائزة في حالة عدم الالتزام بالأداء.

إضافة إلى الحزم في تطبيق هذا النوع من العلاج، يجب الابتعاد عن العقاب الجسدي تماماً، وأفضل ما نفعله كأب أو كأم عندما يقوم طفلك بتصرف خطأ هو تجاهل الأمر والعودة لمناقشته مع الطفل عندما يهدأ.

- في المدرسة فيجد الطفل كثير الحركة صعوبة كبيرة في التأقلم مع قوانين المدرسة، ولذلك من الضروري أن نشرح وضع الطفل لإدارة المدرسة بحيث تقدم له المساعدة، ويفضل إبقاء الطفل المصاب ضمن مجموعات صغيرة من الطلاب وليس ضمن أعداد كبيرة، علماً بأن الطفل

المصاب بكثرة الحركة ونقص الانتباه ليس لديه نقص في الذكاء ويستفيد من الدروس القصيرة أكثر مما يستفيد من الدروس الطويلة.

- ينبغي مراعاة التذبذب في الأنماط السلوكية عند العديد من الأطفال الذين يعانون اضطراب الانتباه والحركة الزائدة. فقد يسلك الطفل سلوكًا ملائمًا في يوم ما، في حين يكون سلوكه في اليوم التالي مغايرًا لما كان عليه باليوم السابق، وقد يقوم بأداء واجباته المدرسية بشكل كامل في يوم ما، ولا ينجزها في اليوم الآخر. لذلك لا بد من عدم التردد أو التذبذب في اتباع الخطة العلاجية للطفل، أو التنقل في عرض المشكلة على أفراد غير مختصين مما يؤدي إلى الشعور بالإحباط.

إن الحالة الصحية والعصبية للطفل تتغير من يوم لآخر وذلك بسبب تأثيره بالضغوط النفسية والعصبية وكمية الطعام والشراب وكمية النوم والتغيرات البيئية والأدوية التي يستخدمها.. لذلك لا بد من أخذ جميع هذه العوامل بالاعتبار عند التعامل مع هؤلاء الأطفال.

الطفل العصبي .. عنف وتمرد

العصبية لدى الأطفال تختلف مظاهرها من طفل لآخر، ويمكن تعريفها بأنها خلل انفعالي وسلوكي يعكس حالة عدم الاتزان الداخلي للطفل .. وتُولد عصبية الطفل -كما يخبرنا أهل الاختصاص- مع الأيام: الأنانية، وحب الذات، وتلاشي تجانسه واندماجه في محيطه الأسري خاصة والاجتماعي عامة.

المظاهر السلوكية

كثرة البكاء «الزن» المستمر بسبب وبدون سبب واضح أحياناً، التمرغ على الأرض، الصراخ المزعج، خبط الرأس في الجدار أو الأرض، التشبث بلعبة أو قطعة حلوى في المحلات التجارية، عدم الرغبة في الدخول للمنزل أو العكس، البكاء والنحيب والصراخ المستمر، وقد تظهر عصبية الطفل في اعتدائه بالسب أو الضرب لأقرانه أو لمن هم أصغر أو أكبر منه سناً، وكثيراً ما يقع الأهل في مواقف حرج شديدة نتيجة لعصبية طفلهم.

وعموماً تأخذ مظاهر عصبية الطفل صورة: انعدام الاستقرار، والحركات العصبية، وأحلام اليقظة، وسهولة الاستشارة والبكاء والثورة والغضب لأقل سبب، والتشنجات العصبية الهستيرية.

وهناك بعض الأطفال تظهر عليهم بعض الأعراض العصبية الواضحة في حركة لاشعورية تلقائية غير إرادية، مثل: قرض الأظافر، أو

كثرة رمش العين، أو تحريك الرأس جانبا، أو مص الأصابع، أو عض الأقلام .. أو غيرها من الحركات اللاشعورية. وهذه الحركات هي حركات عصبية لا إرادية مرجعها التوتر النفسي الشديد الذي يعاني منه الطفل.

كل هذه صور مختلفة لاضطراب سلوكي واحد هو «العصبية»، وغالبا ما تنشأ هذه العادة في فترة يكون الطفل فيها مضغوطا نفسيا لأي سبب ما، كحالات: الاضطراب الأسري، أو قدوم طفل جديد، أو تغيير الحضانة أو سفر الأب...

وأحيانا كثيرة تنشأ هذه العصبية بالصدفة .. أي أن الطفل يكتشفها بالصدفة ثم يعتاد عليها حتى بعد انتهاء الضغوط النفسي، ويستمر مع الطفل تعوده عليها، ويكون تخلصه منها صعبا، حيث يمارسها غالبا عندما يكون غير منشغل بشيء أو عندما يشعر بالقلق أو الخوف أو التوتر.

الأسباب خارجية وداخلية

فإذا بدأنا بالخارجية وتحديد ما يخص الآباء وباقي أفراد الأسرة، فإن الأسرة بشكل عام تؤثر في شخصية الطفل تأثيرا كبيرا بلا شك، فنوع العلاقات السائدة في الأسرة -بين الأبوين، وبينهما وبين الأطفال- تحدد إلى مدى كبير نوعية شخصية الطفل.

فالطفل يتفاعل مع مجتمع الأسرة أكثر من تفاعله مع أي مجتمع آخر خصوصاً في السنوات الأولى من عمره، ولا ينفصل في مشاعره عن الأسرة. بل إن الطفل يكون رؤيته لنفسه من واقع علاقاته بالأسرة، فقد يرى نفسه محبوبا ومرغوبا فيه فينشأ راضيا عن نفسه، أو على العكس غير

محبوب ومنبوذ، فينشأ غير راضٍ عن نفسه وغير واثقٍ بها، فتسود حياته النفسية التوترات والصراعات التي تتميز بمشاعر الضيق والعصبية ومشاعر الذنب والقلق والنقص والرثاء للذات والاكتئاب والضجر.

ويرى بعض العلماء أن أهم أسباب عصبية الأطفال وقلقهم النفسي ترجع إلى الشعور بالعجز والشعور بالعداوة والشعور بالعزلة، كنتيجة لحرمانهم من الدفء العاطفي في الأسرة وعدم إشباع حاجتهم إلى الشعور بالحب والقبول، وإلى سيطرة الآباء التسلطية وعدم إشعار الطفل بالتقدير، ومن أمثلة ذلك: قسوة الآباء، أو تفريقهم في المعاملة بين الأخوة، أو بين الولد والبنت.

كما ترجع عصبية الطفل إلى التعقيدات البيئية وتناقضاتها بما فيها من غش وخداع وقسوة: كعدم وفاء الآباء بوعودهم للأطفال، أو حرمانهم من الحاجات الضرورية.

بل إن تعدي الطفل باللفظ على الوالدين يأتي كنوع من أنواع الرد - الغير مقبول طبعا- ولكنه في الحقيقة نوع من أنواع إثبات الذات عند الطفل، فيسب ويشتم ويتطاول، وهو بالحقيقة يريد أن يقول: «أنا هنا».

ولا يفوتنا أن نشير إلى دور عصبية أحد الوالدين أو كليهما، فأطفالنا مرآة لأنفسنا كأباء وأمهات، وكما نكون في الطباع هم غالبا يكونون .. إن عصبية الأبناء -بلا شك- هي محاكاة لما يرونه حولهم، وللأسف فنحن بعصبيتنا نعلم أبناءنا أن الغلبة للعصبي.

فكم من مرة – عزيزي الأب- فرضت عليهم رأيك ودفعتهم دفعًا لفعل ما تريد، فقط لأنك لجأت للعصبية؟ .. إنها مرات كثيرة بلا شك، وقد كانت كفيلة لأن يدركوا بشكل غير مباشر أن الغلبة للأعلى صوتًا أو الأعنف أو الأكثر عصبية.

إن الصراخ ليس إلا إعلانًا عن العجز.. نعم، فالصراخ وجه آخر للعجز؛ فحين نعجز عن التفاهم وننفذ كل أساليبنا الودية نصرخ بشكل أو بآخر، وحين لا نجد من نصرخ فيه ويحتمل هذا الصراخ، لا يكون أماننا أسهل من صغير عاجز عن رد صراخنا، وعاجزًا عن أن يواجهنا بقوله: «انظر لنفسك أولاً».

أما أسلوب الطفل في رد الصراخ فإنه صراخ مماثل، وعناد ورفض لكل طلب أو أمر، بل تحفز لكل مناسبة يمكنه منها استثارته، بل والعدوان عليك وعلى غيرك أيضًا.

- أيضا هناك بعض الضغوط النفسية في الأطفال تميزهم بالعصبية وسهولة الاستثارة، مثل: الإحباط الدراسي نتيجة لحشو المناهج الدراسية بما لا يفيد هؤلاء الأطفال من عمر الروضة وحتى الشهادة الابتدائية، بل ويضرهم، لأنهم بحاجة إلى اللعب في هذا العمر أكثر من حاجتهم لدراسة العلوم النظرية، والتي من السهل تحصيلها لاحقًا.

- كذلك بعض أنواع الطعام قد تساعد الطفل في أن يكون عصبيا جدا، كالحلويات والشيكولاته والسكريات المصنعة عموما إذا تناولها الطفل

بصورة مفرطة، وبعض من الأهالي يعطون الأطفال قليلا من الشاي حتى يساعدهم على التنبيه وهذا معتقد خاطئ بالطبع.

(الأسباب الداخلية) .. وهي العوامل التي تخص الطفل نفسه، وترجع إلى الأسباب التالية:

- «ضعف الانتباه»: والذي قد يؤدي إلى إحساس الطفل بعدم قدرته على مسايرة من هم في سنه سواء في التحصيل الدراسي أو اللعب، وهذا يجعله في ضيق شديد يبدو على شكل أعراض عصبية، وتظهر هذه العصبية جلية في البيت وبالأخص مع أفراد الأسرة، فهو يعبر بهذه الطريقة كرد فعل لعدم استطاعته التعبير عن قلقه ومخاوفه.

فضلا عن إننا كأباء نتمنى أن يكون أطفالنا أذكى الأطفال وأكثرهم نباهة وتركيزا، وربما ندفعهم بقوة في هذا الاتجاه، فيصبح همًا يتعب أطفالنا ويؤدي بهم إلى حالة عكسية تماما من العصبية والتمرد، وربما تصاحبت مع عدم الاهتمام واللامبالاة، فالطفل لا يمكن أن يكون آلة نشكلها ونديرها كيف نشاء.

- شعور الطفل الدائم بأنه يستطيع أن يقوم بكثير من المهام التي لا يسمح بها الآباء له، فيثور على القيود الوالدية المفروضة عليه، ويغضب لأنه يجد نفسه عاجزا عن أداء ما يعتقد أنه قادرا على أدائه بسهولة ونجاح. وعلى العكس قد يكون السبب في مطالبة الطفل بما يفوق قدراته، فنطلب منه -مع صغره- ما نحسبه هيئًا وهو عنده شاق، فيتعرض لزيادة

الاستجابات المعارضة لديه، وينشأ لديه عدوانية وعصبية نتيجة للإحباط وعدم القدرة على مواكبة ما يطلب منها.

- «التعب والإرهاق»: الذي يشعر به الطفل من طول فترات النشاط الزائد ورفضه للنوم والراحة. أو تناول مقدار أقل مما يحتاجه من الطعام نتيجة الثورة على النظام الثابت لوجبات الطعام، وهي مشكلة شائعة في سنوات الطفولة.

- التوحد، الطفل المعارض المحتد، اضطرابات التواصل والتي غالباً ما تتحول بعد عمر الثمانية عشر إلى اضطراب الشخصية المستهينة بالمجتمع (أو اضطراب الشخصية عدوة المجتمع)، اضطرابات عدم السيطرة على الاندفاعات .. وكل نوعية من هذه الاضطرابات لها أسبابها وعلاجها عند المختصين، ولكن يبقى الاضطراب السلوكي في صورة «سهولة الاستثارة والعصبية» من الأعراض المشتركة بين تلك الاضطرابات.

- بعض العوامل والأمراض العضوية التي قد تسبب عدم استقرار الطفل وعصبية: كاضطرابات الغدد (اضطرابات الغدة الدرقية وازدياد إفرازاتها عن الحد الطبيعي)، سوء الهضم، التهابات الزوائد الأنفية واللوزتين، الإصابة بالديدان. أيضاً بعض الأمراض المزمنة العضوية لدى الأطفال: كالربو بأنواعه، الأورام، الصرع بأنواعه، أمراض الدم، بعض أمراض القلب الخلقية والروماتيزمية، السكري، بعد حوادث الطرق وما يتبعها من إصابات بالرأس .. وغيرها الكثير من الأسباب العضوية.

ولذلك قبل أن نقرر أن أسباب عصبية الطفل هي أسباب نفسية يجب التأكد أولاً من خلوه من الأمراض العضوية التي تؤثر على نفسية أو صحته العامة، فإن وجد سليماً من الناحية الجسمية تكون أسباب عصبية في البيئة الاجتماعية التي يعيش فيها، وأحيانا تكون الأسباب مزدوجة: أي أسباب صحية جسمية وأسباب نفسية في ذات الوقت، تقع جذورها في شخصية الأب والأم ومن يتعامل منهم مع الطفل.

منارات عملية

التخلص من عادة معينة ليس أمراً سهلاً، فحتى الكبار يعانون إذا ما حاولوا التخلص من عادة رتيبة، ولكن بالوقت والصبر يمكن أن تساعدوا طفلكم في التغلب على عادته السيئة؛ ولأن مشوار التغيير والإصلاح يحتاج إلى مفاتيح بداية، فإليك أهم هذه المفاتيح لدرء الغضب قبل حصوله، واحتوائه قبل تطاير شرره:

- تعامل بهدوء قدر الإمكان مع «عصبية طفلك» دون إعطائها اهتماماً شديداً، ومن المهم عدم الاستجابة لطلبات الطفل وهو في حالته العصبية، وبمجرد التوقف عن سلوكه العصبي نقدم له ما كان يريد إن كان ذلك ممكناً، وإلا سيصبح هذا السلوك (من بكاء ونحيب وزن وعنف وصراخ .. وغيرها) هو السلوك المتبع من الطفل حتى يحصل على كل ما يريده، وتصبح حياة الوالدين سلسلة من المعاناة والجحيم.
- عندما يغضب ابنك فلا تحاول إلهائه عن غضبه أو إسماعه صوت العقل؛ فهو عند غضبه لا طاقة له بالاستماع لصوت العقل والمنطق، كذلك

لا تحاول إسكاته بالضرب كيلا تكون كمن يطفئ النار بالبنزين، بل أفهمه أن هياجه أمر لا مهرب منه، ولكنه لن يجدي نفعاً، فدعه يرغي ويزبد ليتأكد أنه مسموح له بالغضب، لكن لن يؤثر هذا الغضب في سلوكك أو موقفك. فامتنع -مثلاً- عن الكلام معه واتركه وارقبه ببرود.

■ لا تحاول الدخول في صراع مع أحبابك، وإذا دخلت في صراع مضطراً فلا ينبغي أن تطيل أمده، بل حاول إنهائه فوراً.

■ السلوك المتزن .. بمعنى ألا يظهر كلا من الوالدين والإخوة الأكبر عمراً أمام الطفل تلك السلوكيات العصبية: كالصراخ المستمر في البيت بين الزوجين، أو بكاء الأم، أو ضرب الأب للأطفال مع السب والشتم، أو اعتداء الإخوة بعضهم على بعض سبا وشتما وضرباً بالبيت في وجود أو غياب الوالدين .. وغيرها من سلوكيات العصبية والعنف .. كذلك لا بد من تعاون وتفاهم وتناغم علاقة الوالدين بعضهما البعض، فإذا حدث توتر في العلاقة بين أحدهما وبين أبنائكم؛ فلا يجلس الآخر في سلبية، أي على الوالد أن يتدخل فيصلح فوراً بين الأم والأبناء، والعكس بالعكس.

■ حددوا معاييركم .. أي أن تجتمع الأسرة كلها وتتشاور معا على وضع المعايير الخاصة بالأسرة، وهي الحدود التي يجب على الجميع - وأولهم الآباء والأمهات- أن يحترموها ولا يخترقوها.

■ علينا ألا نفرط في توقعاتنا بالنسبة لأطفالنا، خاصة مقارنة بغيرهم؛ فلكل طفل طبيعة خاصة جداً كبصمة الأصابع لا تتكرر، وثرء البشر في تفردهم .. علينا أن نعرف متى نتدخل؟ ولماذا نتدخل؟ وكيف نتدخل؟

ولإيجازها لك نقول: «خذ الطريق الأيسر والأقرب والأكثر أماناً.. لا تضع لطفك إلا قوانين الحلال والحرام، ثم الأمان، وما عدا ذلك اترك له الحرية حتى لا تربكه بكثير من القوانين، بل وتربك نفسك ضمن متاهات النظريات التي لم نجد كمالاً فيها».

■ معرفة السبب، إذ يجب أن يركز الأبوان على معرفة سبب العادة السيئة بدلا من التركيز على العادة نفسها، فيجب أن يفكر الأبوان: ما الذي يضايق الطفل؟ .. إن الطفل يغضب وينفعل لأسباب قد نراها تافهة كفقدان لعبته، أو الرغبة في اللعب الآن، أو عدم النوم، أو إهماله وعدم الاهتمام به.. إلخ، وعليك عدم التهوين من شأن أسباب انفعاله هذه؛ فاللعب بالنسبة له هي مصدر المتعة ولا يعرف متعة غيرها (فمثلا: يريد اللعب الآن؛ لأن الطفل يعيش لحظته، وليس مثلنا يدرك المستقبل ومتطلباته أو الماضي وذاكراته).

■ التعبير عن الحب، إذ من الأهمية بمكان أن تتأكد أن طفلك يشعر بأنه محبوب، بغض النظر عن أي عادة عصبية لديه، فبمنح طفلك الكثير من الحب والمساندة يمكنك مساعدته في التغلب على المشكلة .. أرح طفلك بالكلام وطمئنه بأنك ستكون دائما معه، واحتضن ابنك الصغير بمزيد من المشاعر الفياضة والعواطف الجياشة التي تنزل عليه وعلى غضبه بردا وسلاما.

كلنا يحب أولاده.. لا شك في ذلك، ولكن هل نوصل هذا الحب جيدا لأبنائنا؟! هل لديهم اليقين بهذا الحب؟! .. هذه هي المسألة: «أن توصل

الحب بمفردات الطفل وليست بمفرداتك أنت»، ومفردات الطفل جد بريئة رائعة فهي: القبله، البسمه، اللمسه، المشاركه من القلب، محاوله النظر للعالم بعينه، محاوله الإحساس بالحياه كما يحسها هو، مشاركته الدهشه والفرحه بالاكتشاف، الانطلاق الحقيقي من القلب معه.. بالجملة: استمتعنا الحقيقي بالطفل ومعه.

- الحوار ثم الحوار ثم الحوار .. ينبغي عليك الاستماع بعقل القاضي وروح الأب والأم لأسباب انفعال الطفل بعد أن تهدئ من روعه، وتذكره بأنك على استعداد لسماعه وحل مشكلته وإزالة أسباب انفعاله.
- التمثيل السلوكي .. قدم له من خلال البروفة السلوكية الأسلوب السليم في التعبير عن انفعالاته، واطلب منه أن يمثلها لك بعد تشجيعك له؛ فمثلاً: إن كان قد اعتاد أن يصرخ إذا لم يُستجب لطلبه، فقم أنت وهو بتمثيل نفس الدور (هو يطلب منك مثلاً أن تحضر له لعبته، وأنت لا تنفذ له طلبه، فيطلب منك بكل هدوء اللعبة مرة ثانية، فإن لم تستجب له يقوم هو ويحضرها لنفسه بكل هدوء) .. هكذا .. مجرد تمثيل إلى أن يتعود على ممارسة التصرف الصحيح. وإن وجد طفلك صعوبة بتمثيل الدور فتبادلا الأدوار بحيث تقوم أنت بدوره هو والعكس إلى أن يتقن القيام بدوره الأصلي بعد أن يراك وأنت تؤديه (ويرجى أن يكون ذلك في جو من المرح والحب والحنان).

- عود طفلك التعلم من خلال الخطأ، وهذا يتحقق من خلال مقارنة السلوك وضده، فإذا مزق الطفل الورق، اسأله أيهما أجمل الورق الممزق

أم الورق الجميل على حالته الأولى؟ وأعطه فرصة التفكير في خطئه بهدوء، فانفعالاتك الغاضبة لن تتيح له فرصة إعمال العقل ليتعلم بإيجابية من تجاربه وأخطائه.

■ مكافأة الطفل بالمدح والتشجيع، فعند تعبيره عن غضبه بالطريقة السوية التي تعلمه إياها في لحظة هدوء وصفاء بينكما، عندها شجعه وكافئه حتى يعرف أن فعله جميل، وإن لم يستجيب بعد ٤ - ٦ مرات من التنبيه فعاقبه بالحرمان من شيء يحبه كالنزهة مثلاً.

■ أوجد له منافذ صحيحة يفرغ فيها شحنات الغضب والانفعالات التي لديه، بحيث تتناسب تلك المنافذ مع قدراته الفعلية .. أحضر له الألعاب والأدوات التي تنمي لديه تلك القدرات، ولا تطلب منه أكثر مما يحتمل، واخرج معه إلى النادي أو أي نزهة.

كما يمكن أن يساعدك في قضاء بعض الخدمات بالمنزل كمساعدتك في تنظيف زجاج السيارة أو ترتيب حديقة المنزل، لا كنوع من العقوبة بل كنوع من التقارب والمشاركة التي يتعلم منها حب العطاء، تساعد على تفريغ شحنات الانفعال الزائد.

■ يمكنك محاولة إيجاد حيوان أليف في المنزل: قطة - كتكوت - أرنب - قفص للعصافير... وتدريبه للعناية به وتوكيله لتولي أمره، فوجود مثل هذه الحيوانات تمتص العنف والعصبية لحد كبير.

وفيما يخص نقص الانتباه فإليك بعض مفاتيح التعامل الناجح معه:

- ١- **التشاور والتباحث مع المدرس**، خاصة إذا كانت هذه المشكلة تحدث مع طفلك فقط في المدرسة، فقد يكون هناك مشكلة مع المدرس في أسلوب شرحه للدرس أو في أسلوب تعامله مع طفلك، وفي هذه الحالة لابد من مقابلة المدرس ومشاورته ومناقشة المشكلة والحلول الممكنة.
- ٢- **مراقبة الضغوطات داخل المنزل**، إذا كانت هذه المشكلة تحدث مع طفلك في المنزل، فقد يكون ذلك رد فعل لضغوط نفسية معينة في المنزل.
- ٣- **زيادة التسلية والترفيه**، إذ يجب أن تحتوي أنشطة الطفل على الحركة والإبداع والتنوع والتماس الجسدي والإثارة، فمثلا عند مساعدة الطفل في هجاء الكلمات يمكنه كتابتها على بطاقات بقلم ألوان، وهذه البطاقات تستخدم للتكرار والمراجعة والتدريب.
- ٤- **ممارسة تمارين زيادة الانتباه معه**، كأن تقطع قطعة كبيرة من الورق المقوى على شكل صورة، ما وتضعها على مساحة أو منطقة تركيز الانتباه أمام مكتب الطفل واطلب منه التركيز والنظر داخل الإطار، وهذا يساعده على زيادة التركيز.
- ٥- **الاتصال البصري**، لتحسين التواصل مع طفلك قليل الانتباه عليك دائما بالاتصال البصري معه قبل وأثناء الحديث والكلام.
- ٦- **ابتعد عن الأسئلة المملة**، وتعود على استخدام الجمل والعبارات بدلا من الأسئلة، فالأوامر البسيطة القصيرة أسهل على الطفل في التنفيذ.. فلا تقل للطفل «ألا تستطيع أن تجد كتابك؟» ولكن قل له: «أذهب وأحضر كتابك الآن».

٧- إعداد قائمة الواجبات، فعليك بإعداد قائمة بالأعمال والواجبات التي يجب على الطفل أن يقوم بها، ووضع علامة «صح» أمام كل عمل يتمه الطفل، حيث تعمل هذه القائمة كمفكرة، والأعمال التي لا تكتمل أخبر الطفل أن يتعرف عليها في القائمة.

٨- تقدير وتحفيز الطفل على المحاولة، فكن صبوراً مع طفلك فإنه يبذل أقصى ما في وسعه، فكثير من الأطفال لديهم صعوبة في البدء بعمل ما والاستمرار به.

بالإضافة إلى ذلك كله يجب استمرار التواصل مع الطبيب النفسي ليشخص حالته بالضبط، ويحدد ما يحتاجه من أشكال العلاج، خاصة فيما يتعلق بمسألة نقص الانتباه.

يبقى جزء بسيط من أسباب عصبية الأطفال راجع إلى بعض الظواهر النفسية مثل: الاكتئاب والقلق وفرط النشاط الحركي والتوحد والتأخر العقلي... وهذا النمط بحاجة إلى علاج سلوكي أو دوائي من المختصين في (طب نفس الأطفال) للسيطرة على الأعراض العصبية لديهم.

وأخيراً من المهم الاطمئنان على حالة الطفل من الناحية الطبية، فقد تكون السبب كما أشرنا، وإجابتك عن الأسئلة التالية تساعدك أنت والطبيب المعالج لاكتشاف أي من الظواهر المرضية التي يمكن أن تسبب عصبية طفلك:

- هل كان نمو طفلك طبيعياً في مراحل النمو المختلفة (حبو – جري – مشي – نطق – كلام بجمل مفهومة – التحكم في الإخراج... إلخ).

- هل كان لديه الاستجابة غير الكلامية لما يوجه له من كلام، وأعني بذلك تعبيرات الوجه التي توحى باستيعابه لما توجهه له من كلام.
- هل يظهر عليه علامات الفرح عندما يكون هناك ما يدعو للفرح، والحزن عند حدوث ما لا يرضيه.
- هل لديه اهتمامات خاصة ببعض ألعابه؟ وهل له هوايات معينة؟
- هل يظهر على وجهه أي تغيرات غير طبيعية (استطالة في الوجه – ارتفاع وتغير في شكل الفك العلوي... إلخ).
- هل حدث له مشاكل صحية بعيد الولادة (صفراء – حضانة – عدوى ميكروبية سببت ارتفاع في درجة الحرارة بشكل قوي).
- هل تعرض لأي جراحات؟
- ماذا عن نموه اللغوي، وتطوره من فهم الكلام ومضمونة والقدرة على نطق كلمات، ثم جمل قصيرة، ثم جمل متواصلة لها معنى، وإتقان مخارج الحروف، واستيعاب التواصل بالعين وتعبيرات الوجه؟
- هل لديه بعض القدرات المهارية التي تفوق أو تقل عن قدرات أخوته؟
- وفي الختام لا تنسوا الدعاء، فإنه منوط بنا كآباء وأمّهات أن ندعو لأبنائنا بالخير والفلاح والنجاح والترقي في مسالك العلم، ومنوط بنا أيضا أن نحوي ونتدارك انفعالات أبنائنا بذكاء وحنكة وفن.^(١)

(١) من مصادر البحث

المشاكس العنيد !!

تعاني أمهات كثيرات من عناد أطفالهن إزاء كل كلمة أو طلب أو أمر تصدره الأم، فالعناد صفة من الصفات التي يتصف بها بعض الأطفال، وتتراوح درجته من طفل لآخر وفقا لبيئته وتركيبته الشخصية، وتختفي عادة هذه الصفة مع مرور الوقت، ولكنها تستمر مع عدد من الأطفال لتصل درجة عنادهم إلى حالة مرضية، فيغلب عليهم سمات الغضب والتمرد .. وتحتار الأم لأنها لا تعرف أي أسلوب تربية تتبع، فهناك أم ترسخ لطلباته وتلبي كل أوامره، وتحمل بعد ذلك عناده في صمت، وأم أخرى تلجأ إلى أسلوب الرفض والتهديد غير واعية إلى أن عناد الطفل ليس سوي مجرد محاولة منه للبحث عن ذاته واستكشاف قدرته علي فرض نفسه واستقلاليتته عن الآخرين، أو ربما هو صرخة منه للفت الانتباه لاحتياجه إلى الحنان والحب.

مراحل ودرجات

-
- الطفل العصبي أ.د. مصطفى السعدني
 - ست وسائل للتعامل مع عصبية طفلك أ. محمود سعد مهدي
 - ثمانية مفاتيح لترويض عصبية الأبناء د/حمدي عبد الحفيظ شعيب
 - نقص انتباه الطفل وعصبية.. خطوات علاجية فريق الاستشارات التربوية م. إسلام أون لاين
 - أفهم النعمة لتستمتع بها نيفين عبد الله صلاح
 - وفيق صفوت مختار «طفلي عصبي .. لماذا» مجلة العربي شباط ١٩٩٥ ص ١٦٦ .
 - بهذه الخطوات.. نحمي أبنائنا من العصبية وفاء أبو موسى

في مراحل النمو المبكرة، تظهر لدى الأطفال درجات خفيفة من المشاكسة يمكن قبولها. فمن الطبيعي أن يشعر الطفل بأنه شخص يتمتع بكيان وذات مستقلين، ما يكسبه صفات التفرد والشجاعة والاستقلالية. وهناك مرحلتان يبرز خلالهما سلوك المشاكسة والعناد كعلامات للنمو الطبيعي، وذلك على الشكل التالي:

«**المرحلة الأولى**»: تمتد من سن الثمانية عشرة شهرا إلى الأربعة والعشرين شهرا، حينها يبدأ الصراع بين الطفل والأم بسبب رغبة الأم ومحاولاتها تدريب الطفل على الاعتماد على نفسه في تناول الطعام، والتحكم في التبول، وارتداء الملابس وتنظيم اللعب

«**المرحلة الثانية**»: تستهل منذ سن الدخول إلى المدرسة وتمتد حتى المراهقة، حينها يبدأ الطفل في تأكيد ذاته واستقلاليته عن أسرته، وتظهر خياراته المختلفة عن خيارات الوالدين، فإذا كانت هذه المرحلة التطورية هادئة ومتفهمة فإن الأمور تسير بسلام، وتخف حدة السلوك المشاكس شيئا فشيئا مع الوقت، أما إذا كانت الاستجابة غاضبة وعنيفة ومبالغا فيها فتظهر الدرجات المرضية من العناد والمشاكسة.

أسرة مضطربة

كشفت الدراسات الحديثة أن معظم آباء هؤلاء الأطفال يعطون اهتماماً زائداً بالسلطة والسيطرة والذاتية. وقد تتسم الأمهات بأنهن مكتئبات متوترات لا يملكن القدرة على الحوار الهادئ، ويردن أن تنفذ أوامرهن

دون نقاش .. أما الآباء فلديهم سمات العدوان السلبي والمكايدة، فهم يجعلون من يتعامل معهم في حالة غيظ وغضب على الرغم من هدوئهم الظاهر. كثيرا ما يكون للآباء والأمهات دورا كبيرا في تأصيل العناد لدى الأطفال كما يقول علماء التربية، فالطفل يولد ولا يعرف شيئا عن السلوك العنيد، ولكن تعامل الأم معه قد يؤصل بداخله هذه الصفة، فهي تتصور أن من التربية عدم تحقيق كل طلباته، في حين أنه يصر عليها، فتقابل إصراره بإصرار على العكس لتساهم دون أن تدري في إكساب الطفل هذه الصفة التي يتربى وينشأ عليها ويدمنها.

كما يميل بعض الأطفال بحكم تركيبهم الفسيولوجي والنفسي إلى الإدارة القوية وتأكيد الذات والتصميم على الخيارات الشخصية .. يحصل الصراع حين يصر والدا هذا الطفل على تأكيد سلطتهما وسيطرتهما. وقد ينشأ السلوك المشاكس نتيجة تعرض الطفل لمشكلات سلوكية نفسية أو عاطفية بسبب الإصابة بمرض أو إعاقة أو انفصال الوالدين. وقد يكون العند نوع من الدفاع عن النفس حيال قلة الحيلة أو فقدان تقدير الذات أو شعور الطفل بأنه غير مرغوب فيه.

ويمكن أن يكون الطفل مشاكسا بسبب الدلال أو الاهتمام الزائد من قبل الوالدين، ويظهر هذا السلوك بوضوح ضمن العائلات التي تفتقد إلى أدنى سيطرة على تصرفات أولادها. حيث يلاحظ أن الأطفال المدللين في البيت، والذين يشبعهم الأبوان حبا واهتماما زائداً، يحلو لهم العناد، ويصبحون أكثر تطلبا له خارج المنزل ولاسيما في حضور الآخرين، وكأن ذلك طريقة

لتذكير الأب أو الأم بوجودهم، وللمطالبة بما اعتادوا عليه من الاهتمام ومن العناية المفرطة المخصصة لهم.

المظاهر السلوكية

توضح الدراسات أن سمات المشاكسة تنتشر لدى ١٦ % - ٢٢ % من أطفال المدارس، ورغم أن هذا السلوك يبدأ في سن مبكرة، إلا أنه غالباً ما يتبلور في سن الثامنة .. وينتشر هذا الاضطراب في صفوف الذكور أكثر من الإناث قبل البلوغ، أما بعد البلوغ فيتساوى الجنسان. ويسبب هذا الاضطراب خلا إكلينيكية واضحة في النواحي الاجتماعية أو الدراسية أو الوظيفية.

ويمكن اعتبار الطفل مشاكساً عندما يتخذ سلوكه نمطاً من السلبية والعوانية وتشنت الذهن لفترة لا تقل عن ستة أشهر، أو إذا برزت لديه أثناء هذه الفترة أربعة أو أكثر من المظاهر التالية:

- غالباً ما يتبدل مزاجه بسهولة، كثير الانفعال وسريع الغضب.
- يجادل الراشدين، ولا يدع كلمة بدون التعليق عليها بصورة سلبية.
- يتحدي ويرفض أوامر الآخرين بشكل دائم.
- يغلب على تصرفاته تعمد فعل الأشياء التي تضايق الآخرين.
- يلوم الآخرين على أخطائه، ويحملهم مسؤولية مشكلاته.
- غالباً ما يستفز الآخرين ويضايقهم.
- كثيراً ما يغضب ويعاند بدون أسباب واضحة.

- حقوق ومحبة للانتقام، ولديه الكثير من مشاعر الكره والجحود لمن حوله.
- يحلف كثيرا، ويصف الآخرين بأوصاف رديئة، ويستخدم ألفاظا سوقية.
- يثير الفوضى دائما في المدرسة، ويجب بأسلوب فظ، ويتعامل بعنف مع زملائه، ويقوم بأعمال تخريبية داخل الفصل.

منارات عملية

بداية لابد أن نوضح أن الطفل يحتاج ما يحتاجه الكبير .. يحتاج الفهم والمشاركة لكي يدرك أخطائه ويتعلم منها؛ ليتطور إلى الأفضل، دون لوم ودون دروس في «كيف تتطور يا طفلي».. بمعنى أنه لا بد أن تتبع رغبة التغيير من نفسه بعد أن يدرك أنه في حاجة إلى التغيير، وهذا لن يحدث إلا إذا أعطيناه الفرصة؛ ليدرك الخطأ ويدرك الحاجة إلى التطور لما سيحققه له هذا التطور من مكاسب جديدة.

فالتسرع سمة من سمات الشخصية التي تتكون في السنوات الأولى، وتغيير «السمات» ليس بسهولة تغيير السلوكيات؛ لأنها تحتاج لقناعة شخصية، ولا يجدي في تغييرها النصح، والعقاب والتوجيه الذي لن يعمل إلا على تشويه صورة الطفل عن نفسه والتي يراها في عيونكم .. فالأب والأم عندما يقتنعان داخلياً بفكرة ما عن ابنهما فإن هذه الفكرة تتسلل من نفس الوالدين لتستقر وتصبح سلوكاً للابن، بل وتصبح فرصة له أن يحاول أن لا يتغير؛ لما للانتقاد من أثر هدام على ثقته بنفسه.

إذا أردنا أن نعرف ما هي الصورة التي يرى بها الطفل نفسه فلننظر إلى المرأة، المرأة هي ببساطة صورتنا نحن عن الطفل، فإن لم نكن نراه بداخلنا سوى مقصرًا مخطئًا سيئًا، فلن تكون صورته التي تتكون بداخل إدراكه الصغير سوى انعكاس لما في المرأة، فلتكن الصورة التي نكونها عن الطفل صورة إيجابية.

أيهما أفضل: «أبي لا يراني سوى مقصر ومتسرع، وبالتالي يصفني بالمتهور. أحاول ولكن لا أرى أنهم يحسون بأني أبذل جهدًا... سوف أوفر طاقتي ولن أبذل جهدًا بعد ذلك طالما أنا متهور ومتسرع على كل الأحوال».

أم: «أبي يقدر كل مجهود صغير أقوم به للتحسن، وهو يراني جيدًا وممتازًا، وهذا يدفعني لبذل مزيد من الجهد لعلني أصل إلى الصورة التي يتمناها».

وبالتالي، فإنه بدلاً من إغراقه في خطئه، لا بد من أن نوحى له بأنه أكبر من هذا الخطأ؛ بأن نعطيه ثقة أكبر في نفسه، ونستقبل نتائجها بحب وحنان ورضا عما بذله، وأن لديه القدرة لتجويد نتائجها ببذل أقصى طاقتة. حاول ألا تثبط عزيمته بإبراز الفشل والتنويه بالعجز، بل قل له: «لا بأس.. أعلم أنك لم تقصد هذه الأخطاء، ولكن تعال؛ لنرى معًا كيف حصل هذا الأمر»، فإذا وصل بنفسه وبدون إحياء منك إلى سبب ما وقع فيه من أخطاء، قل له: «حسنًا يا حبيبي جرّب ثانيةً دون أن تقع فيما وقعت فيه».

وبذلك أيها الأب تحوّل المشكلة -كما هي بنظرك- إلى ظرف للتوجيه التربوي؛ تعليم طفلك مبدأ عامّاً في الحياة، بعيداً عن الوقوف أمام ظواهر ستتكرر إذا ظل أساسها موجوداً.

■ ينصح المربون عندما نواجه طفلاً يرفض تنفيذ طلباتنا، بأن نفترض أولاً بأنه لا يملك ما يجعله يتعاون معنا، بدل أن نفترض أنه يرفض التعاون معنا .. هذا الأسلوب في التفكير يجعلنا نبحث عما ينقصه بدل اتهامه بأنه ولد سيء، ونبدأ ننهره ونزجره .. تماماً مثلما يكون الحال عندما تقود سيارتك، فإذا ما توقفت فجأة في الطريق، يكون من البديهي أن تتحقق أولاً من وجود الوقود فيها، قبل أن تشك بصلاحية المحرك وتبدأ تفككه لفحصه.

■ يرفض الطفل العنيد أي لهجة جافة من قبل والديه وخاصة اللهجة الأمّرة، ويتقبل الأسلوب اللطيف، والرجاء الحار لتنفيذ ما يطلب منه، أما الإصرار بقوة على تنفيذ الأوامر يجعل الطفل يلجأ إلى العناد والإصرار على ما يريده هو وليس ما يطلب منه.

■ لا يجب أن يكون الأبوان متراخيان أكثر من اللازم أو حادان أكثر من اللازم، فالمبالغة في كلتا الحالتين ستؤدي إلى نتائج غير طيبة .. فإذا قبل كل ما يريده الطفل بالرفض دائماً دونما إعطائه فرصة اتخاذ أي قرار، سيؤدي إلى عدم قدرته على اتخاذ أي قرار مستقبلاً أو تكوين أي رأى، لأن تحكم الآباء الدائم في الطفل، يحجم شخصيته .. وعلى الجانب

الآخر، إذا لم يوجه الأبوان طفلهما وتركاه يفعل ما يريد بصفة دائماً؛ أياً كان ما يريده، فستكون النتيجة طفل منفلت ليس لكلام أبويه أي تأثير عليه.

■ يؤكد علماء النفس وعلماء الاجتماع على ضرورة التعامل مع الطفل العنيد بطريقة الاستجابة لتصرفه، أي لا نقوم بالصراخ أكثر إذا كان يصرخ، وألا نبدي سخطاً أشد إن كان الطفل في حالة من السخط، وألا نوجه له عبارات جارحة كرد على استخدامه عبارات عنيفة .. بل ينبغي اللجوء إلى الكلام والحديث الذي يناسب الحوار والموقف، لنقل الطفل المعاند من حالة الفعل إلى الانفعال، ونقله من حالة الهجوم إلى حالة الدفاع .. نحن بذلك نقوم بتغيير حالته السلوكية والفكرية مما يساعد على فتح حوار معه لمعرفة الأساس الذي بني عليه رأيه أو موقفه المعاند لنقرر ماذا يجب فعله بعد.

■ علينا مراعاة تقديم الأوامر للطفل بهدوء وبلطف وبدون تشدد أو تسلط، وأن نقوم بالربط على كتفه أو احتضانه بحنان، ثم نطلب منه القيام ببعض الأعمال التي نريد منه أن يقوم بها.

■ من المهم الحرص على جذب انتباه الطفل، كأن نقدم له شيئاً يحبه، مثل: لعبة صغيرة أو قطعة حلوى، ثم نسدي له الأوامر بأسلوب لطيف.

■ يفضل أن تكون بداية التعامل بإعطاء الأوامر للطفل لعمل شيء يعود عليه شخصياً بفائدة، أي أن يقوم بعمل شيء لنفسه وليس للآخرين، فنتجنب مثلاً- أن نأمر الطفل بإعطاء كأساً من الماء لأخته، في حين لو عطش هو وطلب الماء نطلب منه إحضار الكأس بنفسه.

- العناد البسيط يجب أن نغض الطرف عنه، ونستجيب فيه لرغبات الطفل مادامت لن تضره وفي حدود المعقول، وبذلك نعطي للطفل نموذجاً للمرونة في التعامل ليعلم أن الإنسان كائن مفكر ومرن يتقدم حين يكون التقدم مطلوباً، ويتراجع حين يكون التراجع أفضل.
- من المهم –أيضاً- أن تضع في اعتبارك أنه تماماً مثلما تتوقع من طفلك إتباع النظام دون مساءلة، يجب أيضاً أن تسمح له بمساحة من الحرية لاتخاذ القرارات الخاصة به، وأن يعلم الطفل أنه يستطيع تكوين رأى، وأنه قادر على اتخاذ قرارات خاصة به، فذلك يمثل جانباً هاماً في نمو شخصيته.
- إدخال روتين معين في حياة طفلك سيقطع من المواقف التي يحدث فيها الصدام بينكما، وسيساعد كذلك على معرفة ما هو متوقع منه .. فكرة جيدة أن تحددى له – عزيزتي الأم- مواعيد للطعام، الاستحمام، النوم، والأشياء الأخرى التي تعتبرينها هامة.
- تجنب نعت الطفل بصفات سلبية، مثل: أنت شقي أو سيئ، لأن هذه الصفات تترسخ في ذهنه، وتولد لديه شعور بالذنب الذي قد يتحول إلى شعور بالنقص، وبالتالي يفقد ثقته في نفسه ويعاني التردد والخجل، أو يتسم بالعنف والعدوانية نتيجة إحساسه بالغضب الداخلي.
- بعض الآباء يستخدم أسلوباً خاطئاً في مقاومة عناد الطفل لتحقيق النتيجة التي يريدون، وذلك بأن يأمرؤا الطفل أو يوهموه بأنهم يريدونه أن يفعل شيئاً، بينما هم -في الواقع- يريدون عكسه .. فقد يقول الأب لطفله:

«لا تجلس»، حتى يجعله يجلس. أو: «لا تأكل البرتقالة»، رغبة في أن يعانده الطفل ويأكلها .. هذا الأسلوب ربما يحقق نتيجة يرتضيها الأب على المدى القصير؛ فالطفل الصغير تنطلي عليه -لقلة خبرته- خدعة أبيه، وينفذ المراد منه بطريقة لا يدركها، ولكن المشكلة تكمن في أن الأب بهذه الطريقة- يقوم بترسيخ صفة العناد في نفسية الطفل، بل قد يشعر الأب بالرضا، وربما تبسم بعد أن يعانده طفله، مما يجعل الطفل يتمادى في هذا السلوك، بدلاً من سعي الأب للتعامل معه بطريقة تتيح له تعديل سلوكه بالطريقة المناسبة.

■ أفضل طريقة للتعامل مع الطفل الذي يصر على فعل شيء غير لائق تتضمن ثلاث خطوات:

١. أن تخبر لطفلك بهدوء وحسم: أنه يجب أن يتوقف عن ذلك السلوك، وأنت لا تريده أن يكرره لأنك لا تقبله.

٢. إذا لم يتوقف الطفل عن سلوكه، ذكره أنك قد طلبت منه من قبل التوقف عما يفعله، وقل له: أنه إن لم يتوقف في الحال فسوف يعاقب.

٣. إذا استمر الطفل فيما يفعل بغض النظر عما قلته له، فقم بمعاقبته حتى لو أغضبه ذلك.

■ العقاب يفضل عند وقوع العناد مباشرة، بشرط معرفة نوع العقاب الذي يجدي مع هذا الطفل بالذات؛ لأن نوع العقاب يختلف في تأثيره من طفل إلى آخر، فالعقاب بالحرمان أو عدم الخروج أو عدم ممارسة أشياء

محبة قد تعطي ثماراً عند طفل ولا تجدي مع طفل آخر، ولكن لا تستخدم أسلوب الضرب والشتائم؛ فإنها لن تجدي، ولكنها تشعره بالمهانة والانكسار.

إن العناد طبع متأصل في النفس البشرية منذ صغرها، والقدر اليسير منه لا يضر، بل إن انعدامه قد يكون دليلاً على اختلال في نمو شخصية الطفل وثقته بنفسه. ولكن المهم التنبه لئلا يتمادى الطفل في العناد، وألا ينمو شعوره بأنه هو الطريق الوحيد الناجح لتحقيق رغباته. وقد يكون سبب هذا أنه جرب العناد، ونجح في إجبار الآخرين للانصياع لرغباته، أو لأن والديه جعلاه يستخدم العناد لتحقيق رغباتهما بطريقة المخالفة، مما جعل هذا السلوك يتحول إلى مشكلة سلوكية عويصة يعانيان منها حتى بعد تجاوز سنوات الطفولة.

ويبقى التعامل الحكيم من الأهل من أهم الأمور التي تجعل الطفل أكثر اطمئناناً، ويتعلم أن المشاكسة ليست هي الأسلوب الأمثل للتعايش مع الآخرين، بل إن المجتمع سينبذه إذا استمر على هذا النحو.^(١)

(١) من مصادر البحث
- المشاكسة.. ليست أمراً سهلاً التقويم! عائشة عبد الحميد (اختصاصية العلاج النفسي والتقويم التربوي)
- لماذا يعاند الأطفال وليد مراد (اختصاصي نفسي إكلينيكي)
- لا تشجعهم على العناد د. محمد الشريم
- معا نربي أبنائنا م. إسلام أون لاين
- متى يتمرد أبنائك.. تعرف على الأسباب؟ فريال تيسير

كذب الأطفال .. تفهم الدوافع لتجد الحل

من أكثر المسائل التربوية التي تشغل اهتمام الوالدين، وتثير بداخلهم الكثير من التوتر والقلق والانفعال، ويقفون أمامها أحياناً في حيرة من أمرهم، مما يربك سلوكهم الصحيح تجاه أطفالهم .. مسألة «كذب الأطفال». خصوصاً أن للكذب أنواعاً متعددة، ويختلف من عمر إلى آخر، وتختلف أشكال التعبير عنه، وتختلف درجة خطورته على شخصية الطفل وسماته الشخصية في المستقبل.

الصدق غريزة

كذب الأطفال مظهر من مظاهر الاضطراب النفسي السلوكي عند الطفل، بالابتعاد عن الحقيقة قولاً وسلوكاً، أو تأليف حادثة أو خبر ليس له أي مدلول واقعي.

والكذب سلوك مكتسب وليس فطرياً أو موروثاً، فالطفل لا يولد كذاباً، ولكن هناك أسباب كثيرة تؤدي به إلى انتحال الكذب، وهذه هي النتيجة التي أكّدها كل من علماء النفس والتربية، حيث يرون أن: (الأطفال يولدون على الفطرة النقية، ويتعلمون الصدق والأمانة شيئاً فشيئاً من البيئة، إذا كان المحيطون بهم يراعون الصدق في أقوالهم ووعودهم، ولكن إذا نشأ الطفل في بيئة تتصف بالخداع وعدم المصارحة والتشكيك في صدق الآخرين، فأغلب الظن أنه سيتعلم نفس الاتجاهات السلوكية في مواجهة الحياة وتحقيق أهدافه، والطفل الذي يعيش في وسط لا يساعد في توجيه اتجاهات الصدق

والتدرب عليه؛ فإنه يسهل عليه الكذب، خصوصًا إذا كان يتمتع بالقدرة الكلامية ولباقة اللسان، وإذا كان أيضًا يتمتع بخيال خصب .. فهذين الاستعدادين، مع تقليده لمن حوله ممن يلجئون إلى الكذب واختلاق الأعذار الواهية للخروج من المواقف المختلفة .. كل هذه العوامل تدربه على الكذب منذ طفولته إلى أن يصبح معتادًا ومألوفًا بالنسبة له.

وعلى هذا الأساس فإنَّ الكذب صفة أو سلوك مكتسب نتعلمه وليس صفة فطرية أو سلوك موروث^(١)

وإذا كان الطفل يكذب، فإنَّ للكاذب علامات تظهر عليه، ويستطيع الوالد الحاذق أن يلاحظها، ليعلن كذبه على طريقة المثل القائل: «يكاد المريب أن يقول خذوني»، مثل:

○ التلعثم واضطراب وتناقض في تفاصيل القصة المختلفة التي يرويها الطفل.

○ أعراض جسدية تظهر عليه بوضوح، مثل: إفراز العرق، واحمرار الوجه، وازدياد سرعة التنفس، وبرودة في الأطراف.

○ لا يستطيع الطفل أن يثبت عينيه في عيني أمّه أو أبيه، ويحاول إنهاء الموقف بسرعة، والانصراف من أمام والده.

○ كثرة الحلف دون أن يُطلب منه، ونفي الكذب عن نفسه دون أن يوجه إليه اتهام به .. قال تعالى على لسان إخوة يوسف عليه

(١) الشخصية أنواعها وأمراضها وفن التعامل معها ... د. سعد رياض

السلام، وهم ينفون عن أنفسهم الكذب قبل أن يتهمهم أبوهم: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾ [يوسف: ١٧]

أنواع الكذب

وإذا استفدنا من تصنيف «بيرت» وغيره لأنواع الكذب يمكن أن نتعرف على الأقسام التالية:

- **أكاذيب اللعب** (الكذب التخيلي أو البريء): تظهر عند الأطفال أثناء اللعب من خلال تقمص شخصية ما، وبكثير من الأحيان تكون هذه الشخصية محببة لدى الطفل وقرينة منه، أو من خلال إضفاء شخصية ما على أعباءه، يحاورها ويتحدث معها، وبذلك يعبر الطفل عن موقفه من الآخرين وتعكس قيمه وشعوره وأزمته النفسية، وذلك بعد انسجامه وفقدان حذره.

وهناك خط فاصل بين الكذب وبين التخيل، لأن الطفل قصاص محترف من الممكن أن ينسج من خياله حكاية لا يكون لها صلة بالواقع ولم تحدث مطلقاً، لكن هذا الخط من الصعب تحديده أو وضع ضوابط له، لأن الخيالات دليل على أن الصحة النفسية لهذا الطفل سليمة، وأن خياله نشط بدون أي قصد من جانبه أن يقوم بالتضليل.

هنا يكون الطفل صادقاً بالتعبير عن نفسه، لكننا نحن نعتبره يكذب، ونرى ذلك بالفعل عندما يتخيل نفسه معلماً أو طبيباً أو ضابطاً.... هذه الأكاذيب لا بدّ من التعامل معها بحذر شديد، ولا ينبغي معها العقاب أو

الشدة أو التأنيب الجارح، بل نعيش مع الطفل، ونأخذ بيده أيضاً بحذر، دون أن نعزز عنده هذه الظاهرة، فهي ستزول وتتبدل مع تقدمه بالعمر.

- **أكاذيب الخلط** (الكذب الالتباسي): وسببها أن الطفل لا يمكنه التمييز عادة بين ما يراه حقيقة وما يدركه واضحاً في مخيلته، فكثيراً ما يسمع الطفل حكاية خرافية أو قصة واقعية، فسرعان ما تملك عليه مشاعره وتسمعه في اليوم التالي يتحدث عنها كأنها وقعت له بالفعل.

وبمعنى آخر، هي اختلاط الحقائق بذهن الطفل مع الصور التي تراود خياله عنها، وهي تشبه أكاذيب اللعب من جهة وتختلف عنها من جهة أخرى، إذ إنها قفزة في المجهول تستند إلى ما يعاني الطفل من ظروف نفسية أو تربوية، فتقمص الشخصية هنا يخرج عن دائرة الواقعية والمنطقية، حتى تخرج عن المألوف حيث يختلط الواقع مع الخيال لدرجة الانفصال عن الواقع.

في الطفولة المبكرة «٤-٥ سنوات» يسود هذا النوع من الكذب، ومرجعه إلى سعة خيال الطفل وخصوبته مع قلة درايته بالواقع، فيخلط بين الواقع والخيال، فتراه يحكي بعض أحلامه على أنها حقائق رآها بعينه، أو يخبر عن شيء لم يحدث أصلاً، ويدل هذا النوع من الكذب على سعة الخيال وخصوبته عند الأطفال كما أشرنا، وقد يكون مرجعه إلى رغبة الطفل في تأكيد ذاته.

ولا قلق منه أبداً، إذ أنه ينمّي الطلاقة اللغوية عند الطفل، والقدرة على التصوير، والاستخدام المجازي للغة، على أن يُشعر الوالدان الطفل بأن هذا

عالم آخر مفارق للواقع الذي نعيش فيه. لكن المهم هنا أن نكون قريبيين من الطفل جسداً وروحاً.

- **أكاذيب التفاخر (الكذب الادعائي):** وهي كثيرة الشيعوع بين الأطفال، وتستند إلى دافع تأكيد وتعظيم الذات، أو الرضي عن النفس، أو كسب احترام الآخرين، ويلجأ إليها الطفل لشعوره بالنقص أو الحرمان، ومن خلالها يبالغ بالأشياء الكثيرة التي يملكها، فيحدث زملائه أنه يملك ألعاباً كثيرة وقيمة، أو يحدثهم عن والده وثروته، أو عن مسكنهم ويبالغ في وصفه، أو يبالغ الطفل في وصف تجاربه الخاصة ليحدث لذة ونشوة عند سامعيه، وليجعل نفسه مركز إعجاب وتعظيم الآخرين .. هنا يكذب الطفل ليعوّض شعوراً بالنقص حقيقياً أو متوهماً يُعاني منه، أو من أجل حب الظهور أمام الأقران.

والكذب الادعائي قد يكون -في بعض الحالات- نتيجة وجود الطفل في بيئة أعلى من مستواه في ناحية ما، مما يشعره بنوع من «الدونية» .. أي أنه أقل من الآخرين حظوة أو تفوقاً، مما يدفعه ذلك لعمل كل شيء للوصول إلى هذا المستوى، وإن لم يتمكن من الوصول إليه بالطرق الواقعية الحقيقية، فإنه يحاول ذلك بطرق بعيدة عن الحقيقة، مخالفة للواقع، يخترعها من مخيلته.

وبعبارة أخرى قد يتسبب الكذب الادعائي من عدم مقدرة الطفل على الانسجام مع مَن حوله، أو من اختلاف البيئة التي يعيش فيها كالمنزل مثلاً

أو كالمدرسة، نتيجة الإذلال والقمع الواقعين عليه ممن حوله من الذين لا يريدون له الظهور.

ومن أنواع الكذب الادعائي أن الطفل يدعي المرض أو الظلم أو سوء الحظ ليحصل على أكبر قسط ممكن من العطف والرعاية.

هذا النوع من الكذب يحتاج منا لرعاية وتفهم الأسباب المؤدية إليه وعلاجها، والتركيز على تلبية الحاجات التي فقدها الطفل فآلجأته إلى ممارسة هذا النوع من الكذب، دون التركيز على الكذب نفسه. كما يجب أن لا نسمح بتعزيزه، لأنه يؤثر سلباً في شخصية الراشد.

- أكاذيب الضغينة والانتقام: غالباً تنشأ عند التفريق أو عدم العدل بين الأولاد، سواء في المنزل أو في المدرسة، فقد يعمد الطفل إلى تخريب أو إتلاف شيء ثم يتهم أخاه أو زميله، والغالب أن الاتهام هنا يوجه لأولئك الذين يحظون بتقدير واهتمام زائد أكثر من غيرهم.

أكاذيب الضغينة حالة شعورية يحملها الطفل تجاه الآخرين، لها أسبابها، ولعل من أهمها: التربية الخاطئة، والتي تعكس علاقة غير سوية بين الطفل والآخرين، ويلعب الجو العائلي المفكك المتوتر دوراً هاماً في هذا النوع من الأكاذيب، كذلك ترتبط بدافع اجتماعي هو حب القيادة أو السيطرة وتأكيد الذات.

وهي أكثر أنواع الكذب خطراً على الصحة النفسية، وعلى كيان المجتمع ومثله ومبادئه، لأن الكذب الناتج عن الكراهية والحقد هو كذب مع سبق الإصرار والترصد، ويحتاج من الطفل إلى تفكير وتدبير مسبق بقصد

إلحاق الضرر والأذى بمن يكرهه، ويكون هذا السلوك عادة مصحوباً بالتوتر النفسي والألم.

- **أكاذيب الأنانية (الكذب الغرضي):** يلجأ إليها الطفل حين يشعر بوقوف الأبوين حائلاً دون تحقيق مطالبه، فقد يطلب نقوداً لغرض غير الغرض الذي يريد. ومن أمثلة ذلك أن يرغب الطفل بشراء لعبة من اللعب، ويرى أن والده لن يوافق على ذلك، فيدعي أن المدرسة طلبت منهم مبلغاً من المال، ويأخذه من والديه لشراء هذه اللعبة.

وهذا النوع من الأكاذيب ينطوي على حب الذات والرغبة في التفوق والتميّز .. يجب أن نلاحظ أن حب الذات مظهر سلبي، يعبر عن أنانية الطفل الذي يريد كل شيء لنفسه سواء كان مادياً أو معنوياً أو حباً .. هنا يجب معالجة هذا الجانب كي لا يقع الطفل في دائرة الرفض الاجتماعي، وهذا يدخله في دائرة عدم التكيف والإحباط.

أما الرغبة في التفوق فهي مظهر إيجابي، يحفز الطفل على العمل والإبداع والتطور والنمو، لكن الحذر من أن ينقلب إلى أنانية .. لذلك يجب الانتباه لمسألة هامة وحساسة هي: كيف نعزز عند الطفل دافع التفوق، وفي نفس الوقت نبعده عن الأنانية وحب الذات؟

- **أكاذيب التبرير والاعتذار (الكذب الوقائي):** وهي من أكثر أنواع الكذب شيوعاً، وتحدث نتيجة تطبيق العقاب بشكل خاطئ، فدافعها الأساسي هو الخوف من العقاب .. العقاب غير المناسب من حيث ظروفه وزمانه

ومكانه وشدته وتكراره وعدم تناسبه مع الخطأ المرتكب .. كل ذلك يدفع الطفل للهروب من العقاب بطرق ملتوية منها الكذب والتبرير.

- **أكاذيب الإخلاص** (الكذب الوفاي): يكذب الطفل عادة على أصحاب السلطة عليه كالآباء أو المدرسين ليحمي أخاه أو زميله من عقوبة قد توقع عليه. ويلاحظ هذا في مدارس البنين أكثر منه في مدارس البنات، وفي المدارس الثانوية أكثر منه في المدارس الإعدادية والابتدائية .. ذلك لأن الكذب الوفاي مظهر من مظاهر الولاء للجماعة، والولاء للجماعة يقوى في دور المراهقة، ويكون عادة عند البنين أكثر منه عند البنات.

ومن مظاهر هذا الكذب أيضا أن يحاول الطفل التعبير -المبالغ فيه- عن إخلاصه لمن يحب كالآباء والمعلمين .. إن التعبير عن الإخلاص أمر طبيعي يعكس حالة تفاعل بين الطفل والآخرين، ولكن عندما يتعلق بالرغبة الدائمة للحصول على الرضا، ويتحول من وسيلة إلى غاية، سيترك أثراً سلبياً في شخصية الطفل، وقد يتحول إلى شخصية وصولية.

- **أكاذيب التقليد والمحاكاة**: قد يرى الابن أو البنت أحد الوالدين يمارس الكذب على الآخرين فيقلدهم في ذلك، ويصل الأمر في مثل هذه الأحوال إلى أن يمارس الطفل الكذب لغير حاجة بل تقليداً للوالدين.

وإذا نشأ الطفل في بيئة تقوم على الخداع وعدم المصارحة^(١)، وإظهار الشك في صدق الآخرين، فإنه لن يحسن التعامل مع المحيطين به

(١) ومن أشهر الأمثلة لذلك أن طفلاً كانت أمه توهمه بأنها تريد أن يصحبها للنزهة ثم يكتشف أنه يؤخذ للطبيب.

إلا من خلال هذه الأساليب المعوّجة، ومن ثم ينتحل الكذب في تعامله مع الآخرين.

نلاحظ مما سبق بأن الكذب مختلف الأنواع، ويختلف من طفل لآخر، ومن عمر لآخر، ومن الكذب ما ليس له أضراراً إلا إذا تعزز، وبذلك يتحول إلى ظاهرة مرضية تحتاج لعلاج.

منارات عملية

من المهم عندما نناقش لجوء طفل دون سن التكليف للكذب أن نتساءل أولاً عن الدوافع التي جعلته يكذب؟ وكذلك عن كيفية التعامل مع ذلك الكذب من المحيطين؟ وماذا إذا تكرر الكذب؟

● تلعب القدوة دوراً مهماً، فإذا سمع الطفل من والديه أقوالاً، وتبين له فيما بعد كذبهما، أصبح الكذب شيئاً عادياً في نظره، واستخدمه بنفس طريقة والديه؛ لذلك على كل مربٍّ ألا يكذب على أطفاله بحجة إسكاتهم من بكاء، أو تسكينهم من غضب، أو ترغيبهم في أمر .. فإنه إن يفعل ذلك يكون قد عوّدهم بطريق الإيحاء، والمحاكاة، والقدوة السيئة على أقبح العادات وأسوأ الأخلاق ألا وهو «الكذب»، فضلاً عن أنهم يفقدون الثقة بأقوال المربي، ويضعف جانب التأثير بنصائحه وعواطفه.

يضاف إلى ذلك وجوب اتصاف الكبار المحيطين بالطفل بالصدق بأنواعه فلا غش ولا كذب ولا تجسس ولا اختلاق أعذار ولا تفادي للمواقف. وكذلك يتحتم وجوب احترام الصادق وتقديره، مع مراعاتنا للعوامل التي تشجع الطفل على الكذب ومحاولة تلاشيها وإبعادها، وخاصة

في المدرسة حين يجتمع مع رفاقه وأصدقائه، وكذلك غضب المدرس وصراخه بالطفل مما يدفعه لتغطية خطئه بالكذب.

ومن أخطاء المدارس أحياناً عرض بعض الأعمال في المعارض على أنها من أعمال التلاميذ وتبرير ذلك، بأن جزءاً منها من أعمال التلاميذ. ويكون الواقع أن ما قام به التلاميذ من التفاهة بحيث لا يبرر عرضه على أنه من عملهم. والتلاميذ يشعرون عادة في قرارة أنفسهم بهذا، وبالتالي يتعودون الكذب والتساهل فيه وذلك عن طريق المثال والممارسة الذاتية.

• من المهم جداً توضيح الأمور للطفل بشكل جلي، وأنه حتى ولو رأى كباراً يكذبون، فإن هذا السلوك خاطئ، ولا يجوز، مع ذكر بعض القصص والأحاديث النبوية والآيات القرآنية التي تتناول مثل هذا الموضوع بأسلوب مبسط يتناسب مع مستوى الطفل ومرحلته العمرية.

• يجب تفهيم الطفل أن تغيير الحقائق يسمّى «كذباً» وهو أمر لا يحبه الله، ولا يحبه الناس، ويجعل الإنسان بعيداً عن الله وعن الناس؛ لذا فلا يجب فعله، وبالتالي يتم إقناعه لماذا الخطأ خطأ.

• من المهم أن يتعلم الطفل أن الخطأ ممكن أن يقع فيه أي إنسان، لكن يجب ألا يكرره فهذا هو ما لا يصح.

• ينبغي الاتفاق مع الطفل على أنه سيقول الصدق دائماً دون خوف من أي شيء، ويمكن دعم ذلك بالقصص التي أثار فيها الصدق إيجاباً وحمى أصحابها أكثر مما لو كذبوا.

- لا نطلب من الأطفال أن يشهدوا ضد أنفسهم، أو أن نطلب منهم الاعتراف بأخطائهم، وبدلاً من ذلك يجب جمع الحقائق من مصادر أخرى، ووضع القرارات بناءً على هذه الحقائق.
- محاولة فتح حوار مباشر وبسيط مع الطفل لمعرفة آماله وأحلامه، ورؤيته لتحقيق بعض هذه الأحلام، وإشعاره من خلال هذا الحوار بقيمته، وتدعيم ثقته بنفسه، وبأن عدم وجود هذا الأمر أو غيره من وسائل ترفيه أو كماليات لا يضره ولا ينقصه، بل إن الله تعالى خلق الناس ومايز بينهم في القدرات والإمكانات .. وغير ذلك من أمور تشعر الطفل بقيمته الذاتية، وأهميته، وتزيل منه أي إحساس بالنقص قد يستشعره لسبب أو لآخر، وذلك بأسلوب يسير مبسط، مطعم بالقصص الهادفة، وبعض الطرائف المناسبة.
- واجه الطفل بطريقة إيجابية: بمعنى لا تطلق لفظ «أنت كاذب» أو تنقده مباشرة، لأن مثل هذا الأسلوب يدفعه إلى الانتقام، ويقلل من تقديره لنفسه، ولكن بدلاً من ذلك تقول بكل هدوء: أنا أعرف أن الذي تقول غير صحيح، والكذب غير مفيد، ودعنا ننظر في الموضوع.
- استخدم أسلوب التأديب المناسب: ينبغي أن يعرف الأبناء شيئاً: أننا نفخر بهم إذا أخبرونا الصدق. وأن الكذب يترتب عليه مضاعفة العقوبة، التي من الأفضل أن تكون بالحرمان من شيء يحبه الطفل لفترة محدودة، وأن نحجم عن علاج ظاهرة الكذب في ذاته بالضرب أو السخرية أو التشهير.

- الابتعاد عن استعمال العقاب الذي يبدو أن الطفل يعفى منه لو دافع عن نفسه بأسلوب الكذب، لأن الأطفال سوف يكذبون حتى يوفروا على أنفسهم إهانات الكبار.
- لا ينبغي في الأحوال العادية إيقاع العقوبة على الطفل بعد اعترافه بذنبه، فالاعتراف له قدسيته واحترامه. ومن شأن إيقاع العقاب على الطفل في هذه الحالة، أن يقلل من قيمة الصدق ومكانته في نظره، وأما من يصر على الإنكار فلا ينبغي أن نلح في استجوابه لأن هذا نتيجه الاسترسال في الكذب والتفنن فيه.
- يمكن الاتفاق مع الطفل الكذوب على أنه لو ذكر الصدق دائماً سيحصل على مكافأة، وأن يضع لنفسه جدولاً أسبوعياً يضع فيه علامات على الأيام التي التزم فيها بالصدق .. وعلى قدر العلامات تكون المكافأة. وعليك أن تأخذ أقواله بشيء من الثقة والتقدير، وحاذر أن تظهر أمامه بمظهر الشك أو التردد سواء في حديثك أو حركاتك.
- حذار من عدم تناسب العمل الذي يكلف به الطفل مع قدرته، مما يضطره إلى استعمال الحيل للتخلص من الظهور بمظهر العجز، وكذلك عدم تناسب البيئة مع مستوى الطفل، كوجود طفل فقير في وسط غني، أو طفل غني بين أذكفاء.
- إذا كان الأطفال يكذبون -كما أشرنا- في أحيان كثيرة لتغطية نقص يشعرون به، فعلينا أن نكثر لهم من الرحلات والهوايات .. فكل هذه تعطيهم آفاق حقيقية يظهروا فيها ويتحدثون عنها، مع عدم الإكثار من مشاهدة

الأشرطة الخيالية والخرافية، وإنما الاستزادة من القصص المفيدة والواقعية.

• يجب أن نتجنب الظروف التي تشجع على الكذب.. فمثلاً: إذا كان لدينا طالب نعهد فيه هذه الخصلة، فلا نجعله المصدر الوحيد للشهادة في حادثة ما، لأن هذا يعطيه فرصة الانطلاق في عادة الكذب وتثبيتها بالتكرار والتمرن، وزيادة على ذلك فلا يصح أن يعطى الكاذب فرصة الإفلات بكذبة دون أن نكشفه، لأن النجاح في الإفلات بالكذب له لذة خاصة تشجع على تثبيته واقترافه مرة أخرى، بل تشجع أيضاً على الاسترسال في سلسلة من الأكاذيب المقصودة التي تصدر عن نفس هادئة مطمئنة.

• البعد عن استحسان الكذب لدى الطفل أو الضحك فرحاً بذلك .. فقد يبدو في أحد مواقف الطفل التي يكذب فيها ما يثير إعجاب الوالدين أو ضحكهما، فيعزز هذا الاستحسان لديه الاتجاه نحو الكذب ليحظى بإعجاب الآخرين.

• الالتزام بالوفاء لما يُوعَد به الطفل .. فالطفل لا يفرق بين الخبر والإنشاء، وقد لا يقدر عذر الوالدين في عدم وفائهما بما وعداه به، ويعد ذلك كذبا منهما.

• المحاولة الجادة وغير المباشرة لمعرفة الأسباب التي قد تدفع الطفل لمسلك الكذب، والعمل على إزالتها و علاجها.

• تذكر دائما .. الأطفال ذوو خيال عريض وكبير؛ صحيح أن هذا يكون مع الأطفال الأصغر سناً، وأنه عند بلوغ السادسة المفروض أن يصبح لدى

الطفل قدرة على التفرقة بين الواقع والخيال؛ ولكن هذا لا يمنع أن يلجأ إلى التأليف الذي نسميه «كذباً»

أما الطفل الذي يعتاد الكذب، فهو ذلك الطفل الذي لا يشعر بحب والديه ولا بدفء العلاقة بينه وبينهما، ويشعر بأنهما حين يعاقبانه ينتقمان منه.

وهو ذلك الطفل الذي لا يفهم أسباب المنع وأسباب الرفض لما يطلب منه.

وهو ذلك الطفل الذي يشعر دائماً بالقهر والذلة في التعامل وعدم التقدير لمشاعره أو احترامها.

وهو ذلك الطفل الذي يشعر بالملاحقة الدائمة، والتركيز على كل كبيرة وصغيرة في حياته.

وهو ذلك الطفل الذي يملأ عليه دائماً ما يفعل دون ترك فرصة كي يبادر هو نفسه بالكف عن ارتكاب الخطأ، وحينما يخطئ ننتبع أخطائه ونتعقبها، ولا نترك له مساحة للتراجع عنها من تلقاء نفسه.

وهو ذلك الطفل الذي يواجه دائماً بسؤال مباشر مستفز: أنت الذي فعلت هذا أو ذاك؟.

وهو ذلك الطفل الذي نكثر من عتابه ولومه على أخطائه مهما كانت بسيطة.

وهو ذلك الطفل الذي يتهم صراحة بالكذب أو يطلق عليه هذه الصفة.

كل هذا هو الذي ينشئ طفلاً يعاني من الكذب فضلاً عن الاضطرابات النفسية التي تلحقه.^(١)

(١) من مصادر البحث
- كذب الأطفال كظاهرة سيكولوجية سليمان فواز الكفيري
- الصحة النفسية للطفل د. حاتم محمد آدم
- الكذب عند الأطفال.. عادة أم مرض؟ موقع البلاغ على الشبكة العنكبوتية

اللى الصغير ... !!

في تكوين الإنسان دافع أصيل بأن تكون له أشياء تخصه، وهذا الدافع له وظيفة إيجابية في الحياة حين يكون في حدوده المعقولة، ويقوم هذا الدافع قيم دينية وشرائع وقوانين حتى لا تحدث تعديات من أي فرد على ملكية غيره، وإذا حدث هذا التعدي فهو يعتبر ذنبا في الاصطلاح الديني، يعاقب عليه الله تعالى، ويعتبر جرما في الاصطلاح القانوني يعاقب عليه المجتمع.

ويظهر هذا الدافع الفطري بصورة تلقائية لدى الطفل في نهاية السنة الأولى من عمره، ويكبر معه، فيعرف أن هذه ملابسه، وهذه لعبه، ويحرص على أن تكون له وحده دون غيره. ويبدأ من نهاية السنة الأولى بالتمسك بملكياته لأشياءه الخاصة، ويمنع الآخرين من أخذها، وإذا حدث أن سلبه أحد شيئا من لعبه فإنه يبكي ويضرب الأرض بيديه ورجليه محاولا استردادها.

ومع هذا فإن حدود الملكية لا تكون واضحة لدى الطفل في سنوات عمره الأولى، فهو يريد أن يمتلك أي شيء يعجبه، ويستعين بوالديه للحصول على الأشياء التي يحبها ولا يستطيع الحصول عليها، فإذا كبر قليلا وأصبح هو نفسه قادرا على أخذها فإنه لا يتردد في ذلك؛ إذ ليس عنده سبب يمنعه من أن يأخذ ما يحبه.

وهنا يأتي دور التربية الأسرية التي تعلم الطفل بأسلوب بسيط يستوعبه عقله الصغير بأن هناك أشياء تخصه وهناك أشياء تخص إخوته، ولا يصح أن يأخذ ملابس أخيه أو أخته أو لعبهما، وهم أيضا لن يأخذوا منه شيئا يخصه، وهنا تبدأ أول دروس حدود الملكية والأمانة .. وليتم ترسيخ هذه القيم في عقل الطفل ووجدانه يجب أن يكون له سريره ودولابه وملابسه ولعبه التي لا يشاركه فيها أحد.

وفي الوقت نفسه الذي يتعلم فيه الطفل معنى الملكية يجب أن يتعلم أن هناك شيئا اسمه «الاستئذان» فإذا أحب - مثلا - أن يلعب لبعض الوقت بلعبة أخيه فيمكنه ذلك بعد أن يستأذن أخاه، ثم نعلمه أن هناك شيئا عظيما اسمه «الإيثار» وذلك بأن يعطي لأخيه بعض لعبه ليلعب بها بعض الوقت، وأن هناك خلقا عظيما اسمه «الأمانة» وهي عدم التعدي على أشياء إخوته أو أبيه وأمه أو رفاقه، وأن الله تعالى -الذي خلقه وأحبه ومنحه والديه وكل شيء في حياته- يحب هذه الأمانة، ويكره أن يأخذ أحد شيئا ليس من حقه، وأنه يراه سبحانه حين يفعل ذلك، حتى لو لم يره أحد من البشر .. وهكذا تكون هناك فرصة في سن مبكرة لإرساء هذه القواعد المهمة والأصيلة بشكل مبسط في سلوك الطفل .. أما إذا فشلت هذه العملية التربوية فإننا نواجه مشكلات كثيرة ربما يصعب حلها في السن الأكبر.

وتعتبر السرقة من الأعراض الشائعة لدى الأطفال في بواكير طفولتهم، إلا أنها تزجج الوالدين بشدة؛ خوفا من أن تصبح سلوكا دائما لابنهم حين يكبر، فضلا عن أنها تؤدي إلى خلق جو من عدم الثقة في

البيت؛ حيث يكون الطفل محل اتهام دائم مع أي شيء يُفقد في المنزل، وربما يتعرض لعقاب شديد نتيجة لذلك بحق أو بغير حق.

أعرف طفلك

السرقعة عند الأطفال في مرحلة الطفولة المبكرة (٣ - ٤ سنوات) لا يمكن اعتبارها سرقة بمفهومها الدقيق، لأن الطفل في تلك المرحلة يتحرك وفقاً لغريزة حب التملك وهو ما يعرف بظاهرة «التمركز حول الذات»، حيث نجد الطفل يجهل تماماً معنى الملكية، بل ويعتقد أن كل ما في هذا الوجود ملكه، فيأخذ الأشياء علانية بدون خُفية، لأنه لا يعرف معنى السرقة، يدفعه في ذلك حبه للتملك وعدم معرفته بما له من حقوق وما عليه من واجبات تجاه الآخرين.

أما في المراحل العمرية التالية (٥-٨ سنوات) فيعلم الطفل أن السرقة سلوك خاطئ، وقد يعلم عواقبها المؤلمة، ولكنه يفعل ذلك تحت تأثير العديد من الأسباب والدوافع، وقد يتطور الأمر ليصبح جنوحاً في عمر (١٠-١٥ سنة) وقد يستمر الحال حتى المراهقة المتأخرة.

أسباب ودوافع

● العلاقة الجافة بين الطفل ووالديه والتي تأتي نتيجة عدم إشباع حاجته من الحب والحنان، أو لتعرضه للعقوبة القاسية، أو لشدّتهما في التعامل معه في المرحلة الأولى من عمره، أو لعدم تعزيز شعوره بالاستقلال في المرحلة الثانية من عمره .. كلها عوامل تدفع بالطفل في كثير من الأحيان إلى السرقة كفعل انتقامي.

● شعور الطفل بالحرمان: وقد يكون حرمانا «ماديا» كأن يسرق الطفل الطعام لأنه جائع، أو ثمرة فاكهة من السوق لأنه يشتتها، أو لعبة غيره لأنه محروم منها، أو نقودا من حقيبة والدته لأنه لا يأخذ مصروفا كافيا كباقي زملائه.

وقد يكون الحرمان «معنويا» كأن يكون محروما من الأمان بسبب انفصال والديه، أو محروما من الحب بسبب تفضيل الوالدين لأخيه الأصغر، أو فتاة محرومة من الحب والتقدير لأنها غير جميلة، أو محرومة من الأم وتعيش مع أبيها وزوجته التي تسيء معاملتها .. وأي نوع من هذا الحرمان ربما يؤدي بالطفل إلى السرقة، وكأنه يستعيد الحب أو الأم أو الاعتبار المفقود.

● «التدليل المفرط» من الآباء تجاه الأبناء، حيث تلبي جميع رغبات الطفل على الفور، وبدون مناقشته في مدى احتياجه لها، مما يؤدي إلى غرس نوع من الأنانية وحب التملك في نفسيته، وعدم القدرة على الانتظار والصبر، أو تحمل الإحباط، فيلجأ للسرقة كأسهل حل للحصول على ما يريد.

أيضا «التدليل الزائد» يجعل الطفل يتعود على أن الحياة أخذ دون عطاء، ويُشعر الطفل بأن ما للغير يمكن أن يكون له دون أن ينال عقاب .. الأمر الذي يجعل أي منع له من الحصول على شيء يريده -كما تعود- دافعا للسرقة.

- قد يسرق الطفل الذي يعيش في جو أسري متقلب ومضطرب، تنعدم فيه الرقابة الأسرية، أو في أسرة متصدعة اجتماعياً، مهتزة القيم.
- البيئة غير السوية: فيكتسب منها القيم الإجرامية التي بها يستحل السرقة ويستمرئها. ويندرج تحت هذا الأمر أسلوب معاملة الوالدين المتساهل تجاه الطفل عندما يسرق، كأن لا ينال الجزاء المناسب أو يقابل تصرفه بعدم الاهتمام والمبالاة، فإن ذلك يشجعه حتماً على التماهي في سلوكه وترسيخه.
- التقليد والمحاكاة؛ فقد ينفعل الطفل بنموذج سيئ فيقلده دون دراية، والخطر أن يكون هذا النموذج أحد الوالدين، كأن يرى الطفل يد أمه تمتد إلى حافظة أبيه في غيابه وتأخذ منها النقد خلسة.
- السرقة بهدف تدعيم احترام الذات بين الأقران: فشعور الطفل بالعزلة في المرحلة الثانية من عمره - وهو الوقت الذي يؤهله لاتخاذ موقعه في المجتمع وبين أقرانه - يعد جزءاً من تعاسته، ولذا يندفع إلى السرقة لإغراق أصدقائه بالمشتريات والهدايا في محاولة لكسب ودهم نحوه، بعد أن فشل في كسبهم وجدانياً لضعف شخصيته، أو يريد أن يتباهى أمام أقرانه بفعله البطولي في السرقة، لينجذبوا نحو شخصيته القوية كما يتصور.
- بعض الأطفال قد يسرق في مواقف تنار فيها غيرته الشديدة «سرقة انتقامية» .. كأن يسرق من والديه لأنهما انصرفا عنه بالمولود الجديد، أو يسرق من صديقه لأنه يشعر بالضيق منه ولا يستطيع مواجهته.

● الخوف من العقاب والتخلص من مأزق: في بعض الأحيان يفقد الطفل إحدى لعبه وهو يلعب مع زملائه خارج المنزل، فيخشى من إخبار والديه بذلك خوفاً من عقابهما، وللتخلص من هذا المأزق يلجأ الطفل لسرقة اللعبة من أحد زملائه أو يسرق نقود من والديه ليشتري لعبة أخرى لإخفاء فعلته واتقاء لعقاب والديه.

● سيطرة أصدقاء السوء: خاصة أطفال الأسر المفككة، أو الأطفال منخفضي الذكاء.

● السرقة كنوع من حب المغامرة والاستطلاع: فقد نرى بعض الأطفال ينتظرون غياب حارس الحديقة للسطو على قليل من ثمارها التي قد لا تكفي طيراً، إلا أن دافع السرقة هنا ليس الجوع والحرمان ولكنه حب الاستطلاع والمخاطرة وروح المغامرة، بل قد يسرق الطفل - تحت هذا الدافع - طعاماً لم يره من قبل ولم يتذوقه.

● بعض وسائل الإعلام: تركيز بعض وسائل الإعلام وألعاب الكمبيوتر على أحداث تنطوي على السرقات، والأساليب التي تمارس كالخداع، وإظهار السارق بالبطل والمقدام .. يعطي نماذج تؤثر على البناء القيمي للأطفال، وعلى دور الأسرة، حيث تمثل الوسيلة الإعلامية فرصة لتعزيز سلوك السرقة ودعمه لدى الطفل، بدلا من فرصتها في إطفاء أو كف هذا السلوك لديه.

● قد تكون السرقة مجرد عادة للطفل منذ الصغر، لم تكتشف مبكراً، أو لم تقوم من قبل الوالدين، خاصة وأن الطفل يكتسب معنى الملكية تبعاً لما

يشاهده ويسمعه ويختبره بنفسه .. فهناك أسر لا تقيم حدودا لملكية الأشياء بين أفرادها، فأدوات الطعام والشراب واللعب مشاعة للجميع ودون تفرقة، وبعض الأسر تسمح لأولادها باستخدام أدوات بعضهم البعض دون توفير شيء واحد يخص طفلا وشيء آخر يخص أخيه، ودون تفرقة بينهما في المعاملة بالطبع، وفي بعض الأسر يسمح للأولاد أن يلبس بعضهم ثياب بعض، وفي مثل هذه الظروف لا نستبعد أن نجد أطفالا يميزون بصعوبة شديدة بين ما يملكونه والذي لا يدخل في ملكيتهم.

● التوتر الداخلي عند الطفل؛ كالاكتئاب أو الغيرة من الطفل الجديد بالأسرة، فيحاول بالسرقة أن يكتسب الشعور الداخلي بالارتياح.

● قد تكون السرقة مرتبطة بنوع من الصراع العقلي، وخاصة ذلك النوع من الصراع الذي يتصل بالميلول الجنسية، فكثيراً ما يتصل بالسرقة عندئذ أمور أخرى مثل العادة السرية والشعور بالإحباط والضعف، مما يدفع الفتى إلى الظن بأنه لا قيمة لشيء في الحياة، وأنه لن يفقد أكثر مما فقد، إذا هو أضاف إلى ذنوبه ذنباً جديداً وكثيراً، ما يجد الفتيان الذين تشتد عندهم الأوهام الجنسية ما يخفف عنهم عبئها في النشوة التي تبعثها السرقة.

● إصابة الطفل بمرض نفسي أو عقلي، أو بسبب كونه يعاني من الضعف العقلي وانخفاض الذكاء، مما يجعله سهل الوقوع تحت سيطرة أولاد أكبر منه قد يوجهونه نحو السرقة .. فالطفل المتخلف عقليا لا يدرك ما له وما عليه لقصور قدراته العقلية .. إن طفل في العاشرة «العمر

الزماني» وعمره العقلي في «الثالثة» تجده يسرق أغراض غيره لأنه لا يدرك معنى السرقة شأنه شأن طفل الثلاث سنوات.

انتبه لطفلك

السرقة إحدى العادات السلوكية السيئة المكتسبة التي لا ترجع إلى أية دوافع فطرية، فهي إذا ليست حتمية، وبالتالي يمكن تجنبها إذا ما نجحنا في تربية أطفالنا تربية صالحة، وحذرناهم من عواقب هذا السلوك الذي لا يجلب لهم إلا الشر والأذى.

وأول طريق العلاج مع الطفل المبتلى بهذه العادة يتمثل في النظر في الأسباب والدوافع التي أدت للسرقة، ومحاولة تذليلها .. لا بد إذن أن نقف على الغاية التي تحققها السرقة في حياة الطفل الانفعالية، وأن نبذل عندئذ ما نستطيع من جهد لعون الطفل على إشباع هذه الرغبة الانفعالية على وجه يرضاه هو ويقبله الله - عز وجل - وبالتالي يقبله المجتمع.

وسواء أكانت السرقة مجرد وسيلة نحو غاية يعمل الطفل على تحقيقها، أم كانت غاية في نفسها، فلا بد أن نعمل على ألا يجني الطفل من سرقة إلا الخسارة، أي أنه يجب على الآباء أن يدبروا الأمر حتى لا تحقق السرقة الغاية التي كانت تبتغي منها.

منارات عملية

■ الطفل دوما لا يسرق من أحد يحبه، فمشاعر الحب والحنان الأبوي للطفل بلسم يعالج الكثير من مشاكله السلوكية.. اشبع حاجة طفلك إلى المحبة والعطف حتى لا يجد حرجاً في البوح لك بكل ما يختلج في صدره،

ويعبر عن سائر رغباته دون أي خوف .. وعامله برفق، واستجب إلى طلباته المعقولة الممكنة، واعتذر عن إجابة ما تعجز عن تحقيقه، وكن صريحاً وصادقاً في اعتذارك عن عدم إجابة بعض تلك الرغبات.

■ طفلك يعيش في مجتمع صغير يضم أطفالاً آخرين مثله، وينبغي أن يتوفر له في ملبسه ومظهره وأدواته ولعبه ونشاطاته المختلفة ما يتوفر لغيره من الأطفال، حتى لا يكون شعوره بالنقص دافعاً له لسلوك أساليب غير سليمة.

■ أتح الفرصة لطفلك لاستخدام النقود بتخصيص مصروف جيب يومي مناسب له، يتصرف فيه بحرية، لاستكمال ما قد ينقصه وما قد يحتاج إليه خلال اليوم من أدوات مدرسية أو حلوي أو اشتراكات مالية تطلبها المدرسة لتزيين الفصل أو إقامة احتفال رياضي أو معرض مدرسي .. وراقب استخدامه لنقوده الخاصة مع ترشيد ذلك الاستخدام برفق، ودون أن يشعر بعبء التدخل الدائم في شؤونه الخاصة .. واسمح له بأن يتصدق أو يحسن إلى المحتاجين من تلك النقود.

■ لا بد من احترام خصوصيات الطفل قبل أن نطالبه باحترام خصوصيات الآخرين، وأن نكون أمامه قدوة صالحة ونموذجاً طيباً يحتذي به، مع الحرص على ربط جسور التواصل وتكوين علاقة حميمية معه ملئها العطف والحب والحنان.

■ ينبغي أن يشعر الطفل دوماً بانتمائه الكامل إلى الأسرة، فهو أحد أفرادها ويتحمل المسؤولية على قدر نضجه في الحفاظ على مصالحها

وممتلكاتها، لذلك لا ينبغي أن يشعر الطفل بأنه لا يستطيع فتح الأدراج أو الخزانات بل على العكس من ذلك ينبغي أن يكلف بإحضار أشياء معينة من الدرج أو الخزانة مع توجيهه إلى الحرص على الأشياء المحفوظة حتى لا تتبعثر أو تضيع، لأنها ملك الأسرة وسوف تحتاج إليها في وقت ما.

■ من الضروري تعليم الطفل معنى وكيفية استعارة أشياء الآخرين، وآداب الاستئذان، وكيف أن سطوه على ممتلكات الآخرين خطأ كبير، يغضبهم منه ويؤذي مشاعرهم، كما أنه يجعل الآخرين لا يثقون به ولا يحترمونه، فضلاً عن خسارته ل صداقتهم، والسمعة السيئة التي تلحق به.

■ ترسيخ قيم الأمانة والصدق ومراقبة الله تعالى في نفوس أطفالنا، ليفرقوا بين الحلال وبين الحرام .. ويشرح الآباء والمعلمون أمام الأطفال في عبارات سهلة ميسرة خطورة جريمة السرقة، مشيرين إلى أن حدّ السرقة الشرعي هو «قطع اليد الخائنة» التي تتعدى على حقوق الآخرين بشروط معلومة .. ونروي لهم قصصاً من الحياة لأولئك الأشخاص الفقراء الذين يجدون مبالغ طائلة ولا تحدثهم أنفسهم بسرقتها .. ونشرح لهم أن هؤلاء الذين يتمتعون بضمير حي ويعلمون أن الله سبحانه وتعالى رقيب عليهم في كل حين، هم الذين يجازيهم الله تعالى أحسن جزاء في الدنيا والآخرة.

■ توفير الأجواء الإيجابية والسليمة، حقاً من الحقوق التربوية لكل طفل.. فليس من البر أن يتربى الطفل في أجواء تطفح بالجريمة والاستهانة بالقانون، والاعتداء على حقوق الآخرين. ولا من المناسب أبداً أن يترعرع

في أسرة تمارس الجريمة .. لابد من تطهير ذهن الطفل من النماذج السيئة، والمُثل القبيحة، ووسائل الإعلام لابد وأن تخضع لتقييم جديد ورقابة صارمة بحيث لا تنعكس عنها بشكل مباشر أو غير مباشر نماذج تربوية قبيحة، وعلى المربين وأولي الأمر أن يكونوا من أنفسهم قدوات صالحة ليقّدي بها الطفل نحو الإصلاح والصلاح.

■ عند اكتشاف سرقة الطفل لا ينبغي تهوين الذنب أو إخفائه حماية للطفل أو لسمعة أهله، بل ينبغي مواجهة الطفل بحزم وقوة، ولا نقصد بذلك القسوة والشدة والتشهير، بل يكفي أن يفهم الطفل أن هذا العمل غير صحيح وغير مسموح به، ولابدّ من إرجاع ما أخذه إلى أصحابه والاعتذار منهم.

■ البعد التام عن العقاب البدني المبرح أمر ضروري لسلامة البناء النفسي للطفل، ولكي تدوم الثقة والصراحة بينه وبين المربي، وحتى لا يلجأ إلى الأساليب المرضية في السلوك لكي يرضي السلطة، ومن تلك الأساليب: الكذب والغش والتزوير، وهي تؤدي إلى الانحراف والسرقة.

■ بعد استيعاب الطفل سلوكه الخاطئ وعواقبه، لابد من أن نتفاعل معه إيجابياً ونشجعه على إصلاح موقفه وتحمل مسؤولية خطئه: كإعادة الغرض المسروق من المحل، والاعتذار اللبق للتاجر، وإذا كان الطفل أتلف اللعبة التي سرقها فنشجعه على دفع ثمنها واقتطاع ذلك من مصروفه، أما إذا كان أخذ شيئاً ما من صديقه في المدرسة فنطلب منه أن يرده بنفسه، ويعتذر له ويعدّه بعدم تكرار ذلك.

■ لا تسرف في إذلال الطفل بإطلاق كلمة «سارق .. لص» عليه، ولو على سبيل المزاح، أو توبيخه أمام أحد مهما كان قريبه، أو ذكر هذا الأمر أمام الغرباء والأقران، وعدم خلط الحسابات مع بعضها.. فإذا كسر الطفل إناءً – مثلاً - وأراد والده توبيخه فلا ينبغي مواجهته بقوله .. أيها اللص لماذا كسرت الإناء ؟!

■ حين تصبح السرقة سلوكاً متكرراً ومزمناً لدى الطفل، وحين تفشل جهود الوالدين لاحتوائه.. هنا يجب عرض الطفل على طبيب نفسي لدراسة الحالة واكتشاف الاضطرابات المرضية أو المشكلات التربوية الكامنة خلف هذا السلوك. وربما يحتاج الأمر إلى إجراء بعض الاختبارات النفسية كاختبارات الذكاء والاختبارات النفسية التي تقيس درجات القلق أو الاكتئاب أو العدوان، والعلاج ربما يكون في صورة إعطاء بعض الأدوية المناسبة، أو في صورة علاج نفسي فردي أو علاج سلوكي أو علاج عائلي، حسب مقتضيات الحالة.^(١)

(١) من مصادر البحث

- نصائح للآباء لحماية أطفالهم من الانحراف إلى السرقة محمد علي قطب الهمشري
- من أين لك هذا سوسن سعيد
- مشكلات الأطفال اليومية د/ دوجلاس توم.
- تربية الأولاد في الإسلام د. عبد الله ناصح علوان

قضم الأظافر .. العادة العصبية

يعتبر قضم الأظافر من العادات القهرية الشائعة في الطفولة وبين الكبار، وكثير ممن يقضمون أظافرهم يستمرون في قضمها بصورة متكررة، بحيث تبدو الأظافر قبيحة أو تدمى، ومعظمهم لا يستطيعون التخلص من تلك العادة مع التقدم في العمر.

والطفل الذي يقضم أظافره، هو بشكل عام، حيوي كثير الحركة، ولكن قليلاً ما يعبر عن مشاعره أو حساس لدرجة مفرطة. ويقف الضغط النفسي خلف إصابة الطفل بهذه العادة (التوتر والقلق وضغوطاً في المنزل أو في المدرسة..)، وذلك كنتيجة لعدم استطاعته التعبير عن قلقه ومخاوفه. لذا، يصبح قضم الأظافر مجرد تفريغ عما يدور في داخله.

وإذ يعتبره عدد من الأطباء تصرفاً غريزياً على غرار مص الإصبع، غالباً ما تهدأ حالة الطفل المتوترة بعدها، أي أن العادة العصبية تساعد في التغلب على القلق والبقاء هادئاً في المواقف الصعبة، إلا أن قضم الطفل ظفره حتى يسبب لنفسه جروحاً جلدية، يجعل القلق عليه مبرراً، لأن ذلك يدل على أن هناك عدوانية تجاه الذات، ويحتاج في هذه الحالة إلى مساعدة نفسية من قبل اختصاصي.

الدوافع

♦ القلق والتوتر العصبي، فيلجأ إلى ممارسة هذه العادة لإفراغ توتره، والتعبير عن قلقه.

♦ حدوث تغييرات كثيرة في حياة الطفل في وقت واحد، كانتقاله إلى بيئات خاصة (الحضانة مثلاً) أو إصابته ببعض الأمراض الجسدية الطويلة المدى.

♦ وصول مولود جديد للأسرة، وهذه قد تعتبر صدمة شديدة للطفل، وقد لا نشعر نحن بذلك.

♦ كثرة منع الطفل في المدرسة أو البيت عن أشياء يحبّها، مثل اللعب.

♦ سوء التوافق الانفعالي، بمعنى أنّ الطفل يقوم بقضم أطافره رغبةً في إزعاج والديه، أو قد تكون هذه العادة عقاباً من الطفل لنفسه نتيجةً لشعوره بالسخط على والديه وعدم استطاعته تفريغ شحنته فيهما، فتتجه تلك المشاعر العدوانية التي يكتنّها لهما نحو ذاته.

♦ الضغط على الطفل بالطلب منه القيام بأمور تفوق قدراته، فيشعر بالخوف من تحقيق أي شيء، مما ينعكس هذا الخوف في صورة قلق وتوتر. ويكون قضم الأطافر، من مظاهر هذا القلق أو قد يكون ردة فعل لقيام أحد الوالدين بضربه أو توبيخه.

♦ تقليد الطفل لأقرانه في المدرسة أو لأحد في المنزل.

♦ ضعف الرقابة من قبل الوالدين، والسماح للطفل بهذه الأفعال دون إرشاد أو توجيه.

♦ معاناته من الضعف العقلي.

في دائرة الضوء

أعلن عدد من أطباء علم النفس بلندن أن معظم الرجال والنساء الذين يقضون أظافرهم كانوا يمارسون هذه العادة منذ الصغر حتى اعتادوا عليها، وأن قضم الأظافر مؤشر واضح على التوتر أو القلق، وهي عادة شائعة في سن الطفولة؛ فالدراسات تشير إلى أن ٤٠ % من الأطفال الذين تتراوح أعمارهم ما بين خمسة أعوام وثمانية عشر عاماً يقضون أظافرهم، بل إنهم لا يكتفون بالظفر ويصل الأمر حتى الجلد الموجود على جانبي الظفر، فينتج عنها تشققات تساعد في حدوث العدوى الميكروبية والفطرية، أو ربما ضعف الجسم نتيجة السموم الموجودة في الأظافر.

وفي دراسة أخرى أشار باحثون إلى أنه -ونتيجة للعب في ظروف غير نظيفة داخل البيت أو خارجه- يتراكم الرصاص على الأظافر، والمعروف عن الرصاص أنه مادة سامة، ويؤدي إلى مشكلات في النمو عند الأطفال، ويؤذي الخلايا العصبية والتي بدورها تقلل من معدل الذكاء. وقضم الأظافر قد يفسر سرّاً ارتفاع نسبة الرصاص لدى بعض الأطفال؛ ففي روسيا وجد الباحثون من خلال دراساتهم أن اثنين من كل ثلاثة أطفال في بعض المناطق يعانون من مستويات عالية بشكل مقلق من الرصاص، واعتمدت مستويات الرصاص عند الأطفال على ما إذا كان الأطفال يعيشون في مناطق صناعية مزدحمة أو معتادين اللعب بالتراب، ومن ثم قضم أظافرهم أو أنهم اعتادوا قضم أقلام الرصاص، ومن المعروف وجود الرصاص بصورته الطبيعية في التربة، كما أنه يوجد في

الفواكه والخضار التي يتناولها بعض الناس دون غسلها، لذا من المهم أن تحرص الأم على نظافة طفلها والطعام الذي يُقدّم له.

منارات عملية

تساهم هذه الخطوات –إن شاء الله تعالى- في جعل الطفل يتخلّى عن هذه العادة السيئة، وذلك وفق الشكل التالي:

♦ بما أن الطفل يكون غير مدرك لعادته هذه وعواقبها فيجب على الأهل في المرحلة الأولى توعيته بسلبيات هذه العادة، والطلب منه التخلي عنها من خلال إقامة حوار هادئ ومريح، ومراعاة البعد تماماً عن توبيخه أو انتقاده أو معاقبته؛ لأن ذلك من شأنه تطوير العادة العصبية.

♦ حسن معاملة الطفل، وإحاطته بالموّدة والحب، وتوفير الجو النفسي الهادئ له، وإبعاده عن مصادر الإزعاج والتوتر.

♦ يجب على الوالدين محاولة التحدّث مع الطفل للتعرفّ على الأسباب التي تشعره بالقلق والتوتر.

♦ يجدر بالوالدين إدراك أنّ هذه العادة تشير بوضوح إلى مشكلة تزعج الطفل، وأن يحاولوا التعرفّ عليها. وفي هذا الإطار، عليهما أن يتجنّبا إظهار الانزعاج له، إذا كان يمارس هذه العادة، كما يجب عليهما الابتعاد عن استخدام أسلوب التعنيف أو الضرب، لأنّ هذه الأساليب تزيد من خوف الطفل، ممّا يزيد من شعوره بالقلق والتوتر ويعجز عن إراحة يديه.

- ◆ ضرورة البعد عن معايرة الطفل بسلوكه كي لا يحاول القيام به في الخفاء، فيُصاب بالإضافة لهذه العادة إلى انعدام الرقابة الذاتية عنده، فيتعتمد القيام بهذا السلوك غير المرغوب بعيداً عن عيون من حوله.
- ◆ في بعض الحالات قد تفيد مناقشة الطفل وإقناعه بضرورة إقلاعه عن هذه العادة المنبوذة من قبل الآخرين.
- ◆ تقليم أظافر الطفل أولاً بأول، وعدم تركها تطول.
- ◆ وضع مادة مرّة على أظافر الطفل بشرط تعريف الطفل بالهدف من ذلك، وهناك مستحضرات تستعمل خصيصاً لهذا الغرض.
- ◆ العلاج السلوكي، ويمكن إشراك الطفل في هذا العلاج بأن يكون له دور مباشر، وهذا يعتبر أيضاً نوع من العلاج بالإيحاء، كأن نطلب منه يومياً أن يدهن أصابعه بزيت الزيتون.
- ◆ إشغال الطفل بأنشطة متنوعة تمتصّ الطاقة والتوتر، كألعاب العجين والصلصال، والرسم .. أي إتباع أسلوب التشتييت ولفت انتباهه بأشياء أخرى مفيدة.
- ◆ مكافأة الطفل مادياً ومعنوياً في تعزيز عدم قضم الأظافر، فالثواب يفيد أكثر من العقاب.
- ◆ التخلص من هذه العادة تتطلب من الأهل الوقت والمثابرة، لذلك عليهم أن يتذكروا باستمرار مدح سلوك صغيرهم الحسن حتى يختفي هذا السلوك تدريجياً.

مص الإصبع .. عندما يدخل دائرة الخطر

غريزة الامتصاص هي أقوى الغرائز عند الرضيع، وكيف لا؟ أليس اسمه الرضيع؟ أي إنه يرضع .. تأمل الطفل بعد ولادته حين يلامس فمه حلمة ثدي أمه مرة .. إنه يبدأ امتصاصها بلا تفكير، وبدون هذه الغريزة لن يستطيع مثل هذا الرضيع أن يعيش، فكل غذائه في شهوره الأولى يكون عن طريق المص من الثدي أو زجاجة الحليب.

إن الطفل حين يرضع يحاول إشباع غريزتين هما: «غريزة الامتصاص» و «غريزة الجوع»، وحين يتناول زجاجة الحليب ويفرغها، تبعدها الأم عن فمه حتى لا يمتصّ الهواء ويصاب بالمغص، وعادة يكون قد شبع تماما، ولكن هل أشبع غريزة الامتصاص؟ هل تمتع بالامتصاص للمدة التي يشاؤها؟

هذا أمر مشكوك فيه جدا، وخصوصا إذا كبر في السن واستطاع أن ينهي زجاجة الحليب بسرعة .. ولعل كثيرا من الأمهات يلاحظن أن الطفل يقاوم من يحاول نزع حلمة زجاجة الحليب من فمه بعد فراغها ويتعجبين من هذا، فهن يفسرنه بأنه جوع بالرغم من كفاية كمية اللبن، ولكن الواقع أن الطفل يحتاج إلى إشباع هذه الغريزة المسيطرة «غريزة الامتصاص» حتى بعد أن انتهى جوعه.

أما عند راضع الثدي «الرضاعة الطبيعية» فإن الأم تتركه يرضع حتى يشبع، ويترك الثدي بنفسه، وهو هنا يعلن إشباع جوعه ورغبته في

الامتصاص معاً، ولذا لوحظ أن نسبة ماصي الإبهام تزيد كثيراً بين الأطفال الذين يتناولون زجاجة الحليب عن أولئك الذين يرضعون ثدي أمهاتهم .. فالأول حين يفرغ تدفع أمه زجاجة الحليب عنه سواء رغب أم لم يرغب، والثاني يرضع وفق هواه حتى يترك الثدي في كبرياء المستغني.

فتش عن الرضاعة

يرجع المختصون أسباب عادة «مص الإصبع» لدى الوليد الحديث إلى عدم اكتفائه بالرضاعة، فقد أثبتت الأبحاث أن نسبة تعود الطفل الرضيع الذي ترضعه أمه كل ثلاث ساعات على مص إصبعه، أقل بكثير مما هو عليه لدى الطفل الذي ترضعه أمه كل أربع ساعات.

ومن الحقائق المهمة الأخرى التي أثبتتها البحوث الطبية –أيضاً- أن الطفل الذي تقل عنه فترة الرضاعة من عشرين دقيقة إلى عشر دقائق (بسبب ضمور حلمة ثدي الأم مثلاً) أكثر عرضة للتعود على مص الأصبع من الطفل الذي يرضع فترة عشرين دقيقة.

ولهذه جميعاً فإن أي عامل يؤدي إلى عدم اكتفاء الطفل من الرضاعة، وعدم حصوله على الغذاء الكافي يؤدي إلى لجوئه لمص إصبعه كحالة من التعويض والتعود.

ومن هذا المنطلق لا بد من تنبيه الأم أن لا تتخوف من كون طفلها في هذه المرحلة يمص أصبعه لدقائق معدودة قبل موعد رضعته، لكن عليها أن تحترس عندما تلاحظ طفلها وهو يمص أصبعه بعد الرضعات أو بينها، ولا بد لها أن تختار الطريقة المناسبة التي تجعل الطفل يكتفي بالرضعة.

ومن الحقائق المهمة التي لا بد للام من معرفتها أن تفرق بين عادة مص الأصبع وبين محاولة الطفل لمص يديه أو أبهامه قبل فترة التسنين. وظهور الأسنان اللبنية عند الطفل عادة ما تكون خلال الشهر السادس إلا أن بعض الأطفال يسننون في الشهر الثامن من العمر، فإذا ما تأكدت الأم إن الحالة نفسها هي: تعود طفلها على مص أصبعه، يصبح لزاماً عليها التفكير الجاد في زيادة وقت الرضعة الواحدة وزيادة عدد الرضعات المعطاة له في اليوم الواحد.

وهنا قد تتساءل الأم: متى انتبه لهذه الحالة؟ الجواب أن الوقت المناسب لملاحظة هذه الحالة في اللحظة التي يبدأ فيها الطفل محاولة مص إصبعه، وليس كما هو سائد أن الأم تفكر في تلك العادة عندما يكون الطفل قد تعود عليها، لأن الأطفال في الشهر الأول من العمر يبدؤون محاولة مص أصابعهم، لكن وبسبب عدم قدرتهم السيطرة التامة على العصب العضلي نراهم يجاهدون للوصول إلى وضع أصابعهم في أفواههم، وعندما تنجح أياديهم في الوصول إليها يبدؤون بالمص الشديد، وهذا ما يبرهن على حاجتهم الماسة لزيادة وقت الرضاعة أو عددها.

أهمية الرضاعة الطبيعية

أثبتت البحوث الطبية أن الأطفال الذين يرضعون حليب الأم لا يتعودون على أصابعهم بالنسبة العالية نفسها التي لدى الأطفال الذين يرضعون من قنينة الحليب، والسبب أن الأم في هذه الحالة أكثر إحساسا بحاجة طفلها الحقيقية إلى الحليب، أما إذا بدأت محاولات الطفل مص

أصبعه على الرغم أنه يرضع من ثدي أمه، فذلك يستدعي زيادة وقت الرضاعة كما أشرنا آنفاً.

وقد تستغرب الأم متسائلة: هل أَرْضع طفلي طوال اليوم دون انقطاع؟ والجواب: لا، لكنها تتمكن من إرضاع الطفل بحيث لا يزيد وقت الرضعة على أربعين دقيقة، لأن الطفل يأخذ كمية كبيرة من حليب الأم في الدقائق العشر الأولى من الرضعة، أما ما يتبقى من الوقت فإنه يرضي حاجته إلى «المص» مع كميات قليلة جداً من الحليب.

وبعبارة أخرى: أن كمية الحليب المعطاة إلى الطفل خلال فترة رضاعة ٣٥ دقيقة قد تزيد قليلاً عما هي عليه خلال فترة رضاعة عشرين دقيقة. وهذا ما يثبت وبشكل قاطع أن الرضاعة الطبيعية تتكيف مع حاجة الطفل.

الرضاعة من قنينة الحليب

تبدأ عادة مص الإصبع بالتكون لدى الأطفال الرضع بواسطة قنينة الحليب حالما يبدؤوا بالتعود على إنهاء حليب القنينة الواحدة في فترة عشر دقائق بدلاً من عشرين دقيقة، ويحدث هذا بسبب تعاضم قوة عضلات المص لدى فم الطفل مع النمو المستمر، بالإضافة إلى أن حلمة قنينة الحليب البلاستيكية سرعان ما تكبر فتحتها مما يؤدي إلى قلة فترة الرضاعة، مما يستدعي إبدال حلمة القنينة بواحدة جديدة تضمن فترة أطول من الرضاعة لترضي بذلك حاجة الطفل إلى المص، ولا يعني ذلك أن تكون فتحة حلمة القنينة صغيرة جداً مما يؤدي إلى صعوبة الرضاعة.

مص الإصبع بعد الشهر السادس

عادة مص الإصبع بعد عمر ستة أشهر تختلف تماماً عما هي عليه قبل ذلك، فالطفل بعد هذا العمر يبدأ بمص إصبعه عند شعوره بالتعب أو الانزعاج أو الضجر أو محاولة النوم، وهو يرضي بذلك العديد من الحاجات النفسية والاجتماعية، فالذي يمص إصبعه في الشهر الأول تعبيراً عن عدم الاكتفاء بالرضاعة تتحول لديه الحالة بعد الست أشهر الأولى لتعبر عن الشعور بعدم الارتياح، ولهذه الأسباب فليس هناك أي حاجة لزيادة وقت أو عدد الرضعات بعد العمر المذكور.

إن عادة مصّ الإصبع يجد فيها الطفل الراحة والهدوء والتسلية، وذلك أنه في كل مرة يحسّ فيها الطفل بألم الجوع يضطرب ويبكي، فيعطى الثدي أو زجاجة الحليب فيمصّ، ويحصل بذلك على الحليب فيشبع ويرتوي، ويزول اضطرابه فيهدأ، ومع التكرار تقترب لديه عملية المصّ بزوال الاضطراب والحصول على الراحة والاطمئنان، لذا نراه يلجأ إلى الإصبع في كل مرة يشعر فيها بالاضطراب لأي سبب كان كالجوع والتعب والألم والملل وما شابهها، ويتوقف المص تدريجياً من تلقاء ذاته مع زيادة نضج الطفل وقيامه بتطوير مصادر بديلة للحصول على الأمن والاستقرار.

منارات عملية

لا ينبغي منع الطفل الصغير عن وضع إصبعه داخل فمه بأسلوب قسري، لأن ذلك يؤدي إلى تفاقم الحالة، وكل ما نفعله أن نمتنع عن التفكير

في هذا الموضوع، لأن عادة مص الإصبع تزول تدريجياً قبل ظهور الأسنان الدائمة غالباً.

أما الخطورة في هذه الحالة فهي من استمرار الطفل على هذه العادة بعد بلوغ سن الرابعة من العمر^(١)، وهنا يتوجب على الوالدين التفكير في علاج هذه الحالة عند هذا السن، لأن توقف هذه العادة عند هذا العمر يسهم بشكل كبير في منع حدوث تشوهات الأسنان والفكين، حيث أن استمرار الطفل في مص إصبعه يسبب تولد قوة مستمرة وضاغطة على الأسنان الأمامية العلوية لتندفع بعيداً عن الفم باتجاه الشفاه، وقوة ضاغطة بسبب المص والإصبع على الأسنان الأمامية السفلية لتبتعد عن الأسنان العلوية باتجاه اللسان بعيداً عن المواضع الطبيعية، مما يؤثر على شكل الوجه - وخصوصاً المنظر الجانبي- ويساهم بالتأثير على قابلية الطفل في مضغ الطعام بشكل سليم، ويؤثر على صحة الفم. كما يؤدي الاستمرار في عملية مص الأصابع إلى مشاكل في النطق والكلام، مثل صعوبة نطق بعض الحروف المعينة كحرفي «ت، د»، والتلعثم في الكلام، ودفع اللسان للأمام عند النطق.

يكون سبب استمرار الطفل في مصّ إبهامه مدداً طويلة في الأغلب شيء آخر لا علاقة له بغريزة المصّ .. فالواقع أن استمرار هذه العادة

(١) تبلغ رغبة الطفل في مص إصبعه أوجها في الشهور الستة الأولى من عمره، ولكن ١٥% من الأطفال فقط يستمرون في ممارسة هذه العادة حتى السنة الرابعة من العمر، أما الأطفال الذين يستمرون في ممارستها حتى بعد هذه السن؛ فإن السبب يُعزى في الغالب إلى صراع سيطرة مع أحد الأبوين الذي حاول منعه من ممارستها في سن مبكرة، وأحياناً يستمر مص الإصبع كعادة سيئة فقط، يجب الإقلاع عن هذه العادة قبل ظهور الأسنان الدائمة لدى الطفل (بين ست أو سبع سنوات من العمر) لأنها قد تؤدي تشوه انتظام الأسنان.

يرجع في المقام الأول لأسباب نفسية وقد تكون لعوامل أخرى، ويمكن تفصيل ذلك فيما يلي:

- **قلة حنان الأم على طفلها:** وبالتالي يؤدي هذا إلى عدم اكتراث الطفل بوالديه، فيلجأ إلى فعل نقيض ما يطلب منه، وكثيراً ما يكون هذا الموقف من الطفل بغرض جلب الانتباه والظهور وإثارة الحديث حوله.

- **التماس السلوى والراحة:** فقد تلجأ فئة من الأطفال إلى المصّ التماساً للسلوى والراحة في أوقات الضيق والعناد، وكثيراً ما ترتبط هذه العادة ارتباطاً وثيقاً بالعقوبات والتأنيب والشعور بالإحباط وخيبة الرجاء.

- **ارتباط هذه العادة بالطفل العصبي:** غالباً ما تكون هذه العادة عند الأطفال العصبيين ليست سوى عرض من الأعراض العامة، لأن هذا الطفل ينام قليلاً ويتأفف في أكله وشربه ويكثر بكاءه، فتصيبه نوبات كثيرة من الغضب، وفي هذه الحالة ينصح بعدم استخدام العنف في منع الطفل لأنها ستؤدي إلى مقاومة بدنية وعدم استجابة منه.

- **إصابة الطفل بوعكات صحية:** فقد يلجأ الطفل إلى مصّ الإصبع نتيجة لتعرضه لأمراض تؤثر على الصحة العامة كعدم كفاية التنفس وتضخم اللوزتين والزوائد الأنفية وسوء الهضم واضطراب الغدد وما إلى ذلك، ويتدخل كذلك عامل التخلف العقلي وما يصاحبه من ضعف القدرة على التركيز والعصبية وعدم القدرة على الاستقرار في تثبيت الحركات العصبية، مثل: مص الإصبع لدى الطفل.

-**عدم تنمية ثقة الطفل بنفسه:** فشعور الطفل بعجزه الجسمي أو العقلي، أو شعوره بأنه أقل ممن حوله في الجمال أو الذكاء أو الأهمية «الشعور بالدونية»، كل ذلك يجعل الطفل غير مستقر نفسياً، وبالتالي قد يلجأ إلى هذه العادة.

ولهذا السبب فإن شد اليدين أو صبغ الأصابع بمواد ذات طعم سيء لا يؤديان إلا إلى سوء حالة الطفل النفسية وتعقيدها، ويزيدان من حاجة الطفل لمص إصبعه وترسيخ هذه العادة.

ولذلك فإن استقرار الحالة النفسية للطفل تؤدي الدور الأكبر في الإقلاع عن هذه العادة، فقد ينزعج الطفل -مثلاً- من عدم رؤيته للعديد من الأطفال أو عدم امتلاكه للعب كافيته ... وغيرها من هذه الأمثلة التي تبرهن وبشكل قاطع على أن ما يحتاجه الطفل للإقلاع عن مص إصبعه أن يعيش طفولته بقناعة وكفاية كاملتين، وأن نبعد المؤثرات النفسية أو سوء المعاملة عنه.

وعموماً يمكن أن نجمل الصيغة العلاجية في إتباع بعض الإرشادات التربوية:

■ **التجاهل:** كما ذكرنا .. يجب تجاهلها أو صرف انتباه الطفل عنها طالما أنه لم يبلغ أربع سنوات من العمر .. فقبيل هذه السن تعتبر هذه العادة أمراً طبيعياً؛ خاصة عند شعور الطفل بالتعب، لكن إذا كان الطفل يمص إصبعه إحساساً بالملل وكان عمره يزيد عن العام؛ فحاولي أن تصرفي انتباهه عنها وأعطيه شيئاً يشغل به يديه (التلوين، الرسم، لصق بعض

القصاصات الورقية الملونة ..) دون أن تظهر له اهتمامك بهذه العادة، كذلك امدحي الطفل من حين لآخر على عدم مصه لإصبعه.

■ **نبذ العنف:** لابد أن تبني موقفاً متسامحاً مع الأطفال الصغار الذين يمصون أصابعهم وغض النظر عنهم، وكوني مسترخية، واعلمي على تخفيف التوتر الذي يشعر به طفلك.. ونعود ونؤكد إلى أن أي ضغوط أو عقاب لمنع الطفل من ممارسة هذه العادة قبل بلوغه السن التي يستطيع فيها استيعاب ما تقولينه عن أضرارها سوف يؤدي إلى زيادة مصه لإصبعه.

■ **مراقبة الطفل أثناء النهار:** بعد أن يبلغ الطفل أربع سنوات من العمر ساعديه على الإقلاع عن مص الإصبع أثناء النهار .. في البداية يجب أن تأخذي عهداً من الطفل بالإقلاع عن هذه العادة بعد أن تبيني له مدى الضرر الذي يمكن أن تلحقه بالجسم، كأن تجعله ينظر في المرآة إلى الفراغ الموجود بين أسنانه، أو ينظر إلى التجعيد الخشن في الإبهام (الجزء الصلب أو الغليظ من الجلد الذي ينتج عن مص الإصبع)، وأظهري له شعورك بالفخر حياله لإقلاعه عن تلك العادة، عندئذ يستجيب معظم الأطفال، ويوافقون على وجوب الإقلاع عن تلك العادة.

■ **تأكدي من أن الطفل لا يمانع من تذكيره إذا نسي ومص إصبعه:** افعلي ذلك بتعليقات لطيفة مثل: «خمن ماذا تفعل؟» ثم طوقيه بذراعيك، وذكره بأنه كان يمص إصبعه مرة ثانية .. شجعيه على تذكير نفسه إما برسم نجمة على إبهامه بقلم فسفوري أو بوضع شريط لاصق عليه أو طلاء أظافره، ولكن يجب أن تدعي الطفل يقوم بفعل هذه الأشياء بنفسه،

وامتدحيه كلما لاحظت أنه لا يمص إصبعه في الأوقات التي اعتاد على ممارسة تلك العادة فيها من قبل، كما يمكن أن تكافئيه في نهاية كل يوم لا يقوم فيه بمص إصبعه بأن تعطيه مثلاً مبلغاً قليلاً من المال أو وجبة خفيفة أو تروي له قصة مسلية.

■ **مراقبته أثناء الليل:** بعد إقلاع الطفل عن مص إصبعه أثناء النهار، ساعديه على الإقلاع عن ذلك أثناء النوم، ذلك أن مص الإصبع عند الطفل أثناء غفوته أو عند نومه في الليل هي عملية لا إرادية، بيني للطفل أنه على الرغم من أن مصّه لأصابعه أثناء نومه في الليل غير مقصود منه إلا أنه بإمكانه أن يتعلم كيف يتوقف عنه بوضع شيء على إبهامه عند النوم لتذكيره: مثل: قفاز أو جورب أو جبيرة أو شريط لاصق يرتفع على أحد جوانب الإصبع وينزل على الجانب الآخر، لكن اترك الطفل يضع بنفسه الشيء الذي اتفقتما على وضعه على الإصبع أو يستعين بك لمساعدته .. اجعليه ينظر إلى تلك الطريقة على أنها فكرة ذكية، وليست نوعاً من العقاب.

■ **توافر الأمان للطفل:** كلما زاد شعور الطفل بالأمان كلما قلّت الحاجة عنده للبحث عن الراحة في مصّ الإصبع، فإذا كان الطفل يواجه أي قلق، فحاولي تخفيف هذا الضغط النفسي الذي يتعرض له بقدر الإمكان، والعمل على أن يكون جو البيت هادئاً مريحاً، آمناً سعيداً، وأن تكون هناك علاقة ودّ وصداقة بين الأبوين والطفل.

■ **الجهاز الطبي:** وآخر طريقة نلجأ إليها هي الجهاز الطبي وهذا حين يفشل كل شيء. فطبيب الأسنان سيثبت قطعة بلاستيك توضع في الفم حول الأسنان خلال اليوم وفي الليل، حسب ما يحدد الطبيب. وهذه الطريقة تساعد الطفل إلى حد كبير في أن يقلع الطفل عن هذه العادة.^(١)

(١) من مصادر البحث
- مص الإصبع د. خالد عبد الحميد / مجلة الأسرة العدد ١٣٢ ربيع الأول ١٤٢٥ هـ
- جريدة الأيام الجزائرية العدد ١٢٧٩

المصاصة

يختلف الأطفال في مقدار المص في أوقات الرضاعة الذي يعتبر سلوكاً مفيداً يستعين به الطفل على تهدئة نفسه، ويقوم بعض الأطفال بمص الإبهام أو أصابعهم الأخرى باستمرار، فإذا كان طفلك من بين أولئك فحاولي تعويده أن يقبل بالمصاصة pacifier بدلاً عن إبهامه، ولكي تنجحي في ذلك ابدئي من الشهر الأول أو الثاني من العمر.

وبالرغم من أنه يفضل استعمال المصاصات الخاصة بتقويم الأسنان، والتي تمنع اندفاع اللسان أثناء المص، إلا أن النوع العادي لا يسبب أية مشكلات، وبعد محاولات سيجد الطفل الشكل الذي يناسبه.

الفائدة الرئيسية للمصاصة هي أن الطفل إذا تعود استعمالها فلن يمصّ إصبعه عادة، كما أن مصّ الإصبع قد يؤدي إلى بروز الأسنان إلى الأمام إذا استمرت تلك العادة بعد ظهور الأسنان الدائمة، فالمصاصة أقل ضغطاً من الإصبع على الأسنان، وبالتالي فتأثيرها في بروز الأسنان للأمام أقل بكثير من مص الإصبع، بالإضافة إلى إمكانية التحكم في استعمالها إذا كبر الطفل؛ إذ يكون بإمكانك تحديد الوقت الذي يجب أن تمنعيه من استعمالها، وعلى النقيض فلا يمكنك منع الطفل عن مص إصبعه في أي وقت تشائين، طالما أن الإبهام يخص الطفل.

تبلغ الرغبة في المص ذروتها عند الطفل من شهرين إلى أربعة أشهر من العمر، ولكن هذه الرغبة تقل في الأشهر التالية بصورة طبيعية، عندما

يبدأ الطفل بالحبو تكون تلك هي السن الملائمة لتجعلي الطفل يقلل من استعمال المصاصة؛ ذلك أن استعمال المصاصة قد يعوق المناغاة الطبيعية ونمو القدرة على الكلام، الأمر الذي يزداد أهمية عند بلوغ الطفل اثني عشر شهراً من العمر، وهي السن التي يجب أن يكتسب فيها الطفل سريعاً ملكة الكلام؛ إذ من الصعب أن يتكلم الطفل والمصاصة في فمه.

ولتجنب المشكلات التي قد تسببها المصاصة، حاولي ألا يتعلق بها الطفل بدرجة كبيرة (لدرجة أن يتحول بها وهي في فمه مثلاً).

اتبعي الإرشادات التالية لتجنب الإفراط في استعمالها وتجنب داء

«التعود على المصاصة»:

■ خلال الأشهر الستة الأولى من عمر الطفل؛ أعطيه المصاصة عندما يكون لديه الرغبة في المص، ولكن لا تعطيها له عندما يبكي؛ فالبكاء له أسباب عديدة عدا الجوع والرغبة في المص.

■ عندما يكون الطفل الأكبر متكرراً حاولي في البداية أن تكثر من حمله واحتضانه بدلاً من إعطائه المصاصة لتهدئته، ويمكنك تدليك؛ فبعض الأطفال يرتاحون لذلك، تجنب الإفراط في استخدام المصاصة أثناء محاولتك تهدئة الطفل.

■ بعد أن يتجاوز الطفل ستة أشهر من عمره (أو عندما يبدأ الطفل في الحبو) ضعي المصاصة في سريره حتى يستخدمها عندما ينام في الليل أو النهار، وبعد أن يغلبه النوم أخرجها من فمه إذا لم تكن قد سقطت منه؛ ذلك أنك إذا سمحت له باستخدامها طوال الوقت فسوف يزداد تعلقه بها بدلاً من

أن يقل تدريجياً، وإذا كان الطفل يحتاج إلى أداة تشعره بالطمأنينة عندما يكون مستيقظاً؛ فاجدي له بدائل عن المصاصة كأن تعطيه دمية مثلاً.

ملحوظة: إذا كان الطفل متعلقاً بالمصاصة فلا تنسي أن تأخذها معك عند السفر، كما أنه من الأفضل أن يكون معك مصاصة احتياطية في السيارة وعند السفر جواً فإن استعمال المصاصة أو شرب السوائل أثناء هبوط الطائرة يمنع حدوث آلام الأذنين.

يجب اتخاذ بعض الاحتياطات التالية لضمان السلامة عند استعمال المصاصة:

- استعملي المصاصات التي تكون مصنوعة على شكل قطعة واحدة؛ وليست من الأنواع المصنوعة في المنزل، فلا تحاولي أن تصنعها بنفسك بلصق حلقة على غطاء الرضاعة؛ حيث إن المصاصة المصنوعة في المنزل قد تتفصل حلمتها وتسد حلق الطفل وتؤدي إلى اختناقه.
- لا تعلّقي المصاصة في حبل أو خيط أو سلسلة حول عنق الطفل؛ خشية أن يتسبب ذلك في اختناقه، ويمكن استخدام المشابك الجديدة التي تربط المصاصة بملابس الطفل بشريط قصير؛ لأنها عملية وأكثر أماناً.
- لا تستعملي المصاصات التي تحتوي على سائل؛ فإن بعضها قد يكون ملوثاً بالجراثيم.
- لا تغطي المصاصة بأي نوع من الحلوى؛ خشية أن يؤدي ذلك إلى تسوس الأسنان إذا كانت قد ظهرت.

- لا تضعي العسل على المصاصة؛ خشية أن يسبب ذلك مرضاً خطيراً يسمى «التسمم الوشيقي» (botulism) وهو أحد أنواع التسمم الذي يصيب الأطفال الذين لم يبلغوا العام من عمرهم عندما يتناولون العسل.
- اغسلي المصاصة بالماء كلما انتهى الطفل من استعمالها أو إذا سقطت على الأرض.
- استبدلي بالمصاصة أخرى جديدة إذا تلفت.
- إذا كان استخدام الطفل للمصاصة مقصوراً على وقت غفوات الطفل أو وقت نومه، فإن العديد من الأطفال يقلعون عنها بين السنة والسنة والنصف من العمر، وإذا استمر الطفل في استخدام المصاصة ساعديه على الإقلاع عنها نهائياً بين ثلاث إلى أربع سنوات من العمر، تخيري الوقت المناسب لذلك الذي لا يكون الطفل فيه يحاول التأقلم مع أية ضغوط جديدة أو مخاوف، وأحياناً يكون من الأسير بدء الإقلاع عنها في وقت يتزامن مع إحدى المناسبات السعيدة كالأعياد والعطلات.
- حاولي أن تجعلي فترة التحول هذه سهلة على الطفل بقدر الإمكان؛ قد تحتاجين أحياناً إلى أن تقدمي له بعض الحوافز المشجعة. أما إذا كان الطفل يبدو متعلقاً بها فساعديه في البداية على الإقلاع عنها عند غفواته، ويمكنك إعطاؤه جدولاً ليلصق فيه نجوماً توضح التقدم الذي يحرزه، وبعد أن يتحقق ذلك، قدمي له بديلاً عن المصاصة في الليل (كأن تعطيه دمية مثلاً) أو يختار شيئاً آخر يرغب فيه بدلاً منها، ولا ترغمية أبداً على

الإقلاع عنها بالعقاب أو بالتأنيب، فإن نزع المصاصة من الطفل على نحو مفاجئ بدون أي تمهيد قد يؤذي الطفل نفسياً.

■ اتركى الاختيار للطفل بالطريقة التي يريد لها للتخلص من المصاصة، كأن يرميها بعيداً أو يتركها خارج المنزل؛ ذلك أن فكرة الاحتفاظ بها في مكان ما بالمنزل غير جيدة عادة؛ نظراً لأنه من المحتمل أن يزداد الطفل إلحاحاً في طلبها عندما يكون متكدراً، وفي مثل هذه الأوقات احتضنيه بدلاً من إعطائه المصاصة، أعطي الطفل الفرصة لأن يعبر عن مشاعره تجاه فقدانه المصاصة، ثم امتدحيه على إقلاعه عنها مما يدل على نضجه.^(١)

(١) د. إبراهيم العابد

تأخر النطق عند الأطفال.. إجبارهم ليس حلاً

الكلام أو النطق هو أحد مظاهر ومؤشرات التطور الطبيعي عند الأطفال، ويختلف التطور النطقي من طفل إلى آخر، وحتى ضمن نفس العائلة. ومن المهم جداً فحص الطفل منذ ولادته للتأكد من أنه لا يعاني من الصمم (الطرش) أو من تخلف عقلي أو أية أمراض أخرى تؤدي للتأخر في النطق أو اللفظ.

ويجب معرفة أن الطفل الذي يفهم الأوامر البسيطة ويستجيب لها وبلغة بسيطة، مثل: «اجلس، احضر الكرة».. وغيرها، فإنه عادة ما يكون قادراً على السمع وفهم ما يقال له. ولكن بعض الأطفال بعمر (٢ - ٣) سنوات، يلاحظ أنهم يحصلون على ما يريدون عن طريق الإشارة أو التعبير بتقاطيع الوجه من دون التعبير باللفظ والكلمات، وهذه الطريقة أسهل لهم من الكلام، لذلك يتأخرون في النطق.

إن مرحلة بدء الأطفال في تقليد اللغة تبدأ في الشهر الثامن عشر إلى ثلاث سنوات؛ فنجد الأطفال حينها يحاكون ألفاظاً أكثر تعقيداً لتكوين عبارات من كلمتين، وهذه محاولات ممتازة تعكس مقدرتهم على إيصال أفكارهم.. فالأطفال مقلدون جيّدون، وهذه المهارة تزداد بتعلم الكلام، فعادة ما يحاول الأطفال خلال هذا العمر الثرثرة مع أنفسهم أو مع ألعابهم؛ لذا يجب عدم مقاطعة هذه الثرثرة، لما لها من تأثير في تطور مقدرتهم على الكلام خلال هذا العمر الذي يميزهم بحدة الانتباه، وعلى الرغم من أن

معظم الأطفال في العام الثاني من العمر لديهم المقدرة على نطق الكلمات أو الجمل البسيطة، إلا أن البعض منهم قد يتأخر عن النطق للأسباب التالية:

■ «عوامل وراثية».. أي طبيعة العائلة، فقد يكون تأخر كلام الطفل حتى بلوغه العامين أو أكثر أمراً طبيعياً بالنسبة لأشقائه الآخرين.

■ «قصور خلايا الدماغ» .. نتيجة للعوامل الوراثية أو عوامل مرضية، مثل: التهاب السحايا والتهاب المخ، فيقل بذلك مستوى ذكاء الطفل عن الحدود الاعتيادية وبالتالي يتأخر الكلام .. وقد تصاب الأم خلال الأشهر الثلاثة الأولى من الحمل بالحصبة الألمانية التي تؤدي إلى نقص الأوكسجين الوارد إلى الجنين فتتلف خلايا مخه .. وقد يكون سبب قصور خلايا الدماغ عند الطفل عائد إلى سوء تغذية الأم الحامل، حيث أن الفواكه والخضراوات الغنية بفيتامين (ب) تعتبر العلاج القطعي والفعال للكنة اللسان، وبناء على ذلك فإن الأم التي تتناول هذا الفيتامين أيام حملها من خلال وجبات متوازنة وغنية به، من المرجح أن جنينها يأخذ بالتكلم مبكراً ولا يصاب بالكنة.

■ «الصمم» .. لكي يتعلم الطفل الكلام لا بد أن يكون سمعه طبيعياً، وإذا كانت درجة الصمم عند الطفل شديدة، لم يستطع النطق بتاتاً حتى لو كان ذكاؤه طبيعياً أو أعلى من الحد الطبيعي.

■ «العيوب الخلقية» .. عدم قدرة الطفل على تحريك لسانه، بسبب وجود رباط عضلي يربط لسان الطفل بقاعدة الفك السفلي من الفم مما يمنع حركة اللسان بحرية.

▪ «تضخم اللوزتين والزوائد الأنفية والتهابها» .. لأن المستوى السمعي للطفل يتضاءل في مثل هذه الحالات.
اعتقادات خاطئة

هل يدل النطق المتأخر للطفل على بطء في تطوره العقلي؟... ذلك هو أول ما يخطر ببال الوالدين ويؤرقهما! والحقيقة أن بعض الأطفال المتخلفين عقلياً يتأخرون في تعلم النطق والكلام بالفعل، ولكن الكثيرين منهم أيضاً ينطقون بالألفاظ في وقتها المعتاد .. ومع ذلك، فالصحيح أيضاً أن الأكثرية الساحقة من الأطفال الذين يتأخرون في النطق حتى العام الثالث من العمر يتمتعون بذكاء طبيعي، بل إن بعضهم أذكاء جداً ولا معين.
فإذا تأخر طفلك -عزيزتي الأم- في الكلام فعليك أن تتجنبي التوتر بسبب ذلك، وأن لا تسارعي إلى الاستنتاج بأن طفلك بليد الذهن. وأبدي له من ضروب العطف والمودة أكبر قدر ممكن، مع تفادي المبالغة في توجيهه والسيطرة عليه. وامنحيه الفرصة للاختلاط بأطفال آخرين لكي يشق طريقه من بينهم، وتحثي إليه بلغة سهلة مبسطة وبمودعة، وشجعيه على الاستفسار عن الأمور من خلال تسميتها، ولكن إياك أن تلحي عليه غاضبة بأن يتعلم ألفاظاً جديدة.

فروق فردية

مع أن جميع الأطفال لا يحسنون لفظ معظم الكلمات بادئ الأمر ثم يتحسن لفظهم شيئاً فشيئاً، إلا أن بعضهم يستمر لفظه لبعض الكلمات سيئاً، في حين يسيء غيرهم لفظ بعض الكلمات الأخرى .. ومن الواضح أن

بعض أنواع سوء اللفظ تعود إلى تشوه كائن في اللسان، أو في أي جزء آخر من جهاز النطق. حتى إن بعضهم ينمو ويكبر واللثغ لا يفارقه رغم ما يبذلون من جهد لتفاديه.

ويبدو أن بعض أنواع رداءة اللفظ تعود إلى انحرافات في مشاعر الأطفال. فبعضهم يظل يسيء لفظ بعض الكلمات، في حين يحسن لفظ كلمات أخرى تحتاج إلى نفس الحروف. ولكن هذا النوع من «التخلف اللفظي» البسيط لا أهمية له، مادام الطفل يتقدم في تكييف نفسه تدريجاً، ومادام يستمر نموه وتطوره في ميادين الحياة الأخرى. ولا بأس بتصحيح نطق الطفل بين وقت وآخر، على أن يكون ذلك بلطف ومحبة.

ولمساعدة أطفالنا على اكتساب اللغة داخل البيت هناك عدة طرق

منها:

١- تنبيه طفلك للأصوات المحيطة به: وجهي انتباه الطفل إلى الأصوات المختلفة مثل صوت جرس الباب .. دعيه يضغط على الجرس بنفسه .. اجلسي الطفل بجانبك وقومي بتشغيل لعبة تصدر صوتاً مع حركة، ووجهي انتباه الطفل إلى اللعبة ثم أوقفي الصوت .. كرري التمرين عدة مرات.

٢- أن يبتسم لأفراد الأسرة عند مشاهدتهم: اجلسي أمام الطفل وجهها لوجه، ابتسمي له، دعيه يفهم بحركة يديك وبكلمات محبة أنك سوف تكافئيه عندما يبتسم لك، العبي مع الطفل أمام مرآة وشجعيه على النظر إلى

صورته وكافئه بعد ذلك (المكافئة قد تكون مديحا أو ملامسة أو حتى أطعمة يحبها طفلك).

٣- أن يخرج أصوات كلامية بسيطة: امسكي لعبة طائرة وارفعيها إلى فوق وقلدي صوت وووووو (بنغم طويل مختلف) .. دعيه يلاحظ حركة الفم وخصوصا الشفاه عند إخراج هذه الأصوات بوضع إصبعه على فمك.

٤- أن يصدر الطفل مقطعا صوتيا مكون من صوتين: علقي لعبة محببة للطفل بخيط، أنزليها ببطء مع إصدار مقاطع لفظية مثل: توت توت .. العبي مع الطفل لعبة (الغميمه) وذلك بأن تغطي وجهه بقطعة قماش ثم ارفعيها بسرعة مع إخراج مقاطع لفظية مثل: بيه بيه.

٥- أن يستعمل إشارات وحركات معينة للاتصال: شجعيه على عمل حركة النفي بحركة اليد: «لا لا لا» أو هز الرأس، تقليد المصاحبة لكلمة «باي باي» - حركة اليد - ضعي لعبة أمامه ثم حركي اليد مع حركة «باي»، أو ضعي لعبة متحركة أمامه مع تحريك اليد بإشارة: «تعال تعال».

٦- أن يستجيب لاسمه عند مناداته: قومي بإخفاء شيء (تحت الطاولة مثلا) تعرفي أن الطفل يحبه .. ناديه باسمه عدة مرات، ثم أعطيه هذا الشيء .. ناد إخوته أمامه واطلبي منهم أن يستجيبوا بحركة أو صوت أو كلمة معينة ثم ناديه باسمه عدة مرات.

٧- أن يقلد الطفل حركات وأفعال تقومي بها: استعملي الألعاب وقلي أفعالا تحدث بشكل يومي مثل: تنظيف الأسنان أو النوم أو الأكل .. (نطعم اللعبة – اللعبة تريد أن تنام – دعنا نسقي اللعبة).

٨- أن يفهم تعليمات بسيطة: اطلبي منه أن يشير بإصبعه إلى أفراد الأسرة.

٩- أن يستعمل كلمات بسيطة: حولي الأصوات التي يخرجها الطفل إلى كلمات بسيطة من مقطع واحد مع إعطاء معنى لهذه الكلمات حتى وإن كانت غير موجودة في اللغة مثل: هم للطعام _ ننه للنوم _ أمبو للشرب... إلخ

١٠- أن يستعمل كلمات بسيطة أعقد من المرحلة السابقة: أذكرني أسماء ألعاب وألوان وأشياء محببة للطفل (الفواكه والحيوانات مثلا) شجعيه على تسمية هذه الأشياء مثل: ما هذه ؟ .. هذه تفاحة.

١١- أن يستعمل كلمتين مع بعض في عبارة أو جملة: من المهم أن يدرّب الطفل في هذه المرحلة على استعمال الفعل .. ابدئي بأفعال بسيطة مألوقة، مثل: النوم- الأكل – اللعب .. استعملي الصور ومجلات الأطفال بكثرة في هذه المرحلة .. اطلبي من الطفل أن يتعرف على الفعل، ومن ثم وصف الصورة مثل: «بطه في البيت».

١٢- أن يستعمل جملا مركبة أكثر من السابق: دربيه على استعمال المفاهيم .. ابدئي بمفهوم المكان، مثل: «القطة تحت الطاولة»، «البطة تسبح في الماء».

النوم سلطان

- نوم طفلك .. معلومات تهلك
- اضطرابات النوم عند الأطفال

نوم طفلك .. معلومات تهملك

كثيرا من الآباء يهتمون بنوم الطفل لأن الوقت الذي ينام فيه الطفل يكون بمثابة لحظات من الهدوء والاسترخاء والاستمتاع بالحياة، فضلا عن أن النوم أمرا حيويا لنمو وتطور الطفل. كما أن قلة النوم تسبب عصبية وعدم تفاعله بشكل سليم مع المحيطين.

لكن مما هو جدير بالذكر أن النوم عند الأطفال هو عملية ديناميكية تنشأ وتتغير كلما كبر الطفل. وخلال فترة نموهم قد يتعلم الأطفال عادات في النوم ربما تكون حميدة أو سيئة، وما إن تنشأ هذه العادات فإنها قد تستمر لشهور أو حتى لسنوات، الأمر الذي يحتم علينا كأباء أن نرشد أولادنا لسلوكيات النوم الحميدة قبل أن تستحكم العادة على تقاليد خاطئة يصعب على الطفل التخلص منها لاحقا.

فوائد وإيجابيات

النوم ظاهرة فسيولوجية من ظواهر الحياة البشرية والحيوانية، ونعمة من نعم الله عز وجل على عباده، لما فيه من فوائد عديدة في راحة للبدن والأعصاب وتخفيف للضغوط النفسية المتولدة عما جرحه الإنسان بالنهار، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَيْدِيهِمْ مَنَاكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَأَبْغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّكَ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُسْمِعُونَ﴾ [الروم: ٢٣]. وقال جل ذكره: ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ﴾ [الأنفال: ١١].

ولقد ثبت علمياً أن النوم الهادئ يدعم الوظيفة البنائية للجسم، ويريح البدن من الإرهاق والكسل والتعب الجسمي، وللنوم النشط الحالم وظيفته مركزة أكثر نحو بناء وتنشيط القدرة العقلية والذهنية في المخ، أما النوم الهادئ غير الحالم فيؤدي إلى إطلاق عملية البناء، وتركيب المركبات الغذائية، ثم يتم استخدام هذا الغذاء المركب في مرحلة النوم النشط الحالم لتغذية عمليات بيولوجية معقدة يقوم الجسم والمخ نفسياً وعقلياً وذهنياً، وبذلك يستعيد قدرته وحيويته، وتقوم الذاكرة أيضاً مما يزيد من قوة العقل الذهنية والعصبية.

والنوم يسهّل استقلاب الجذور الحرة في جسمنا، وهي الجزيئات التي يُقال أنها تؤثر في هرم الخلايا المبكر وتسبب السرطان أيضاً.. ففي دراسة أجرتها مؤخراً (جامعة شيكاغو)، سُمح لـ ١١ شاباً سليمي البنية أن يناموا أربع ساعات فقط في اليوم مدة ستة أيام. وفي نهاية هذه المرحلة وجد أن خلايا جسدهم تعمل مثل خلايا أشخاص في الـ ٦٠ من العمر، ومستوى الأنسولين في دمهم مشابه لمستوى الأنسولين في دم المصابين بداء السكري!.

وتؤثر قلة النوم أيضاً في إنتاج خلايا الدم البيضاء وهرمون «الكورتيزول»، مما يجعل المرء أكثر عرضة للأخماج وأمراض جهاز الدورة الدموية.

إن النوم -دون شك- حيوي من أجل سلامة الجسم والذهن. وبحسب الباحث «وليم ديمنت» (مؤسس أول مركز لدراسة النوم، في جامعة

ستانفورد في الولايات المتحدة الأمريكية) يقول: «يبدو أن النوم هو أهم مؤشر لطول الحياة التي يعيشها الإنسان». كما تعلق «ديبورا سوشيكي» (باحثة مركز لدراسة النوم في ساو باولو، البرازيل) بقولها: «لو علم الناس ماذا يجري في جسم إنسان ينقصه النوم، لفكروا مرتين قبل أن يستنتجوا أن النوم مضيعة للوقت أو أنه للكسالى فقط».

ويعتبر النوم مطلباً أساسياً لنمو الطفل .. فخلال النوم يخزن الجسم السرعات الحرارية التي اكتسبها من غذائه، ويحولها إلى طاقة للنمو والدفع. ونجد أن جميع خلايا الجسم والدماغ تتكاثر بسرعة فائقة خلال النوم. بالإضافة إلى تصنيع كريات الدم البيضاء الهامة للجهاز المناعي. والسبب في هذه الفائدة هو تنبيه إفراز هرمونات النمو ونشاط الدماغ أثناء النوم.

وعندما يكون الطفل نائماً تعالج المعلومات التي استوعبها طوال اليوم وتخزن للرجوع إليها في المستقبل. ومما سبق يتضح أن جسم الطفل بحاجة ضرورية للراحة من أجل تخزين الطاقة واكتساب القوة والنمو.

النوم عند الرضع

دوره النوم عبارة عن مرحله النوم الخفيفة أو ما يسمى بمرحلة «حركه العين السريعة» و «مرحلة النوم العميق» .. وتتكرر تلك الدورة عدة مرات خلال النوم.

تختلف دورة النوم لدى الأطفال عن البالغين، إذ تبلغ دورة النوم عند الطفل الوليد حوالي ٤٥ دقيقة مقابل ٩٠ دقيقة عند الشخص البالغ .. وبالرغم

من قصر دورة نوم الطفل إلا أنه يقضى فترة أطول (حوالي ٥٠%) في المرحلة الخفيفة من النوم من نوع «حركة العين السريعة»، وفي هذه المرحلة ينتفض جسم الطفل، وتتحرك عيناه بسرعة. وقد يتحرك أو يصدر أصوات أو يضحك، وقد ينادى بصوت مرتفع، وذلك لأنه يحلم.

وفي هذه المرحلة يكون الطفل أكثر عرضة للاستيقاظ. لذا لا تحاولي إيقاظه عند أول بادره استيقاظ أو بكاء، فغالبا سيعود للنوم مرة أخرى .. فلا تحمليه أو تضيء الحجرة أو تتحدثي بصوت مرتفع، فقط تأكدي أنه بسلام واتركيه لينام وحده دون تدخل، أما إذا تمادى الطفل في البكاء فغالبا ما يكون هناك سبب آخر.

أما بقية وقت النوم فيكون من النوع الغير مترافق بحركة العين السريعة، وهو نوم أكثر هدوءا ويزداد عمقا على أربعة مراحل يصعب الاستيقاظ خلالها.

احتياجات الرضيع من النوم

- عند الميلاد يكون نومه الطفل غير منتظم وقد تكون ساعات نومه من ١٨-٢٠ ساعة.
- عند بلوغ الطفل الشهر يكون عدد ساعات نومه من ١٦-٢٠ ساعة، موزعة على مراحل قد تصل المرحلة من ٣-٤ ساعات، دون التفريق بين الليل والنهار.
- الشهر الثاني: من ١٦-١٨ ساعة، مقسمة على فترات، من ٥-٦ ساعات في الفترة الواحدة.

- الشهر الثالث: ٩-١٠ ساعات ليلاً / ٥-٦ ساعات (على ٣ مرات) خلال اليوم.
- عمر ٦-٩ شهور: ١١ ساعة ليلاً / ٣ ساعات (على مرتين) خلال اليوم.
- عمر ١٢ شهر: ١١ ساعة ليلاً / ساعتين ونصف (على مرتين) خلال اليوم.

ملحوظات هامة

- تعد غفوات النهار هامة جداً لكي يستطيع الطفل مواصلة يومه، ولاستعادة نشاطه، فليس لجميع الأطفال القدرة على البقاء مستيقظين طوال اليوم. كما أن مثل الكبار تماماً. الأطفال لا يستطيعون النوم عندما يشعرون بتعب زائد، لذا فقد يعاني طفلك من صعوبة أكثر في النوم ليلاً إذا لم يكن قد أخذ قسطه المعتاد من النوم أثناء النهار.
- احرص على قلة فترات الغفوات النهارية، وأن تكون قبل نوم المساء بفترة طويلة كافية.
- لمساعدة الطفل على غفوات النهار يمكنك أن توفر له الهواء الطلق خلال نزهة سريعة .. فمن الشائع أن الهواء الطلق ينهك الأطفال. كما أنه من المحتمل أن ينعس الرضيع نتيجة الحفز الذي يتعرض له من خلال المشاهد الطبيعية والأصوات.
- وهذا ما أظهره بحث علمي جديد: أن الأطفال الرضع الذين يتعرضون لضوء النهار، وخصوصاً في ساعات العصر، يميلون للنوم

بصورة أطول وأفضل أثناء الليل. وأوضح الباحثون في (كلية علم النفس) بجامعة «ليفربول» البريطانية، أن تنزه الرضع في الحدايق أثناء النهار أو إخراجهم إلى الشرفة على الأقل، يساعد في تحسين مستويات النوم الليلي لديهم، وبالتالي عند الوالدين.

ووجد الباحثون أن الأطفال الذين ناموا جيّدا أثناء الليل تعرضوا لضوء أكثر بحوالي الضعف بين الفترة التي تبدأ من منتصف النهار وحتى الساعة الرابعة عصرا.

وأشار هؤلاء إلى أن أحد التفسيرات المحتملة لهذه العلاقة بين التعرض للضوء والنوم، تتمثل في أن مستويات الضوء العالية تشجع النمو المبكر للساعة البيولوجية في الجسم، وهذه الساعة هي المسؤولة عن تنظيم عدد من الوظائف الحيوية ومنها إفراز مادة «الميلاتونين»^(١) المهمة لتحقيق أنماط نوم جيدة ومتوازنة.

- الأطفال في فترة التسنين قد يعانون من الأرق، وحتى بعد انتهاء الألم قد تمر بضعة أيام قبل أن يعود الطفل إلى نظام نومه المعتاد.
- أي تغيير قد يؤدي إلى إخلال التوازن في نظام نوم طفلك بشكل مؤقت، فإذا غيرت غرفته، أو حتى غيرت موضع فراشه في نفس الغرفة،

(١) يُفرز «الميلاتونين» (هرمون يُعتقد أنه يسبب النعاس) في الدماغ، وهو مسئول كما يظن بعض العلماء عن تباطؤ الاستقلاب في الجسم الذي يحدث قبل النوم. فعندما يُفرز «الميلاتونين»، تنخفض حرارة الجسم ويخفّ تدفق الدم إلى الدماغ، وترتخي عضلاتنا تدريجياً.

أو حتى بعد الرجوع من أجازة بالخارج .. قد يستغرق منه ذلك بضعة أيام إلى أن يعتاد على المحيط الجديد.

تطور أنماط النوم حسب السن

• نوم الطفل في الشهر الأول :

عند الميلاد يكون نوم الطفل غير منتظم، وقد تكون ساعات نومه من ١٨-٢٠ ساعة. ويكون نومه في نصف هذا الوقت نوما متناقضا. ولا يميز الرضيع في الأسابيع الأولى بين الليل والنهار. ويستيقظ طلبا للرضاعة لأن الجوع إحساس جديد عليه، فلم يعد يتغذى من الحبل السري برحم أمه، وقد يستيقظ الطفل كل ثلاثة أو أربع ساعات. ومن العبث محاولة تغيير نمط نومه لأنه سوف ينظم أوقات يقظته ونومه بمفرده بعد ذلك. ولكن عليك – عزيزتي الأم- تنظيم أوقات نومك حسب أوقات نومه.

وحاولي توفير متطلباته لينام، ولا يشترط توفير الهدوء التام، فقط تجنبى الضجة القوية مثل صوت المكينة أو غلق الباب بشدة. وذلك لأن الطفل الذي يعتاد النوم في هدوء تام يصعب عليه النوم بعد ذلك في أبسط مستوى من الضوضاء.

ويجب ألا تخلطي بين حالات اليقظة عنده، وحالات النوم المتناقض. فبالرغم من أن الطفل قد يبدو مضطربا حين النوم المتناقض ، ويكون وجهه معبرا بظهور الابتسامات والتقلصات، وقد يبكي أو يحرك يديه أو رجليه .. إلا أنه سيصعب عليه إكمال نومه إذا أيقظتته على اعتبار أنه أفاق.

لذا لا تسرعي بحمل الطفل عندما تسمعيه يبكي، ولا تحاولي إرضاعه، ولكن تأكدي أن كل شيء على ما يرام، وبذلك تتجنبي التوتر والرضاعة الزائدة، لأن ذلك يكون عند الطفل عادات نوم غير صحيحة.

• الطفل بين الشهر الأول والرابع

يبدأ الطفل بالتدريج في التميز بين الليل والنهار. فتطول عنده مرحلة النوم الليلي. وتطول فترات اليقظة والهدوء أثناء النهار. ولكن الأمر لا يخلو من مصاعب، وخاصة أنه قد يبكي كل يوم مساء في الساعة نفسها، ولا شيء يوقفه. ويسمى البعض ذلك بكاء المساء أو بكاء أواخر النهار. وهذا البكاء في الغالب غير مرتبط بآلام الطفل، ولكنه ناتج من التغيرات الطارئة على نظام النوم واليقظة.

وعلى الأم أيضا خلال هذه الفترة أن تساعد طفلها تدريجيا على التمييز بين النوم واليقظة، وذلك بوضعه في الفراش حينما يشعر بالنعاس، وتجلس معه وتداعبه وتغمره بحنانها في ساعات اليقظة. وبفضل مساعدتك للطفل على إدراك الليل والنهار، يبدأ الصغير بعد الأسبوع الرابع أو الخامس بتطوير نمط نومه لينام بالليل أكثر من النهار. ويتضح هذا النمط بمرور الأشهر القليلة الأولى.

ويمكنك مساعدة الطفل على النوم خلال فترة الليل عن طريق:

- جعل الطفل ينام في غرفة مظلمة ليلا لكي يشعر أن الليل يختلف عن النهار.

- من المستحسن أن تعلميه أن أوقات الرضاعة ليست كلها مماثلة وصالحة له، وذلك عن طريق إتباع طقوس مختلفة باختلاف أوقات الرضاعة، فعند إرضاع الطفل ليلاً اجعلي الأنوار خافتة من حوله، وأعيدي طفلك إلى سريره فور انتهائه من الرضاعة والتجشؤ. وعند تغير الحفاضة ليلاً بدلي حفاضته بسرعة .. لكن عند إطعامه أثناء النهار، تأكدي من أنه مستيقظ تماماً، وتكلمي معه وداعبيه، خاصة أنك إذا داعبت طفلك قبل وبعد إطعامه وجبة النهار ستساعديه على أن يحفظ قسطاً من نومه لليل.
- الترييت على بطن الطفل، ومسح جبينه باليد يجعله يسترخي، وكذلك التكلم معه بهدوء.
- لوحظ أن الطفل في الشهور الأولى ينام نوماً طويلاً بعد أخذ الحمام .. فإن أردت عزيزتي الأم توفير الراحة لك ولرضيعك وذلك بتحديد مواعيد نومه؛ فاسعي بأن تكون مواعيد الرضاعة والحمام ثابتة بحيث ترضعينه وتحميمينه في الأوقات نفسها.
- الطفل مثلاً، بل أكثر فضولاً، يحب سماع الأصوات الجديدة، ورؤية الأشياء، والتحديد في الأشخاص .. رحلة معك في أرجاء المنزل ستجعله يشعر بالسعادة، وأيضاً يصبح أكثر إرهاقاً مما يسهل نومه بسهولة وقت النوم .. كذلك التغذية المتكررة أثناء اليوم، والوجبات الخفيفة في المساء، يمكن أن تساعد الطفل

الرضيع على الإحساس بالشبع، وبالتالي النوم لفترات أطول بالليل.

- إذا كانت الأم ترضع الطفل الصغير من الثدي، فعليها تجنب الشاي والقهوة مساءً لتجنب أثر الكافيين المنبه على طفلها.

• النوم من الشهر الرابع وحتى السادس

تصبح فترات نوم الطفل شبه منتظمة. فقد ينام طوال الليل دون استيقاظ لمدة قد تصل إلى اثني عشرة ساعة ليلاً. وقد يشعر بالأمان إذا امتص إبهامه ثم يعود إلى النوم وحده. ويختلف نظام غفوات النهار من طفل لآخر.

والسبب في استقرار نوم الطفل هو: نمو قدرته على التكيف، وقلة الشعور بآلام البطن، وتناوله للحليب بشهية. مما يساعده على قضاء الليل نائماً.

وفي هذه المرحلة قد يستيقظ الطفل دون بكاء ثم يعود للنوم وحده إذا استيقظ قبل مواعده. ولكن قد تؤثر بعض المنغصات كالمرض أو تغير البيئة على نومه. ولكن تعود الطفل على عادات نوم صحيحة يساعده على تخطي تلك الأزمات.

• النوم في النصف الثاني من السنة الأولى

تتخفض ساعات النوم التي ينامها الطفل وتتراوح من ١٤-١٦ ساعة، وليس شرطاً في هذه الفترة أن ينام الطفل بعد كل وجبة طعام.

والمدة المثالية للنوم في هذه الفترة هي ١٤ ساعة، وهذه المدة قد تستمر أو تنقطع. ف بجانب نوم الطفل ليلا يكون هناك فترة وجيزة للنوم فترة أو فترتين أثناء النهار تتراوح مدة النوم فيهما بين عشرين دقيقة إلى ثلاث ساعات، وغالبا ما تكون بعد الظهر. أما النوم في الصباح فيخف أو يزول نهائيا.

وقد تحدث اضطرابات في النوم قرابة الشهر الثامن. كما يختلف الأطفال في نمط نومهم وفي قدرتهم على النوم المتواصل، فقد نجد بعض الأطفال لا يغفون بسهولة، ويكون نومهم مضطربا ومشحونا بالأحلام. ويلاحظ أن الاستيقاظ من النوم خلال الليل يزداد في النصف الثاني من السنة الأولى، وتستمر هذه المشكلة في السنة الأولى وحتى السنة الثانية من العمر. إلا أن الأطفال عادة ما يتخلصون من هذه المشاكل مع مرور الزمن، ولا يكون لها أي تأثير على نمو الطفل وصحته. ويجب عليك ألا تسارعي دوما بحمل طفلك عند قلقه خلال النوم .. فقط تأكدي من أن كل شيء على ما يرام، وحاولي تهيئة الجو المناسب الذي يساعده على النوم بهدوء.

تنبيهات هامة

- يجب أن لا تعود الأم طفلها على عادات معينة لينام: كالهز، أو حمله أو المشي به، أو وضع زجاجة الرضاعة في فمه ... حتى لا يصعب نومه بعد ذلك بدون هذه العادات، بل تكفي هدهدته بالصوت الهادئ.

- ينبغي أن لا ينقل الطفل من سريره في أشهره الأولى إلا عند الفسحة أو الرضاعة أو تغيير ملابسه إذا ابتلت.
- رب ابنك على اعتبار أن الليل للنوم والنهار للبقاء مستيقظاً، وذلك من خلال تقييد وقت اللعب والمرح خلال النهار فقط.
- ساعدي ابنك على تعلم الربط بين السرير والنوم. ويمكن بلوغ ذلك عن طريق أخذ الطفل إلى السرير في موعد النوم، ومقاومة الرغبة بالسماح له بالنوم في غرفة الجلوس أو بين ذراعيك.

اشتراطات الأمان

- يجب أن تكون السلة أو السرير الهزاز لطفلك الرضيع ثابتان جيداً على الأرض لتجنب وقوعهما، كما يشترط أن تكون القاعدة لكل واحد منهما واسعة إلى درجة كافية تحول دون تحريكه إذا ما اصطدم شخص به.
- يجب أن يكون السرير مزوداً بحواف جانبية مرتفع بقدر كافي، على أن لا تزيد المسافة بين الواحدة والأخرى على ٦سم، وذلك للحيلولة دون محاصرة رأس الطفل بينها.
- انتبهي أن يكون دهان السرير خالياً من مادة الرصاص، وذلك لما في هذه المادة من أضرار سامة للطفل الذي يبدأ بمص أطراف السرير ابتداء من الشهر الخامس.
- ضعي سرير الطفل في مكان آمن ليس تحت النافذة أو بجانب المكيف.

- لا تتركي أحبال طويلة بالقرب من الطفل حتى لا يصل إليها، مثل أحبال الستائر أو أحبال الألعاب الموسيقية التي توضع عادة على سرير الأطفال.
- ضعي طفلك على فراش قوى ثابت، ولا تجعله ينام على وسائد أو لحاف لين، ومن الأفضل أن يكون الفراش من القطن وليس من الأسفنج، وأن يوضع على قاعدة صلبة ومسطحة.
- المراتب يجب أن تناسب الفراش في الحجم بحيث لا ينحشر الطفل بينها وبين جوانب السرير.
- أن تكون الملاءات (الشراشف) واسعة، ويجب إدخالها تحت الفراش بحيث تكون مفرودة تماماً على السرير، حتى إذا تحرك الطفل لا ينزع الملاءة فتغطي وجهه وتؤثر على تنفسه، وقد تؤدي إلى اختناق الطفل لا قدر الله.
- في الأشهر الأولى لا تضعي وسادة تحت رأس الطفل؛ لأن هذا يؤدي إلى ثني عموده الفقري ويعوق تنفسه.
- لا تستعملي مخدة قاسية لرأس الطفل، لأن ذلك أفضل لشكل رأس الطفل ونمو عظامه، ولا مانع من عدم استخدام المخدة تماماً؛ حيث إن بعض الأمهات يلجأن إلى هذا -أي إلى عدم استعمال المخدة- ويجدن في ذلك راحة لأطفالهن.
- تجنبي نوم الطفل مع أشياء ناعمة يمكنها خنقه، مثل: اللعب على شكل دب أو الوسائد الكبيرة.

- تجنبى نوم الطفل مع أي ألعاب صغيره، أو أي أشياء لها أجزاء صغيره يمكن بلعها.
- يكون نوم الطفل على ظهره أو على بطنه، أما إذا كان طفلك كثير التقيؤ فيجب ألا ينام على ظهره حتى لا يتسرب القيء إلى جهازه التنفسي فيضره، ويمكن في هذه الحالة أن ينام على أحد جانبيه. وأن يغير وضعه من آن لآخر برفق؛ لأن الطفل يتعب من النوم في وضع واحد وقد يستيقظ بسبب ذلك.
- لا تدعي الأطفال الأكبر سنا ينامون بجانب طفل أقل من سن تسعة أشهر. لأن الأطفال ليس لديهم إحساس بالحرص على الطفل الرضيع مثل الأهل.
- لو تصادف ونام الطفل معكما، ينبغي وضعه بجانبك عزيزتي الأم، بدلا من نومه في المنتصف بين الأم والأب، فخوف الأب وإدراكه ليس مثل خوف الأم وإدراكها.
- ممنوع التدخين نهائيا في الغرفة التي ينام بها الطفل.
- احرصى أن تكون درجة حرارة غرفة نوم الطفل ما بين ١٨-٢٠ درجة مئوية .. تجنبى الحرارة العالية، فلا يجب أن يعرق الطفل أو أن يحس بملمس سخونة عليه.
- يجب أن تكون الإضاءة خافته في غرفة النوم.
- من المهم تهوية غرفة الطفل مرة كل يوم على الأقل، ويكفي خمس دقائق لتهويتها.

مرحلة البدء بالمشي إلى ما قبل المدرسة

في السنة الثانية من عمر الطفل، ينام بمعدل ١٢-١٣ ساعة يومياً، منها ساعة إلى ساعتين في النهار، و١١ ساعة في الليل .. في هذه المرحلة من العمر تبدأ مواعيد نوم الطفل بالانتظام أكثر.

أما المشاكل الرئيسية التي تحدث في هذا العمر فهي: رفض النوم وحيداً، البكاء عند موعد النوم، والاستيقاظ باكياً في الليل.

تتضمن الإستراتيجية المناسبة لهذا العمر ما يلي:

- من المستحسن تعويد الطفل العادات الحسنة في النوم، فتوقيت النوم المنتظم يفيد الطفل، ويكسبه شعوراً بالطمأنينة، ويجعله يدرك قيمة الوقت في المستقبل، كما أنه يسهل حياة الأم بوجه عام.
- حاولي -عزيرتي الأم- ألا تتركي طفلك يقرر ميعاد نومه على هواه، فهو في هذه المرحلة قد بدأ يدرك بعض الأمور وأصبح فضولياً يحب أن يبقى مع العائلة أو يشاهد التلفزيون بالرغم من تعبته ونعاسه .. علينا في مثل هذه الحالة أن نعوده على النوم في ساعات معينة، محافظة وحرصاً منا على صحته وسلامة نموه.

- دعيه يستعد بالتدريج للنوم قبل مواعده، ويكون ذلك بأن تعطيه حمامه الدافئ، وأن تمدديه في فراشه النظيف والمريح، وألا تتركيه يلعب ألعاباً مثيرة للأعصاب أو يقوم بحركات عنيفة كتقليد المصارعين الذين يراهم على شاشة التلفزيون، وإنما يجب أن يسود المكان جو من الاسترخاء والهدوء.

- تساعد وجبة من اللبن الدافئ أو الجبن على النوم الجيد بسبب وجود الأحماض الأمينية فيها.
- لا تتركى الطفل يشعر أن هناك أشياء ستقومين بها بعد نومه، بل إنه وقت النوم للجميع.
- أوصي باحثون متخصصون في مجال النوم بأهمية أن ينام الأطفال بعيداً عن ذويهم في مراحل الطفولة المبكرة، لما يحدثه هذا من انعكاس إيجابي علي صحتهم مستقبلاً .. وأشارت الدراسة إلى أن نوم الأطفال في غرف خاصة بهم لا يحسن فقط المزاج العام للطفل وسلوكه خلال اليوم، وإنما يجنبهم كذلك خطر زيادة الوزن والاضطرابات العاطفية وصعوبات سلوكية مستقبلاً. كما أكدت الدراسة أن نوم الأطفال في غرف منفصلة يمنحهم عدد ساعات نوم إضافية مقارنة بالأطفال الآسيويين الذين ينامون أقل بطبيعة الحال.
- حاولي جعل الطفل يحب غرفة نومه، وذلك من خلال وضع بطانيات وأغطية ذات ألوان وأشكال جذابة، إضافة إلى السماح له باصطحاب اللعبة المفضلة إليه إلى غرفة نومه.
- إذا رفض الطفل النوم في الوقت المحدد وأخذ يبكي فعليك أن تبعثي في نفسه الطمأنينة بالجلوس قربيه وأن تحكي له أقصوصة أو حكاية صغيرة ولطيفة أو أن تغني له أغنية بصوتك الحنون إلى قلبه فيخلد في نوم عميق.
- قاومي رغبة الطفل في قصة أخرى أو رغبته في الشرب وغير ذلك من الأمور التي قد يلجأ إليها الصغير لإبقاء والديه معه أطول فترة ممكنة.

- كوني ثابتة في قرارك وعلى نفس المبدأ كل ليلة.
- في غرفة الطفل الخاصة عوديه بأنك لن تبقى معه في الغرفة حتى يغفو، ولكنك بالتأكيد ستكونين قريبة منه إذا احتاجك.
- في هذا العمر قد يستيقظ الطفل من نومه في الليل (مثل الكبار)، لذلك يجب أن يتعلم الطفل بالتدريج كيفية العودة إلى النوم .. فإذا بكى الطفل عند استيقاظه (وأنتي تعرفي بأن هذه عادته، أي أنه لم يصبه أي مكروه) فانتظري لمدة خمس دقائق قبل الذهاب إلى غرفته، وعندما تذهبي ابق معه لوقت قصير ولا تحاولي حمله، اجعلي المحادثة بسيطة وقصيرة إلى أقل درجة ممكنة، ثم غادري حتى إن بقي الطفل يبكي. إذا استمر في البكاء انتظري لمدة عشر دقائق قبل الذهاب إليه مرة أخرى، وابق لفترة قصيرة ثم غادري غرفته. إذا استمر في البكاء انتظري لمدة ١٥ دقيقة قبل العودة إليه، وهكذا.
- يحدث في بعض الأحيان أن يستيقظ الطفل مذعوراً أثناء الليل فيلجأ إلى غرفة والديه، أو يأخذ في الصراخ دون انقطاع، ويعالج الوالدان الأمر -كما يتبادر إلى ذهنهما- بأن يأخذا الطفل إلى سريرهما لتهديته، ويبدو لهما أن هذا هو الحل الأمثل في ظرف كهذا؛ إلا أنه حل خاطئ؛ فحتى بعد أن يخلص الطفل من هذه المرحلة المزاجية الحرجة يظل متمسكاً بعادة النوم في سرير والديه، ويجد الوالدان صعوبة كبيرة في إقناعه بالإقلاع عن هذه العادة .. لذلك أعيدي طفلك دائماً إلى سريريه على الفور ودون أي تردد،

وكذلك يفضل أن لا تأخذ الأم طفلها إلى سريرها لأي سبب من الأسباب لكي ينام فيه حتى في المناسبات التي يكون فيها زوجها غائبا عن المنزل.

■ إذا رفض الطفل البقاء في غرفة نومه، فاستخدمي أسلوب إغلاق الباب؛ إما أن يبقى في السرير أو أن الباب سوف يُغلق. ولكن مهما حدث فلا تقفلي الباب بالمفتاح فذلك مرعب بالنسبة له، وإنما امسكي الباب وهو مغلق لعدة دقائق قبل أن تعيدي فتحه وإعادة المحاولة.. على الرغم من أن ترك الطفل يبكي في فترة التعليم هذه مؤلم للوالدين؛ إلا أن الخبراء يقولون بأنها لن تترك أي أثر نفسي على الطفل.

■ بعض الآباء عند عودته متأخرا يوقظ ابنه من النوم لكي يلعب معه أو لأنه اشترى له لعبة، وخاصة عندما يكون الأب مشغولا طول اليوم وليس عنده إلا هذه الفرصة، لكن هذا الأب الحنون لا يدرك أنه قطع على ابنه متعة النوم الهادئ، وأنه ومن الصعب أن ينام مرة أخرى بارتياح.

العمر من ٦-١٢ سنة (سن المدرسة)

بشكل عام عند بلوغ الطفل سن السادسة فإنه عادة لا يحتاج إلى أن يغفو أثناء النهار، كما أن مجمل ساعات النوم تقل إلى ١١ ساعة في اليوم، وحين يصبح في العاشرة من عمره تكون عدد ساعات حوالي ١٠ ساعات يوميا. خلال هذه الفترة تختفي مشاكل النوم التي واجهته في طفولته المبكرة، كما أن معظم الأطفال ينعمون بنوم هادئ أثناء الليل، ويكونون يقظين تماما أثناء النهار.

وكالكبار، فإن بعض الأطفال كالطيور المبكرة «أشخاص النهار» يستيقظون مبكرين وينامون مبكرين، وبعضهم -على العكس- كطيور الليل «أشخاص الليل».

المشكلة الرئيسية في هذا العمر هي «موعد النوم» أكثر من كونها مشكلة في النوم. فأكثر مشكلة شيوعاً في هذا العمر هي رفض النوم، فالطفل يحاول تأخير موعد نومه إما لمشاهدة التلفاز أو اللعب أو حل الواجبات المدرسية .. وقلة النوم في هذا العمر تظهر نتائجها السلبية في النهار، فالنوم غير الكافي كفيل بجعل الطفل عصبي وتصرفاته غريبة أثناء النهار، كما أن الطفل قد ينام أو يفقد تركيزه في المدرسة.

إرشادات غالية

- عودي طفلك على القيام بتمارين رياضية يومية، فالجسم المتعب يذكر العقل في هذه الحالة بضرورة الذهاب إلى السرير.
- بما أن حاجة طفلك إلى النوم تتغير مع تقدمه في العمر، يمكنك أن تؤخري ساعة نومه أو أن تسمحى له بقليلة أقصر كلما صار أكبر سناً .. لا تدعي طفلك يواصل قيلولته حتى مغيب الشمس، مع الأمل بأن ترسله إلى السرير مجدداً بعد ساعة من الزمن .. أيقظيه إذا ما اقتضت الحاجة، وذلك لتطويل الفترة الفاصلة بين القيلولة والنوم.
- ضعى موعد نوم مناسب ليتم إتباعه .. على الرغم من أن موعد النوم قد يختلف من طفل إلى آخر، إلا أنه عليك إتباع الموعد الذي تجديه يوفر نوم كاف لطفلك.

- لا تتركى الطفل يتناول الكثير من القهوة والشاي والكولا قبل النوم ففيها الكثير من الكافيين المنبه.
- نبهي طفلك إلى اقتراب موعد النوم قبل نصف ساعة، ثم قبل ربع ساعة، فالأطفال لا يحبون القرارات المفاجئة التي تنقلهم من حال لأخرى.
- محاولة جعل ساعة الذهاب للفراش وقتاً يتسم بالسعادة وليس وقتاً للعقاب، مما يوحى للصغير بأنه عندما يذهب لغرفة نومه، فهو يثبت للأمر أنه يحظى بحب واحترام والديه، لأنه أصبح يعتمد على نفسه، وهذا أمر يستحق التقدير.
- بما أن النظام مصدر للإحساس بالأمان عند الأطفال، اطلبي من طفلك أن يذهب للحمام ثم يغسل أسنانه ثم يتوضأ ثم يرتدي «بيجامته» بالترتيب نفسه كل مساء .. اطلبي إليه أن يعدد هذه المراحل بالترتيب، وذلك لكي تتحول تحضيرات النوم إلى لعبة مسلية، ثم اتركي الطفل يقود هذه اللعبة بنفسه.
- يجب أن لا يكون في غرفة الطفل تلفاز أو ألعاب كمبيوتر أو ألعاب أخرى خاصة المثيرة منها.
- استعمال الإضاءة الخافتة المناسبة في حجرة الصغير، وتدفئة الغرفة جيداً في الشتاء، وتجديد جوها في الصيف.
- من المهم في هذه الفترة تعليم ابنك هدي النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في النوم، من النوم على الشق الأيمن ووضع يده تحت خده الأيمن وترديد أذكار النوم.

■ إضافة إلى كون التهديد والضرب يسبب لك الغم ويثير عندك الشعور بالذنب في حال اصطدامك بمعاندة الطفل، فإن تهديده وضربه يجعلانه أيضا فريسة للكوابيس والمخاوف .. استخدمي الساعة المنبهة كسلطة محايدة تقرر بأن ساعة النوم قد أزفت لكي تكوني بمنأى عن اللوم.

(١)

(١) من مصادر البحث
- النوم عند الأطفال د. أحمد سالم باهمام / عضو هيئة التدريس بكلية الطب-جامعة الملك سعود
- حتى لا يرفض طفلك الذهاب إلى الفراش د. علي رضا
- مشكلات النوم عند الأطفال د. علي رضا
- اضطرابات النوم عند الأطفال مجلة الشقائق العدد ٣٦ ص ٤٤
- التربية الذكية باربرا يونيل

اضطرابات النوم عند الأطفال

في فترة الطفولة تكثر اضطرابات النوم التي قد تكون عابرة أو متقطعة أو مزمنة في طبيعتها. ويقال إن معدل حدوثها (٠.٢-١٠%) .

قد نجد لدى الرضع الذين يجدون في العادة صعوبة في ترسيخ طرز نوم ليلية منتظمة .. نجد صعوبة في النوم، ناجمة عن وجود قلق لدى الوالدين أو نزاع بينهما.

وقد يعاني الأطفال الأكبر سناً من مخاوف ليلية عابرة (من اللصوص، أصوات الضجيج، برق ورعد، الاختطاف..) تكون ذات أثر سيء على نومهم، وقد يعبر الأطفال عن تلك المخاوف بصورة علنية، أو عبر تكتيكات هدفها في الغالب تأجيل موعد النوم، وقد يطلب الطفل الخائف النوم في غرفة الوالدين، أو يأتي إليها بعد نومهما.

وعندما يترعرع الأطفال ويغدون أكثر إدراكاً للموت، قد يتلكنون في الذهاب إلى الفراش خشية تعرضهم له، ويكون هذا الأمر مبالغاً فيه عند وجود وفاة حديثة لأحد أفراد الأسرة.

وغالباً ما يشارك «قلق الفصل» في هذه الاضطرابات، حيث يعتبر الأطفال بصورة لاواعية ورمزية- النوم بأنه: «ذلك الوقت الذي يحرمون فيه من حب واهتمام الوالدين»، ولا شك أن ذلك القلق سيجد سبيله للتفاقم عند وجود صراع في الأسرة أو حدوث الطلاق أو انفصال الزوجين.

كما ترتبط مخاوف وقت النوم غالباً مع حالات الفصل الطبيعية، كما في حالة التحاق الطفل بالحضانة أو روضة الأطفال. وقد يتم التعبير عن القلق الناجم عن أي من مجالات حياة الطفل (الأسرة، الأقران، مستوى الأداء المدرسي..) على شكل اضطراب في النوم.

كما قد يسبب الاكتئاب مشاكل ذات صلة بالنوم.

الأرق

يقصد بالأرق: عدم قدرة الطفل على الخلود إلى النوم، أو بدء النوم بعد حلول وقته والاستلقاء بالسرير .. ويقصد بالأرق أو بالقلق -أيضاً:- عدم قدرة الطفل أو المراهق على الحفاظ على نوم طبيعي متواصل، أو الاستيقاظ مبكراً في الصباح على غير عادته.

وقد يعاني الطفل من التكلم أثناء النوم، والتقلب المستمر ورفس الغطاء طوال الليل، ويستيقظ دون أن يأخذ كفايته من النوم، مما يجعله يعاني من سرعة الانفعال والتهيج والقلق الواضح وشدة التوتر، مع صعوبة التركيز وكثرة البكاء.

وهي حالة منتشرة خاصة عند الأطفال ما قبل الخمس سنوات من العمر، وفي فترة المراهقة.

هناك ثلاثة أسباب رئيسية لقلق الطفل:

أسباب متعلقة بالحياة اليومية ، أسباب عضوية جسدية، وأسباب نفسية

■ **الأسباب المتعلقة بعادات الحياة اليومية:** تختلف من طفلٍ لآخر، ومن عائلةٍ لأخرى، ويمكن أن تكون واحد أو أكثر من العادات السيئة التالية، خصوصاً عند ممارستها قبل النوم:

○ وجود كلا أو أحد الوالدين مع الطفل في غرفة نومه (هو أهم هذه الأسباب).

○ اللعب بانفعال وتوتر مع كثرة الحركة.

○ التعلق الشديد بزجاجة الرضاعة عند الرضع.

○ مشاهدة التلفاز أو تصفح الإنترنت أو اللعب بالكومبيوتر والبلاي ستيشن قبل النوم مباشرة، خاصة البرامج والألعاب المثيرة والمرعبة.

○ إصرار الطفل على النوم مع الوالدين في نفس السرير.

○ استخدام المراهقين للهاتف الجوال بكثرة، وخصوصاً قبل النوم.

○ تناول الطفل أو المراهق للمشروبات الحاوية على الكافيين في المساء والليل (القهوة - الشاي - المتة...).

○ تدخين المراهق للسجائر خاصة قبل النوم.

■ **الأسباب العضوية:** بسبب وجود مرض عضوي، وهي تختلف من

حيث شيوعها حسب عمر الطفل، وأهم هذه الأسباب:

○ التهاب الأذن الوسطى عند الأطفال.

○ نوبات توقف التنفس الانسدادية خلال النوم عند الأطفال.

- ربو الأطفال والمراهقين.
- الارتداد المعدي المرئي- ارتداد الطعام المتكرر - ترجيع الحليب
- حساسية الطفل لحليب البقر (عند الطفل الذي يرضع صناعيا من الزجاجاة)
- الأكزيما : التهاب الجلد بسبب الحكة.
- التأخر العقلي.
- مرضى الصرع - تشنج الطفل.
- تأثير بعض الأدوية: الريتالين - الكورتيزون – الثيوفيللين.
- **الأسباب النفسية:** عدم الوفاق بين الوالدين، وكثرة المشاجرات اللفظية والجسدية بينهما .. حالات الطلاق .. المنافسة مع الإخوة أو الزملاء في المدرسة وما يصاحب ذلك من صراعات وتوتر شديد .. بداية المراهقة حيث تتغير اهتمامات المراهق .. بعض حالات الإكتئاب عند المراهقين .. الضغط المستمر من قبل الوالدين في محاولة لتنشئة طفلها بصورة مثالية -خصوصا في حالة الطفل الأول للأسرة- يسبب له صراعا مع قدراته الذاتية.
- ونتيجة تعدد الأسباب وتشعبها يجب فحص الطفل جيدا قبل تشخيص الحالة كمرض نفسي، حيث يتركز العلاج ابتداء على معرفة سبب الأرق والتوتر وإزالته، وكشف المرض العضوي المسبب للقلق وعلاجه، ومن أكبر الخطأ اللجوء للأدوية المنومة، والتي قد تسبب مشكلة الإدمان عليها

ومشاكل أخرى، وفي حال فشل الأهل في علاج المشكلة، فلا بد من استشارة طبيب الأطفال المختص.

وفيما يلي بعض الأفكار التي قد تساعدك على مواجهة أرق طفلك:

■ إذا شعر طفلك بالرغبة في إغفاءة قصيرة أثناء النهار فلا تحرمه منها، بحجة أن ذلك قد يؤثر على نومه ليلاً. مع ملاحظة أن عدداً قليلاً من الأطفال يستطيعون أن يصحوا طوال النهار دون أن يناموا ولو لفترة قصيرة.

■ لا تحاولي إجبار طفلك على النوم قبل أن يكون لديه الاستعداد لذلك، فالطفل مثل الشخص الراشد لا يستطيع أن ينام إطاعة لأمر .. وإذا لم يكن الطفل مجهداً، أو يوشك أن يعرض نفسه للخطر، دعيه بجانبك حتى ينعس ثم خذيهِ إلى غرفة نومه.

■ اجعلي من غرفة نومه مكاناً شيقاً جذاباً .. فغرفة النوم لدى بعض الأسر ما هي إلا مكان للنوم وحسب!! ولا يُبذل أي مجهود في تنظيمها واختيار ألوانها لجعلها محببة للطفل، بل ومكاناً يستطيع أن يلعب فيه، أو يقضى بعض الوقت قبل أن يستسلم للنوم.

الذعر الليلي

ينام الطفل نوماً عادياً من ١-٣ ساعات بعد أن يأوي إلى فراشه، ثم يتكور أو يجلس في سريره .. يبدأ في الصراخ والعيول والبكاء، وعينه مفتوحتان، والخوف يبدو على وجهه، كما يبدو وكأنه في حالة دفاع عن النفس، وأنه يتحدث إلى أشخاص وهميين بطريقة مبهمة، ولو تدخلت الأم

لتهدئة الطفل فيبدو لها أنه لا يفهم ماذا تقول وماذا تريد منه، كما أنه لا يسمعها ولا حتى يعرفها، وإذا سألت الأم طفلها بماذا كان يحلم أجاب أنه لا يعرف ولا يتذكر أي شيء.. فالطفل لا يكون قد استيقظ بالكامل حقيقة بالرغم من صراخه، وكذلك بالرغم من فتح عيونه كأنه مستيقظ ويرى ما حوله، وهذا أمر مهم يجب على الوالدين إدراكه، لأنه يفرق بين حالة «الذعر الليلي» وحالة «كوابيس الأحلام».

تظهر حالات الذعر أو الفزع الليلي عادة في سنوات ما قبل المدرسة، ويحدث الفعل الموقظ خلال المرحلة الرابعة للنوم، وعادة عند بدء دورة النوم، ويكون الطفل فيها واضح التخليط وتيهاناً، مبدئاً علامات دالة على فعالية ذاتية شديدة (تنفساً مجهداً، حدقتين متسعيتين، تعرقاً، تسرع القلب ..). وقد يشكو من تظاهرات بصرية غريبة الأطوار، ويبدو عليه الخوف واضحاً، وقد تحدث حالة السير النومي (المشي أثناء النوم)، وعادة ما ينسى الطفل محتوى الحلم الذي سبب له الفزع.

تميل حالات الفزع الليلي للتراجع من تلقاء نفسها، وقد يكون لها صلة بصراع نوعي ذي صفة تطورية أو بحادث رضي مؤهب، ويقال إن نسبة حدوثه لدى الأطفال (٢-٥%)، ويعتبر أكثر شيوعاً لدى الصبيان منه لدى البنات، كما لوحظ وجود طراز عائلي لتطور حالات الفزع الليلي، وقد يكون للمرض المترافق مع ارتفاع درجة الحرارة دوراً في حدوث نوبات الذعر الليلي.

ومما تجدر ملاحظته في هذه الحالات أن الطفل ليس بحاجة إلى أن يبذل الوالدان جهداً في طمأنته بالكلام، لأنه لا يشعر بوجود أي منهما حوله حينها، بل ويستطيع الطفل العودة إلى النوم بشكل أسرع من حالات كوابيس الأحلام المفزعة، نظراً لأنه لم يستيقظ بشكل كامل .. وبناء على ذلك فكل ما هو مطلوب من الوالدين حينها أن يكون أحدهما بجوار الطفل لمراقبته حتى يهدأ ويعود إلى النوم.

الكوابيس الليلية

تحدث في أعمار مختلفة، والأكثر شيوعاً في عمر ما قبل المدرسة (٣-٦ سنوات) حيث يتسع خيال الطفل في هذه الفترة، ويختلط الخيال مع الواقع.

ويمكن تفريقها بسهولة عن نوبات الذعر الليلي .. فهنا يشاهد الطفل حلماً مزعجاً، يتلو ذلك حالة صحو تام، ويستطيع الطفل تذكر الحلم، ويحدث ذلك في النصف الأخير من الليل، ويبدو الطفل خائفاً بعد الصحو، ويستجيب بشكل جيد للوالدين، ولمحاولتهما لإزالة خوفه، وقد يجد الطفل صعوبة في العودة إلى النوم، وتزول أكثر حالات الكوابيس الليلية مع تقدم الطفل بالعمر.

ويكون حدوث الكوابيس خلال مرحلة نوم «حركة العين السريعة» إذ يستيقظ الطفل ويغدو صاحياً خلال وقت قصير .. يسجل نحو (٧-١٥ %) من الأطفال مشاكل تتعلق بالكوابيس، وتحدث الكوابيس بصورة أكثر

شيوعاً لدى الإناث منها لدى الصبيان، وتبدأ بالحدوث عادة قبل سن العاشرة، وهي شائعة خاصة عند أطفال لديهم قلق أو اضطرابات وجدانية. ليس هناك أسباب محددة لحدوث الكابوس، ولكن هناك أسباب تزيد من حدوثه مثل:

○ مشاهدة الأفلام والمناظر المرعبة في التلفاز.

○ سماع قصة مرعبة.

○ عدم الارتياح النفسي والقلق.

الكوابيس لا تعتبر مرضاً، ولا يحتاج الوالدان مراجعة الطبيب، وإنما تحتاج إلى الرعاية المكثفة من الوالدين .. فيجب على الأم والأب أن يطمئنا الطفل المذعور، ويحاولان معرفة تفاصيل الحلم، وتفاصيل يوم الطفل .. فالعديد من الأطفال يحلمون بأشياء قد شاهدوها خلال اليوم، وبقيت عالقة في أذهانهم، كما أن بعض الأحلام قد تكون تفسيراً لحالة نفسية يمر بها الطفل .. فقد يكون الطفل قد تعرض لأذى بدني أو نفسي أو جنسي، لذا من المهم جداً معرفة الحلم ودوافعه المحيطة بالطفل.

إذا حاول الطفل النزول من سريره فحاولي أن تقنعيه بالعدول عن ذلك، لكن برفق. وإذا حاول مقاومتك، أو بدا عليه التصرف الهستيري، حاولي التصرف معه بالمزيد من الرفق والحنان. ويمكنك في هذه الحالة تشغيل ضوء الغرفة، وتغيير مساند سريره، وما إلى ذلك من التصرفات تشعره بالاطمئنان.

ونحذر بشدة بالأخذ الأبوان الطفل إلى غرفتهما، لأن ذلك قد يفسر من جانب الطفل بأنه لا بأس من أن يكون خائفاً، وأنهما راضيان عن هذه المخاوف، وهو ما يزيد من مخاوف الطفل بدلاً من التغلب عليها.

المشي أثناء النوم

المشي أثناء النوم هو سلسلة معقدة من التصرفات تبدأ خلال مراحل النوم العميقة وتنتج عنها هذه المشكلة، وعادة ما يحدث ذلك في الثلث الأول من الليل، ويكون الدماغ أثناء هذه العملية نصف نائم ونصف واع. ويمكن أن يقوم الطفل ببعض المهام السهلة مثل تجنب بعض العوائق التي قد تصادفه وهو يمشي، إلا أنه عادة لا يمكنه التفاعل الكامل مع العوامل الخارجية أو القيام بالعمليات المعقدة؛ فمثلاً قد يقع الطفل من الدرج، أو أنه قد يخط ما بين النافذة والباب مما قد يعرضه للإصابات أو الكسور.

يحدث في (١٠-١٥%) من الأطفال، وتختفي تلك الحالات العارضة مع بدء المراهقة بصورة طبيعية، وغالباً ما تترافق هذه الحالة مع حالات بول الفراش الليلي، أو مشاكل نفسية تصيب الطفل .. لكن عموماً السبب الحقيقي غير معروف، وقد يكون هناك استعداد وراثي للحالة، وقد تتفاقم الحالة بسبب التعب ونقص النوم والقلق وارتفاع حرارة الطفل.

وعند المشي فإن الطفل يعود إلى الفراش بنفسه ولا يتذكر ذلك، ومن الصعوبة إيقاظ الطفل عند المشي أثناء النوم، ولكي تضمني السلامة لطفلك يجب العمل على الحيلولة دون وقوع أذى له خلال مشيه، ويكون ذلك بإزالة كل الأجسام الخطرة من حوله: زوايا حادة، أجسام قاطعة وحادة،

سقوطه من على الدرج ... ، ولذلك يجب ترك باب غرفة الطفل مغلقاً، ويفضل ترك الطفل ينام في الطوابق الأرضية بعيداً عن المخاطر، كالدرج، وحوض المياه، والأدوات الساخنة....

ولا يحتاج الأمر إلى إيقاظه، بل أمسكي يده وقوديهِ إلى السرير بهدوء، حينها سيهدأ ويخلد إلى النوم من تلقاء نفسه. ولا تحاولي إيقاظه أو هزّه ليصحو، ولا تحاولي تأنيبه أو تسببي له الإحراج والخجل في اليوم التالي.

جرش الأسنان

بالرغم من أن بعض الأطفال قد يجرش أسنانه في النهار حين اللعب أو مشاهدة التلفاز، إلا أن هذا أمراً في النادر حدوثه، بل الغالب هو أن الطفل يجرش أسنانه أثناء نومه في نوبات متعاقبة تتكرر عدة مرات في الليلة الواحدة.

وحسب ما تشير إليه الإحصائيات الحديثة: يعاني ثلاثة أطفال من بين كل عشرة من جرش الأسنان أثناء النوم، وخاصة من هم دون الخامسة من العمر، ولا فرق في هذا بين الذكور والإناث.

سبب ظهور هذه الحالة لدى الطفل غير معروفة على وجه الدقة، لكن هناك نظريات عدة بعضها يُرجع الأمر إلى أسباب موضعية في الفم والأسنان، أو أسباب مرضية عامة في الجسم، أو أسباب نفسية تؤثر على الطفل نتيجة لأحداث الحياة اليومية الضاغطة عليه.

أما عن الأسباب الموضعية في الفم والأسنان فيرى كثير من الباحثين أنها ناتجة عن عدم التطابق بين أسنان الفك العلوي مع السفلي، وذلك لأسباب عدة في نمو أو بنية الأسنان، أو لوجود حالات تثير ألما أو عدم راحة في الأسنان.

وأحياناً قد تكون مشاكل الأذن -وخاصة ما يسبب منها ألما- سبباً في ظهور حالة جرش الأسنان لدى الطفل.

وهناك من يرى أن الحالة تنتج عن أسباب عامة في الجسم كوجود ديدان في البطن، أو نقص في أحد العناصر الغذائية سواء من الفيتامينات أو المعادن، أو وجود حساسية، أو اضطرابات في الغدد الصماء.

ومن الطبيعي أن لا يعلم الطفل بالأمر، وغالبهم يعاني في صباح اليوم التالي من ألم في عضلات الفك أو ألم في أحد الأذنين أو حتى من الصداع وصعوبة في النشاط للذهاب إلى المدرسة.

وعادة لا يضر الأمر بالأسنان، لكن أحد أهم آثاره النادرة هو أنه قد يتسبب في زوال طبقة المينا الخارجية للأسنان، أو حصول تشقق في الأسنان، أو أن تصبح حساسة لحرارة الأكل أو المشروبات.

مراجعة طبيب الأسنان قد تكون ضرورية حينما يعاني الطفل من آلام في الفك أو الوجه أو صداع، أو تحسباً لظهور حساسية أو تفتت فيها.

والعلاج لدى الطبيب يبدأ بالوسائل البسيطة في الفحص لاحتمال وجود عدم تطابق في أسنان كلا الفكين وإزالة أسباب ذلك إن أمكن، أو معالجة أي أسباب أخرى.

إن لم تفلح هذه الخطوات فإن استخدام تركيبة حماية قد تفيد على أقل تقدير في وقاية الأسنان من التأثير الضار، ويجب ملاحظة حسن استخدام الطفل لها كي لا تؤثر على نمو الأسنان أو شكل الفم.

البكاء خلال النوم

هناك أسباب كثيرة لبكاء الطفل خلال النوم، خاصة الأطفال صغار السن، ومن أشهرها:

الجوع، إلباس الطفل الكثير من الملابس، تغيرات درجة الحرارة، تلوث الحفاضة، المغص، السعال (قد يكون السعال بسبب الربو أو التهاب الجيوب الأنفية إذا كان مزمنًا)، تضخم أو التهاب اللوزات (يستيقظ الطفل بسبب صعوبة التنفس ويحاول تغيير وضعيته نومه)، آلام النمو (هي آلام في الطرفين السفليين تنجم عن كثرة حركة الطفل خلال النهار)، قلق الانفصال عن الأهل (وتظهر هذه الحالة في نهاية السنة الأولى من عمر الطفل عندما يبدأ بالنوم وحده)، الارتداد المعدي المريئي (أي عودة الطعام إلى المريء عند الأطفال المصابين بهذه الحالة)، الديدان الدبوسية الشرجية (وهنا تترافق مع حكة شرجية ليلية)، التهابات الأذن الوسطى، بزوغ الأسنان، وأحيانًا لا يكون هناك سبب واضح

من هنا وهناك

- مع طفلك .. بين الحنان والتدليل شعرة
- الطفل الموهوب .. الحاجة إلى عناية خاصة
- أقوال ومواقف

مع طفلك .. بين الحنان والتدليل شعرة

أن نحب أطفالنا ونريدهم أن يكونوا سعداء، لا يعني أن نحقق لهم جميع رغباتهم، فهذا النوع من الحب المفرط لا يبني شخصية الطفل بطريقة إيجابية، إذ يضعف التدليل إحساسه بالأمن والطمأنينة عندما يكون بعيداً عن والديه، ويدفعه إلى الأنانية والتفكير في ذاته فقط .. أي أن يصبح الطفل اتكالياً أنانياً، كما أنه قد يتجه إلى السرقة عندما لا تحقق رغباته.

إن من أخطر أساليب التربية «التدليل المفرط» الذي يسلكه بعض الآباء والأمهات مع أبنائهم، حيث يتركون لهم الحبل على الغارب يفعلوا ما يشاءون، وإعطائهم ما يريدون وما يبتغون، أو بمعنى آخر تلبية كافة طلبات الابن مهما كانت صعوبتها، وفي أي وقت كان، الأمر الذي يجعل الطفل يشعر بأن والداه تحت رحمته، ومطلبان دائماً بتحقيق كل نزوة من نزواته.

ويخلط الكثيرون بين الاهتمام بالطفل والإفراط في تدليله، وبوجه عام فإن الاعتناء بالطفل شيء جيد، وضروري لعملية نموه الطبيعية، غير أنه إذا زاد هذا الاهتمام عن الحد، أو كان في وقت غير مناسب، كانت له أضراراً بالغة .. كأن يتعارض اهتمامنا به مع تعليمه كيف يؤدي بنفسه ما هو مطلوب منه، وكيف يتعامل مع ضغوط الحياة، وكذلك إذا استسلمنا دوماً لطلبات الطفل، أو تساهلنا معه في أعقاب تصرفه تصرفاً خاطئاً يستحق عليه العقاب.

يقول (دنييس شولمان) أحد الاختصاصيين في مجال سلوك الأطفال: «إن الأطفال يترجمون ردود فعل الوالدين إلى سلوكيات تمكنهم من تحقيق ما يريدون، ولذا من الخطأ الكبير أن يتعوّد الطفل على تلبية كل طلباته، من المفروض أن يسمع الطفل كلمة (لا) كثيرا، ليكفّ عندها من استخدام الأساليب الملتوية لتحقيق مطالبه».

ويقول (ريموند بيج): «إن الآباء والأمهات يأملون في الطفل النجاح والسعادة طبعاً، ولهذا فهم يراؤون به أشد الرأفة، ويتملقونه، ويبعدون كل عقبة أو مشكلة حتى لو كانت تافهة عن طريقه، وكلما كبر الطفل حاولوا تهيئة وسائل اللعب المناسبة له .. إن هذه الأعمال تستوجب الاستحسان في الظاهر. أما في الباطن فإن الخطر الكامن وراءها موحش جداً».

أسباب ودوافع

غالبا ما يكون التدليل في تربية الطفل إما لجهل الوالدين بعاقبة تلك الطرق، أو نتيجة إتباع نفس أسلوب الآباء والأمهات والجدا، أو لحرمان الأب أو الأم من شيء معين .. فالأب عندما يحرم مثلا من الحنان في صغره تراه يغدق على طفله بهذه العاطفة أو العكس.

وقد يتجه الوالدان أو احدهما إلى إتباع أسلوب فرط التدليل مع الطفل لأنه الوحيد، أو لأنه ولد بين أكثر من بنت، أو لأن الأب قاسي فتشعر الأم تجاه الطفل بالعطف الزائد فتدللّه وتحاول أن تعوضه عما فقده من الحنان الأبوي، أو لأن الأم أو الأب تربيا بنفس الطريقة فيطبقان ذلك على أبنائهما.

سمات الطفل المدلل

يعرف حقوقه أكثر من معرفته لواجباته .. مغرور ومتكبر .. مستبد ومتمرد على سلطة والديه ولا يحترمهما ولا ينفذ أوامرهما، لدرجة أنه يصبح دكتاتورا يتحكم في الأسرة .. فوضى، ولا يتبع قواعد التهذيب، ولا يستجيب لأي من التوجيهات مما يجعله مزعجاً للآخرين .. يستثمر طاقته في التخريب .. يحتج على كل شيء، ويصر على تنفيذ طلباته .. لا يعرف التفريق بين احتياجاته ورغباته .. يطلب من الآخرين أشياء كثيرة أو غير معقولة .. لا يحترم حقوق الآخرين ويحاول فرض رأيه عليهم .. فضولياً كثير التساؤل .. قليل الصبر والتحمل عند التعرض للضغوط .. ينكسر أمام مشاكل الحياة بسرعة .. يصاب بنوبات البكاء أو الغضب بصورة متكررة .. يشكو دائماً الملل.

التدليل يفسد أكثر مما يصلح

إن التدليل المفرط للطفل يفسده أكثر مما يصلحه لعدة أسباب هي:

١. تدليل الأطفال يقضي نهائياً على فرصة تكون الإرادة فيهم، حيث يتعلق بوالديه لدرجة أنه لا يستطيع أن يتخذ أبسط القرارات الخاصة به دون الرجوع إليهما، ويفتقر إلى الثقة بالنفس، وليس معنى ذلك أن تكون الشدة هي الضمان الأمثل لنشأة الأطفال نشأة سليمة فخير الأمور أوسطها.
٢. في المراحل الأولى من عمر الطفل ربما يسبب فرط التدليل الكثير من عيوب النطق والكلام، نتيجة الاستجابة الفورية لرغباته دون أن يتكلم، فيكفي أن يشير أو أن يعبر بحركة ما أو بكلمة مبتورة فيلبى والداه رغبته في الحال.

٣. الطفل المدلل لا يستطيع الاعتماد على نفسه، أو مواجهة متاعب ومصاعب الحياة، لأنه يفتقر إلى المهارات اللازمة للتغلب على المشكلات اليومية.

٤. عدم تحمل مواقف الفشل والإحباط الحياتية، لأنه تعود على أن تلبي كافة مطالبه.. إن الأفراد الذين نشأوا في ظل الحنان المفرط، هم أتعس الأفراد، لأنهم يعجزون عن حل مشاكل الحياة الاعتيادية، فيلجئون في الشدائد إلى الانتحار متصورين أن النهاية الحتمية لفشلهم يجب أن تبرر بالانهزام من معركة الحياة^(١).

يقول (جلبرت روبين): «إن تعويد الطفل على الإعجاب بنفسه، يورث الغضب الشديد فيه لأبسط الأشياء، والاستبداد في الرأي. وفي الغالب يدفعه إلى الرغبة في طلب الجاه، وفي النتيجة لا يحصل الطفل على القدرة التي تساعد على التقدم، ومع كونه ذا أعصاب هزيلة فإنه ينجح بواسطة الحيلة والشدّة .. إن جعل الأطفال معجبين بأنفسهم يكون منهم أفراداً تعساء، ضعفاء، عديمي الإرادة».

٥. يحذر رجال التربية الأسرة من العاطفة الفياضة التي تجعل الطفل عاجزاً عن الارتباط بأقرانه، حيث يشعر بتشبع شديد من عاطفة الأسرة فلا يميل إلى الآخرين، وذلك ينمي داخله الوحدة والانطواء.

(١) يستشهد (الفرد أدلر) العالم النفسي الشهير، وزعيم المدرسة الفردية في علم النفس بامرأة انتحرت لسبب تافه هو أن جارها كان يعلي صوت المذياع، ولم يهتم باستئجارها المستمر. وأخيراً أقدمت على الانتحار وتدل التحقيقات التي أجراها (أدلر) بهذا الصدد على أن هذه المرأة نشأت منذ طفولتها على الغرور والرضا بالنفس، وكان يحضر إليها في المنزل ما تشاء من دون قيد أو شرط. ولهذا السبب فإنها لم تطق العيش في دنيا تسمع الجواب السالب على ما تطلب فيه.

٦. الطفل المدلل هو طفل قلق بطبعه، يستعجل الأمور، ويحكم على المواقف بسرعة دون تفهم، وعلى مستوى شخصي وليس المستوى الموضوعي المطلوب.

٧. غير قادر على التكيف الاجتماعي، لأنه دائماً يتوقع من أصحابه وأقرانه أن يستجيبوا لغروره وطلباته، لذلك نراه دائماً وحيداً بدون أصدقاء. يقول (مك برايد): «الشعور بالدل والغنج أمانة أخرى من أمارات عقدة الحقارة، ويجب البحث عن أساسه في أسلوب التربية الخاطيء المتخذ في دور الطفولة .. إن الطفل الذي كان يرى نفسه قرة عين والديه، عندما يكبر ويصبح رجلاً كاملاً يحب أن يكون في جميع نواحي الحياة محبوباً من غير علة، ومحترماً لدى الجميع. فعندما يرى أنه لم يُعتن به، يفقد الهدوء والاستقرار، ويختل ما صفا من فكره، فإما أن يلتجئ إلى الانتحار، وإما أن يبغض الآخرين .. إن عقدة الحقارة التي تنشأ في الناس بهذه الظاهرة مصيبة عظيمة للمجتمع».

٨. تدل الدراسات التي أجريت في مستوصفات العناية بالأطفال، على أن الصبي الذي يتخلّى أبوه عن المشاركة في تأديبه أشد تعرضاً للخوف منه من الصبي الذي لا يتردد أبوه في تأديبه وإبداء استيائه لدى تصرفه خلاف الأصول .. إذاً فالصبي يحتاج إلى أب يكون أحياناً صديقاً، وفي كل الحالات يكون أباً.

٩. اهتمام الأسرة بطفل دون آخر، من شأنه زراعة الغيرة والحق في نفس الطفل المهمل وإهانة كبريائه، ومن ثم تتغير طباعه بحيث تتسم بالشذوذ والغرابة والميل إلى الانتقام من أفراد المجتمع المحيطين به.

الوقاية خير من العلاج

المفاتيح الذهبية للتربية هي: «التوازن والتكامل والاعتدال» وهذه تتطلب وجود مرجعية تربوية تنتظم من خلالها، وتلك المرجعية تتوقف على ثقافة الأبوين وانتماءاتهما وأولوياتهما، وتعتبر هذه المرجعية هي برنامج العمل الذي يحرك الأبوين، ويحرك الطفل فيما بعد.

فمن المعروف أن تلبية كل احتياجات الطفل تضره، وقد وجد أن تلبية أكثر من ٧٠% من احتياجات أي إنسان تصيبه بالتخمة واعتياد الرفاهية والأنانية والكسل .. أي أن قدرا من الإشباع مطلوب، كما أن قدرا من الحرمان مطلوب أيضا.

والأفضل أن يكون هناك توازن بين ما هو استجابة فطرية طبيعية وتلقائية، وبين القواعد والتعليمات العلمية والعقلانية المأخوذة من أهل التخصص، حتى ينمو الطفل في حالة توازن بين ما هو عقلائي وما هو وجداني .. أي أننا نريد أن يتكامل في المربي - سواء كان أما أو أبا أو جدا أو جدة - عدة جوانب:

«الجانب الراعي»: ممثلا في الحب والحنان والرعاية وتلبية الاحتياجات.

«الجانب الناقد»: ممثلاً في التوجيه والإرشاد والتصحيح والتأديب

والعقاب أحياناً

إن الموازنة بين متطلبات التكيف ومتطلبات التطور مهمة جداً، بحيث نعطي فرصة لهذا الكائن الجديد «الطفل» لكي تنمو مواهبه وقدراته في جو من الحرية والحنان، وفي ذات الوقت نعلمه كيف يحترم الضوابط الدينية والأعراف الاجتماعية البناءة وألا يتصارع معها تصارعا يستنزف طاقاته ويفسد علاقاته، فالطفل بحاجة إلى الحب والحنان قبل كل شيء، ولكن ينبغي أن يتاح له المجال ليكتسب استقلاله الذاتي .. ففي ذلك يتمثل النمو المتوازن الحقيقي له، وربما كان هذا هو الطريق الوحيد لتوازنه، ومن دون هذا التوازن تبرز عيوب التربية.

ومن المهم -أيضاً- التمييز بين احتياجات الطفل ورغباته .. فقد يبكي الطفل إحساساً بالألم أو الجوع أو الخوف، وفي هذه الحالات يجب الاستجابة له في الحال. أما بكائه لأسباب أخرى فلن يسبب أية أضرار له، وفي العادة يرتبط بكاء الطفل برغباته وأهوائه، والبكاء حالة طبيعية نتيجة حدوث تغير أو إحباط للطفل، وقد يكون البكاء جزءاً من نوبات الغضب الحادة، وهنا ينبغي أن نتجاهله ولا نعاقبه؛ وإنما نخبره فقط أنه طفل كثير البكاء، وعليه أن يكف عن ذلك.

وطبيعي أن يتضايق أطفالنا من الحدود التي نضعها لهم، وعلينا أن نتوقع إجاباتهم الغاضبة، أو عبوس وجوهم أو تجاهلهم، لأنهم يكرهون قوانيننا وحدودنا التي نضعها لهم .. كما أنهم لا يحبوننا في تلك اللحظات،

إذ من الصعب على الأطفال أن يفصلوا بيننا وبين تصرفاتنا، وعندما نصر على أن يفعلوا شيئاً لا يريدون هم أن يفعلوه، أو عندما نرفض أن نستجيب لتوسلاتهم، فإننا كثيراً ما نسمع منهم هذه الجمل الغاضبة: (إنك لا تحبني)، أو (أكرهك)، أو (أنا لن أكون صديقك)، أو (أنا لن أحبك بعد اليوم) .. إلا أن كراهية الطفل هذه مؤقتة فقط، لأنه لم يحصل على ما يريد.

ويرى المتخصصون أنه يجب أن لا نسمح لنوبات الغضب عند الطفل بالتأثير علينا، فالطفل أحياناً تنتابه نوبات غضب حادة كي يجذب انتباهنا، أو لكي يثبينا عن عزيمتنا وتغير رأينا، ومن ثم يحصل على ما يريد، وقد تكون نوبات الغضب على شكل نواح أو تدمر أو شكوى أو بكاء أو كتم النفس، أو أن يرتطم الطفل بالأرض، وما دام أن الطفل يبقى في مكان واحد، وليس متوتراً بدرجة كبيرة، وليس في وضع يعرضه للأذى، فلا أكثر من أن نهمله أثناء هذه النوبات، ومهما كان الأمر يجب ألا نستسلم لنوبات غضبه.

الإزعاج أفضل من الانحراف

عندما يدرك الطفل أن ما يريده يتحقق بالإزعاج فإنه يتحول إلى طفل مزعج، لكن كثيراً من الإزعاج أفضل من قليل من الانحراف السلوكي الذي يتولد تلقائياً في شخصيته إذا استجبنا لمطالبه في كل صغيرة وكبيرة، ومع ذلك فإن هناك وسائل كثيرة لإيقاف هذا الإزعاج من أهمها:

- تحديد قواعد التهذيب المناسبة لسن الطفل: وهذه مسؤولية الوالدين، إذ عليهما وضع قواعد تهذيب السلوك الخاصة بطفلهن، عند بلوغه السن

التي يحبو فيها، ففي بعض الأحيان قد يكون مفيداً للطفل إذا رفضنا طلبه بكلمة «لا»، فالطفل بحاجة إلى مؤثر خارجي يسيطر عليه حتى يتعلم كيف يسيطر على نفسه، ويكون مهذباً في سلوكه.

إن الطفل يشعر بالأمان في وجود روتين وقواعد معينة في حياته، ويجب أن تكون هذه القواعد منطقية ومناسبة لسن الطفل، وكلما كبر الطفل فعلى أن نغير منها أو نعدلها لتناسب مع سنه، فإذا حدد الآباء أوقاتاً معينة للأكل، واللعب، والنوم، فسوف تنتهي أغلب المشاجرات اليومية بيننا وبين أطفالنا، كما أن الثبات في وضع القواعد وتطبيقها هام جداً للحفاظ على السلوك الطيب للطفل.

ومن المهم أن يعتاد الطفل الاستجابة بصورة لائقة إلى توجيهات والديه قبل دخوله المدرسة بفترة طويلة، ومن هذه التوجيهات: جلوسه في مقعد السيارة، وعدم ضرب الأطفال الآخرين، وأن يكون مستعداً لمغادرة المنزل في الوقت المحدد صباحاً، أو عند الذهاب إلى الفراش.. وهكذا.

وهذه النظم التي يضعها الكبار ليست محل نقاش للطفل، إذا كان الأمر لا يحتمل ذلك. غير أن هناك بعض الأمور التي يمكن أن يؤخذ فيها رأي الطفل، منها: أي الأطعمة يأكل؛ وأي الكتب يقرأ؛ وماذا يريد أن يلعب؛ وماذا يرتدي من الملابس.. لنجعل الطفل يميز بين الأشياء التي يكون مخيراً فيها وبين قواعد السلوك المحددة التي ليس فيها مجال للاختيار.

كما ينبغي أن لا نغفل عن التهذيب حتى في وقت المتعة والمرح، فليس معنى الترويح أن يتهاون الوالدان في تطبيق قواعد التهذيب، فإذا أساء

الطفل السلوك -حتى وقت اللعب واللهم- فيجب تذكيره بالحدود التي عليه التزامها.

■ تعليم الطفل كيفية الانتظار(الصبر): فالانتظار يعلم الطفل كيف يتعامل مع الضغوط والمعاناة بصورة أفضل، فجميع الأعمال في عالم الكبار تحمل شيئاً من المعاناة؛ لذا فإن تأخير تلبية رغبات الطفل سمة يجب أن يكتسبها تدريجياً بالممارسة .. ولا نشعر بالذنب إذا جعلنا الطفل ينتظر دقائق من حين لآخر، (فمثلاً: يجب ألا نسمح للطفل أن يقاطع محادثاتنا مع الآخرين) فالانتظار لن يضره ما دام أنه لا يسبب له ضيقاً أو إزعاجاً، ومن ثم سوف يقوي ذلك مثابرته وتوازنه العاطفي.

■ لنكن دائماً أصحاب الفعل وليس رد الفعل: يجب مواجهة السلوك السيئ بشكل هادئ، كأن نقول له -مثلاً-: أنا أعرف أنك ترغب بشدة في شراء هذه اللعبة، لكننا لن نشترى لعباً اليوم، ولكننا سنشترى فقط بعض الأغراض المنزلية. ولا نصرخ أو نثور كرد فعل لثورة الطفل أو تشبته، لأننا بذلك نواجه سلوك الطفل السيئ بسلوك سيء مثله.

وإذا كنا نعتقد أن الطفل قد كبر وأصبح مدلاً وأن الوقت قد فات لإصلاح ذلك، فينبغي أن نعيد حساباتنا لأنه يمكننا إعادة ضبط سلوكه باستخدام النصائح السابقة .. صحيح أن ذلك قد يستغرق منا شهوراً، وقد يصبح سلوك الطفل في البداية أسوأ عن ذي قبل، ولكن النتائج التي سنحصدها -بعون الله تعالى- تستحق منا هذا الجهد.

■ ابنك هو إنسان وأنت تبغي سعادته، وسعادته لن تأتي بحصاره في نمط معين من الحياة تفرضه عليه .. على العكس، فإن سعادة الابن لن تأتي بإطلاق العنان له ليفعل كل ما يريده، وبالتالي فلا مانع أن تؤدب ابنك التأديب اللازم عندما تراه قد خرج عن الحدود، ولا داعي بعدها أن تعاقب نفسك بالإحساس بالذنب لأنك فعلت ذلك.

■ ليس جائزاً لنا أن نكبت غضبنا بدعوى أننا نخشى على الأبناء من الكبت، فنعيش في حالة غيظ، ويعيش الأبناء في حالة استهتار .. كما أنه ليس جائزاً لنا أن نحول غضبنا إلى قسوة مبالغ فيها بإهدار إنسانية الأبناء .. فمثل هذا الإفراط يجعل الأبناء في حالة من الرعب المستمر من الحياة، ويزرع في نفوسهم التشاؤم، ويلقيهم في أحضان الإحساس يفقدان القيمة والاعتبار.

ومن هذا المنطلق كان «الحرمان» هو أفضل طرق التقويم .. الحرمان من المصروف أو الخروج للنزهة، ولا نلجأ للضرب -الغير مبرح- إلا في أضيق الحدود، ولكن علينا أن نعرف أن العقاب يحتاج إلى هدوء وثبات ولا يحتاج أن تجعل الطفل سبباً لكل منغصات حياتك فتنفجر فيه وكأنك تنهال ضرباً على كل ظروفك الصعبة.

■ لا تكن حازماً في الخارج، ومتساهلاً في البيت .. بمعنى أن نترك للطفل حرية النزهة في الملاعب والحدائق، وأن يتبع في البيت نوعاً من النظام. وليس من الضروري أن يكون هذا النظام صارماً، ولكن المهم أن يراعى.

- لنتعود أن نقول لأطفالنا «لا» برفق، بل ونحن نبتسم، ونتمسك بصرامة وحنان معاً، فهذا شيء مهم جداً .. من الملاحظ أن كثرة التوبيخ وكثرة الإهانة للطفل وكثرة الصراخ في وجهه، تجعله يسيء الظن بنفسه وبقدراته، ولذلك فإن الطفل غالباً ما يكرر الخطأ.
- إخبار الطفل مسبقاً: فالأطفال يجب أن يعرفوا دائماً ما الذي يتوقعونه منا، وما الذي نتوقعه نحن منهم .. فمثلاً قبل اصطحاب الطفل للتسوق يجب على الأم أن تقول لطفلها: «نحن ذاهبان الآن إلى محل تجاري، وتوجد هناك حلوى كثيرة، ولكننا لن نشترى أيّاً منها، لأننا لم نتناول غداءنا بعد»، حينها سيتوقع الابن ما سيحدث، ويعرف أيضاً أنه يجب عليه أن ينتظر إلى ما بعد الغذاء.
- تدريب الطفل على تحمل المسؤولية، ومساعدته على تحقيق ذلك أمر مهم للغاية، لأن أي نجاح يحققه في هذا المجال يدفعه إلى مزيد من المحاولات ويزيد من ثقته في نفسه .. لا بد أن يتدرج في تحمل المسؤولية، فيبدأ في التدريب على خلع ملابسه أو ارتدائها بنفسه، ثم يتعلم الالتزام ببعض قواعد الآداب في مجالس الكبار، والتحكم في العواطف والانفعالات وهكذا.. ويلعب الوالدان دوراً مهماً في تدريب الطفل على أن يثق بنفسه وبقدراته وتحمل الأعباء، وتشجيعه إذا نجح في حل بعض المشكلات الصغيرة.

حنان الأمومة في ثوب عملي

- عند استيقاظه من النوم: خذي صغيرك في حضنك، واحكي له ما ستقومان بعمله في هذا اليوم الجديد.
- عند تناوله الطعام: لا تنسي مداعبته عن طريق التمثيل البسيط.
- بعد أن يأخذ طفلك حمامه الدافئ: جففي جسمه بلطف، وقولي له: «كم أنت جميل».
- عندما يستعد للخروج معك، وعند ارتداء ملابسك: حدثيه عن المكان المتوجه إليه، وعما سيتم فعله هناك.
- قبل خروجك: أعطيه ما يكفيه من الحنان فترة غيابك عنه، بإعطائه حضناً دافئاً.
- عند عودتك: عبري له عن مدى اشتياقك له، وعن سعادتك لرؤيته مجدداً.
- عندما يلزم طفلك الأدب، ويلعب معتمداً على نفسه دون إزعاج: أظهر له إعجابك وفخرك بسلوكه، ولا تنسي تأثير القبلة والكلمة الرقيقة على نفسية صغيرك الحبيب.
- عند النوم: تحدّثا سوياً عما حدث في ذلك اليوم، وعن الأحداث المنتظرة في اليوم التالي بإذن الله تعالى.

الطفل الموهوب .. الحاجة إلى عناية خاصة

وجدت الموهبة لتكون مقياس للتنافس بين الأفراد والعقول، ولتكون نبراسا يميز أصحابها .. تقودنا إلى الإبداع، والخلق من نبع الخيال، وإلى تحقيق أعلى النقاط في مستويات الذكاء، وبلوغ الحقائق التي قد لا يدركها الآخرون.

هذه الموهبة نعمة من الخالق عز وجل، وهبها عباده لتكون أمانة، يصقلونها وينمونها .. فهي قدرة بشرية طبيعية، وذات قيمة متميزة.

الموهبة تفوق في الحواس والإدراك العقلي إلى حد الابتكار والاختراع، ونسج ما يتكون في العقل الباطن من صور وخيالات يقوم الموهوب بتجسيدها في الحقيقة، وخلقها حتى تتكون صورة ملموسة ومحسوسة مما يراه في عقله ويشعره في داخله.

لذا فالموهبة خلط بين الإدراك الحسي والمعنوي والعقلي، تحتاج من يرعاها وينميها لأنها لا تُورث ولا تُكتسب .

كما أن الموهبة قد تحقق نجاحا أكبر وأوسع من النجاح الذي تحققه الخبرة الحياتية أو الدراسية، لأنها لا تستعرض الوقت الطويل للحضور والتجسد، لكنها تحتاج من يقوم بإيصالها من العالم المعنوي إلى العالم الحسي.

فالموهبة عطاء بلا حدود، وفرصة الموهوبين لإثبات حضورهم في الوجود، عن طريق الإبداع والأفكار النيرة المتجددة.

ولا شك أن وجود طفل موهوب، أمنية تتمناها كل أسرة، وحلم جميع الآباء. ومن ناحية أخرى نجد أن ظاهرة الطفل الموهوب قد لفتت نظر المفكرين والمربين منذ أقدم العصور، وحاول بعضهم أن يقدم تفسيرات شتى لهذه الظاهرة، كما استُخدمت مصطلحات عدة للدلالة عليها، كالعبقرية والنبوغ والإبداع. ويرى البعض أن الموهوب يختلف عن المبدع، فالموهوب هو الذي يملك قدرة عقلية عالية، أما المبدع فيتسم بالإنجاز الجديد الأصيل.

وينظر علماء النفس أثناء تعاملهم مع الموهوبين إلى المستقبل، في حين ينظرون إلى الماضي أثناء تعاملهم مع المبدعين، وكأنهم في حال الموهوبين يضعون الإعداد والرعاية والتوجيه نصب أعينهم، كي يتمكنوا من الاستفادة المستقبلية من هؤلاء الموهوبين.

وفي الواقع فإن الأطفال الموهوبين ذخيرة يجب أن تصان ولا تبدد، فهم القوة التي تدفع البشرية إلى الأمام، وهم القلم الذي يكتب التاريخ، وهم وديعة الوطن وثروته، ومن هنا تمثل رعاية الموهوبين الأساس ونقطة الانطلاق، وما يتم صرفه على فئات الموهوبين لا يضيع هباء، بل يظهر مردوده بعد سنوات عدة في مختلف مجالات الحياة.

ومن المهم معرفة أن الأطفال الموهوبين، بالإضافة إلى احتياجاتهم الأساسية كأطفال، إلا أنهم يعتبرون أطفالا ذوي احتياجات خاصة، لأنهم يحتاجون إلي دعم إضافي، حتي تنموا مواهبهم إلى أقصى حد. وفي عديد

من الدول في العالم، تم توجيه عناية أكبر بهؤلاء الأطفال. وتوجد هناك جمعيات مختلفة أسست لدعمهم وذويهم.

من هو الطفل الموهوب؟

يختلف علماء النفس في تعريف «الموهوب»، إلا أنهم يتفقون على أن التفوق العقلي وارتفاع نسبة الذكاء، هما أساسا التعرف عليه .. ويعرف الذكاء بأنه: القدرة العقلية العامة على التعلم وتطبيق المعرفة للتكيف مع البيئة، ولدى الإنسان الذكي القدرة على التفكير المنطقي والتفكير المجرد بصورة تختلف عن الآخرين ^(١) .. إن صفة الموهوب تعني قدرة عقلية عالية جدا «استثنائية»، وتدل الموهبة على أولئك الذين يملكون بعض القدرات الإدراكية الخاصة بشكل متميز، مثل: الرسم، والشعر، والكتابات الإبداعية، والمهارات الرياضية، والحرف اليدوية، والمهارات الميكانيكية، والقيادة الجماعية... إلخ

وتقول الدكتورة «مريم استوبارد»، أخصائية الأطفال والخبرة الشهيرة في تنمية الطفل: (إن وجود الطفل الموهوب من الأشياء النادرة،

(١) كلمة (الذكاء) كلمة عربية الأصل والمنشأ، فالذكاء في اللغة العربية هو «الفطنة والتوقد» من ذكت النار: أي زاد اشتعالها، بمعنى «زيادة القوى العقلية للإدراك». أما كلمة (عبقري) فجاءت من وادي عبق، وهو وادٍ ظهر فيه كثير من الأذكاء، فالشخص العبقري، هو الذي تتوافر فيه سمات خاصة، مثل: الطموح، والثقة بالنفس، والرغبة في التفوق، والقدرة على التركيز الشديد، وتحمل المشاق. ومن سمات العبقرية: الإبداع، الابتكار، السبق، التفرد، الامتياز .. أي أن العبقرية ما هي إلا نتيجة للذكاء الحاد، ويظهر ذلك من قول أول وزير للذكاء في العالم وهو (ألبرتو لويس ماشادو) وزير الدولة لتطوير الذكاء في فنزويلا: «إن العبقرية يمكن خلقها بالتربية المناسبة، وإن النظام التعليمي الحالي لا يُعلم الأطفال كيف يكونون أذكاء».

علي الرغم من أن العديد من الأطفال قد تكون مهاراتهم متقدمة في سن معينة، فهناك فقط حوالي ٢ % من الناس موهوبون حقاً).
ووفقاً لأحدث الدراسات تبين أن نسبة المبدعين الموهوبين من الأطفال من سن الولادة إلى السنة الخامسة من أعمارهم نحو ٩٠ %، وعندما يصل الأطفال إلى سن السابعة تنخفض نسبة المبدعين منهم إلى ١٠ %، وما إن يصلوا السنة الثامنة حتى تصبح النسبة ٢ % فقط. مما يشير إلى أن أنظمة التعليم والأعراف الاجتماعية العقيمة، تعمل عملها في إجهاض المواهب وطمس معالمها، مع أنها كانت قادرةً على الحفاظ عليها، بل تطويرها وتنميتها.

ملامح الموهبة

عادة ما يكون الآباء والأمهات قادرين في وقت مبكر على ملاحظة أن طفلهم ليس مثل بقية الأطفال. وتشير الدكتورة «ديبورا روف»، كبير أخصائي الذكاء وأسس التعليم: أن هنالك مستويات مختلفة من الموهبة، تتراوح بين ١-٥ درجات. وتنقسم هذه الدرجات بناء على العوامل المرتبطة، مثل: الذكاء، والطموح، وسمات الشخصية، ومدى معدل الذكاء الذي حققه الطفل.

وتشمل صفات الطفل الموهوب ما يلي:

- يظهر اهتماماً مبكراً بنطق الحروف الأبجدية مع الاكتساب المبكر للغة .. فبعض الأطفال يمكنهم التحدث بطلاقة وبناء الجمل المركبة قبل السنة الثانية من عمرهم.

- يمشي مبكراً، وأحياناً يستخدم يديه أو قدميه بسهولة لإنجاز بعض المهام الحركية الكبيرة والصغيرة، كقدرته على التقاط شيء صغير باستخدام أصابع قدميه.
- القراءة في وقت مبكر، إذ يتمكن العديد من الأطفال تعلم القراءة في سن ٣-٤ سنوات، في حين أن ٦% من الأطفال يمكنهم القراءة قبل السنة الثانية.
- التمييز المبكر بين اليمين واليسار. أو العد المبكر لأعداد فوق العشرة والعشرين.
- قوة الحجة ورجاحة المنطق.. كما يميل الطفل المفكر الموهوب إلى النقاش المفتوح والحوار المتصل، ولا شيء يغضبه أكثر من اختصار النقاش للقيام بمراجعة أخرى، أو طلب منه التقيد والامتثال.
- عقل خلاق ومبدع، وقوة ملاحظة عالية.
- الشغف بالمعرفة، وطرح العديد من التساؤلات: كيف – لماذا – متى – أين... إلخ
- استياء من عدم الحصول على إجابات مقنعة وكافية وشفافية.
- التفكير بشكل منطقي لافت للنظر، والقدرة على التفكير التباعدي (التفكير بأكثر من حل لمسألة ما بشكل إبداعي مجرد أو محسوس، عكس التفكير التقاربي: أي التفكير بحل واحد فقط)
- الاستقلالية وعدم الاعتماد على الآخرين. وربما تصل لعدم الامتثال بصعوبة.

- طاقات بلا حدود، قد يساء أحياناً تفسيرها على أنها نشاط زائد وغير طبيعي.
- يعبر عن ضيقه مما يحده (مما يظهر أن عقله يريد أن ينجز أشياء لا يستطيع جسمه بعد التعامل معها).
- المرونة وسهولة التكيف مع الأوضاع الجديدة.
- يتواءم مع الإعاقات ويتكيف معها، ويستطيع إنجاز الكثير من الأمور التي يريدها بالرغم منها.
- إبداع قدرة عالية على التعامل مع الألعاب التركيبية المعقدة، والشغف بممارسة الألعاب التي تستند على الفك والتركيب والتحليل والربط أكثر من استخدام الألعاب التي تستند على الحظ.
- إدراك مبكر لمفاهيم السببية؛ والقياس والحجم والوقت، ومقارنة الأشياء مستخدماً هذه المفاهيم.
- امتلاك ذاكرة مكانية قوية، والقدرة على تحديد الاتجاهات بدقة.
- يتذكر الأحداث المعقدة، ويستطيع شرحها بوضوح بعد مرور فترة طويلة على حدوثها.
- حل المسائل الحسابية البسيطة في وقت مبكر. والقدرة على حل المسائل أو الألغاز بشكل لافت.
- يستطيع استيعاب مفهوم «السبب والنتيجة»، ويستطيع عمل «تخمينات» جيدة عند محاولة الإجابة على الأسئلة، ويستجيب للاتجاهات والأمور المتعددة التي تطلب منه في سن مبكرة عن غيره.

- يستطيع النجاح في الاختبارات التي تعطى لمن هم أكبر منه سناً.
- القدرة علي التركيز لمدة طويلة .. يتمتع بقدرة على الانتباه لفترة أطول من الذين هم بنفس عمره، ويميل سريعاً من الروتين.
- سهولة التعلم وسط ظروف مناسبة .. يظهر استيعاباً سريعاً للمعلومات.
- يتحمس هؤلاء الأطفال لهوايات وأنشطة معينة، أو لأشياء تثير انتباههم، اختاروها بأنفسهم، مثل: كتابة الشعر أو القصص أو دراسة التاريخ.
- كذلك يوجد عدد من الصفات النفسية الإيجابية والسلبية التي يشترك فيها الموهوبون .

أولاً: الصفات الإيجابية:

- مهارة في التعبير عن أفكاره ومشاعره.
- يحكى القصص والأحداث بوضوح ويستطيع ابتكار نهايات منطقية للقصص.
- الإنجاز السريع لما يطلب منه من أعمال.
- العمل بعناية وضمير.
- حب التعلم والاستكشاف، والسعي دائماً وراء المعلومات، ودقة ملاحظة ما يدور حوله، واكتساب الخبرات من هذه الملاحظات.
- يقوم باستمرار بتقسيم، وترتيب، وتنظيم الأشياء وتسميتها.

- مهارات اجتماعية متميزة، وسهولة في تكوين علاقات خاصة مع من هم أكبر منه سنًا.
- الحساسية لاحترام مشاعر الآخرين، واحترام حقوقهم.
- الاشتراك في المنافسات، وإثراؤه لها بآرائه.
- سرعة وإدراك العلاقات التي تربط الظواهر أو المشكلات بأسبابها، أو العوامل التي تؤثر فيها.
- القدرة الفائقة على استخدام مهارات القراءة، واكتساب معارف ومعلومات جديدة للإسهام في خلق جو من المرح والبهجة وإسعاد الآخرين.

هذا بالإضافة لعدد من الخصائص النفسية السلبية منها:

- السعي بإصرار للتحكم في المناقشات التي يشترك فيها.
- قلة الصبر أحيانًا في الانتقال من مرحلة إلى أخرى في عمل أنشطته.
- إمكانية التهور بذكر ملاحظات كبيرة غير قائمة على أساس سليم من المعلومات والخبرة.
- احتمال تفضيل القراءة على حساب الأنشطة الاجتماعية الأخرى، والتفاعل مع الآخرين.
- معارضة أو تجاوز النظم والقواعد والتعليمات أو المعايير.
- المعاناة من إحباطات، نتيجة غياب المنطق، أو تجاوزه في ممارسة الحياة اليومية.

- احتمال الاندماج لفترات طويلة في أحلام اليقظة التي تبعده عن الواقع المحيط به، وتحول بينه وبين التركيز والانتباه.
- إمكانية الشطط والخروج عن الموضوع أثناء المناقشة لجوانب لا علاقة لها به.
- الشعور بالملل بسبب التكرار والإطالة في شرح قواعد أو بديهيات أو مفاهيم.
- تجاوز الحدود في سرد النكات أو المرح.
- مقاومة الالتزام بجدول أو نظام قائم على الوقت، وليس على العمل نفسه.
- سرعة فقد الاهتمام بالأشياء أو الهوايات.
- أخطاء في الهجاء، ورداءة الخط.
- الاندماج في أنشطة حركية زائدة، مثل: الانتقال من عمل غير مكتمل لآخر، خاصة حين الافتقاد لمتنفس لطاقاته العالية في أعمال تتصل باهتماماته وتتحدى ذكائه العالي.
- الإحساس بالغرور، وما يترتب عليه من عزلة اجتماعية، أو تهاون يؤدي للفشل في أعمال بسيطة.
- المعاناة من اضطراب النوم والقلق.. يتميز الأطفال الموهوبون بزيادة الحساسية والاستجابات الداخلية لأي رد فعل للمشاكل العادية للنمو، ويرجع ذلك إلى مجموعة واسعة من المظاهر الاجتماعية خلال التفاعل الاجتماعي، وهو ما يجعل هؤلاء الأطفال يدركون عدم

الانضباط أو الخلل الاجتماعي حولهم، وكأن هناك شيئاً خاطئاً بالنسبة لهم خصوصاً عندما يلاحظون أن الأطفال متوسطي الموهبة والذكاء محبوبون بين زملائهم في الفصول الدراسية، بينما يجدون (الأطفال الموهوبون ذوو المستويات العالية في الموهبة) صعوبة في التوافق مع أقرانهم، وتبدو مشكلة عدم التواصل بين الأطفال الموهوبين في سنوات ما قبل المدرسة، وينفصلون عن الأطفال في سن صغيرة في حوالي الثالثة، نظراً لاستخدامهم اصطلاحات ومفردات لفظية لمن هم في عمر ست سنوات، وبذلك لا يفهم من هم في أعمارهم نفسها (أي في الثالثة)، وهم في سن الرابعة يلعبون بعض الألعاب التي تحتاج إلى قدرات عقلية أعلى، مثل: لعبة البنج بونج أو الفيديو جيم. ولا يلعبها أقرانهم .. فمفهوم الأطفال الموهوبين عن المؤسسة أو الجماعة يشبه مفاهيم الراشدين، ولكنهم يُصدمون عندما تحاصر سلوكياتهم، وتصادر حقوقهم من قبل الراشدين في المشاركة في الجماعة أو المؤسسة، فيلجأ هؤلاء الأطفال إلى الانسحاب من التفاعل الاجتماعي، وهنا يشخص معلم ما طِفلاً موهوباً في عمر الرابعة على أنه مضطرب عاطفياً أو انفعالياً!! لأنه انسحب من المشاركة الاجتماعية، وتزداد المشكلة - بعد الانسحاب - تعقيداً إذا وجهه الآباء للعلاج النفسي، جهلاً منهم بأن المشكلة ناتجة عن عدم الموازنة بين قدراته وقدرات الأقران العاديين الذين يبتعد عنهم.

لكن ينبغي التنويه إلى أنه ليس كل من تتوفر فيه هذه الصفات الأنفة الذكر يكون موهوبًا، وليس كل من لم تنطبق عليه غير موهوب .. والذي يعيننا في هذا الأمر أن نعتبر هذه الصفات مجرد إشارة لإمكانية وجود موهبة، لنسرع بتعدها ونسعى لاكتشاف المزيد منها، بل وغرس بعض ما يمكننا غرسه لإثمارها.

وهذا ما يعبر عنه دائما بقول: «كل طفل مشروع موهبة، خاصة إذا كانت مجالات الموهبة تتسع لتشمل كل مجالات النشاط الإنساني؛ ولذا فمن حق الطفل الحصول على أفضل فرص للنمو».

وهناك فرق واسع بين أن نحكم على أطفالنا ونصنفهم لموهوب وغير موهوب، وأن نتناول الخصائص المميزة كبوصلة تدل على المساحات التي يجب الاهتمام بها، ونتجه فورًا للبحث عن الوسائل التي تكفل التنمية لأقصى حيز ممكن. ولا يعيننا فقط عملية التصنيف التي كثيرًا ما تكون جائرة وغير سليمة، بل دعوني أقل بأن ضمير الأمومة يأبأها ويرفضها. لا علاقة

ينبغي الإشارة إلى أن الموهوبين والمؤثرين في الحياة والمجتمع ليس بالضرورة هم الأذكي أو الأعلى في العلامات المدرسية .. صحيح إن التفوق الدراسي هو عامل مهم في التفوق الحياتي، لكنه ليس الوحيد .. إن المؤثرين في الغالب هم الذين يمتلكون مهارات اجتماعية في التعامل وبناء العلاقات، وحسن استثمار ما لديهم من قدرات، وما يستطيعون بذله من جهد.

ولقد ظهرت قضية «الموهوبون متدني التحصيل» لأول مرة بجامعة (جونز هوبكنز) بالولايات المتحدة الأمريكية عام (١٩٨١) علي يد نخبة من علماء التربية الخاصة. ويعتبر التحصيل المتدني من المشكلات الشائعة لدى الموهوبين بنسبة قد تصل إلى (١٥ - ٥٠%) من الموهوبين متدني التحصيل، ومن (١٠% - ٢٠%) من الذين يتسربون من المدرسة العليا أو يتركون الدراسة بها، ويقعون في عداد مرتفعي الذكاء.

وقد يكون تدني التحصيل عارضاً لظرف شخصي أو أسري، وقد يكون متأصلاً مضى عليه سنوات، كما قد يكون مقصوراً على مادة دراسية بعينها أو شاملاً لجميع المواد الدراسية.

ويُعرف بعض الباحثين تدني التحصيل بأنه: شرخ وفجوة وتناقض بين أداء الطفل الدراسي المدرسي والطاقة المختزنة لقدراته الفعلية، مثل: الذكاء، الإنجاز، نتائج الإبداع، أو بيانات الملاحظة.

أما الأسباب الكامنة وراء مشكلة التأخر الدراسي لدى الطفل

الموهوب فقد تكون على النحو التالي:

- **عوامل مدرسية:** وجود الأطفال الموهوبين في فصول دراسية عادية لا تتفق مع قدرتهم العالية على التعلم، وكذلك لا تتلاءم مع أسلوب التعلم الذي يناسبهم (المبنى على المناقشة والحوار) .. غياب التقدير والاحترام الفردي للطفل داخل المدرسة .. المناخ المدرسي شديد التنافس .. التركيز على التقييم الخارجي .. الأساتذة المتسلطون .. أن تكون المناهج غير مشجعة .. الخوف المدرسي.

- **عوامل أسرية:** الروح المعنوية الضعيفة للأسرة .. التفكك الأسري .. التسلط والسيطرة من قبل الأبوين .. الحماية الزائدة.
- **العوامل الشخصية:** التدني في تقدير الذات .. اللامبالاة نحو المدرسة .. سرعة الملل .. الضبط الشخصي المتدني في حياتهم.

دور الأهل

مما لا شك فيه أن كل أسرة تحبُّ لأبنائها الإبداع والتفوق والتميز لتفخر بهم وبإبداعاتهم، ولكنَّ المحبةَ شيءٌ والإرادة شيءٌ آخر .. فالإرادة تحتاج إلى معرفة كاشفة، وبصيرة نافذة، وقدرة واعية، لتربية الإبداع والتميز، وتعزيز المواهب وترشيدها في حدود الإمكانيات المتاحة، وعدم التقاعس بحجّة الظروف الاجتماعية والحالة الاقتصادية المالية .. ونحو هذا. فربَّ كلمة طيبة صادقة، وابتسامة عذبة رقيقة، تصنع الأعاجيب في أحاسيس الطفل ومشاعره، وتكون سبباً في تفوقه وإبداعه. وهذه الحقيقة يدعمها الواقع ودراساتُ المتخصصين، التي تُجمع على أن معظم العباقرة والمخترعين والقادة الموهوبين نشؤوا وترعرعوا في بيئاتٍ فقيرة وإمكانيات متواضعة.

كما أنه يقع العبء الأكبر في توجيه الابن على عاتق الأم، وذلك لكثرة مخالطتها لأبنائها، ولانشغال الأب بطلب الرزق، فإن هي وضعت هذا الأمر ديدنها وشغلها الشاغل، بلَّغها الله ما أرادت بعونه تعالى وحوله وقوته .. فهاهي أم الإمام الشافعي الشافعي رحمه الله، عندما ولدته في اليمن، ولأنها أزدية وهو قرشي خافت عليه الضيعة، فقالت له: الحقُّ بأهلك فتكون

مثلهم، فإنني أخاف عليك أن تغلب على نسبك، فجهّزته إلى مكة، فقدمها وهو يومئذ ابن عشر سنين، وجعل يطلب العلم !!

وكم من القدرات العلمية خبت في سن مبكرة، بسبب الحاجة وسوء الحال أو إصرار الوالد على ترك الدراسة مبكراً لطلب الرزق، وهنا تكمن مسؤولية الوالد في تفريغ ابنه لهذا الشأن إن وجد منه النباهة والاستعداد.

فقد كان والد (هشيم بن بشير) يصنع الكوامخ والمخلّلات، ويمنع ابنه من الطلب حتى ناظر أبا شيبية القاضي وجالسه! فمرض هشيم! فجاء القاضي يعوده، فمضى رجل إلى بشير فقال: «الحق ابنك، فقد جاء القاضي يعوده!» فجاء، فقال: «متى أملت أنا هذا! فقد كنت أمنعك يا بني، أما اليوم فلا أمنعك!».

وهذا (النووي) شارح صحيح مسلم، لما كان عمره عشر سنين كان يهرب من الصبيان، ويكي لأنهم يُكرهونه على اللعب، ويقرأ القرآن في تلك الحال، وجعله أبوه في دكان فجعل يشتغل بالقرآن. فرآه أحدهم، فقال لأبيه: «هذا الصبي يُرجى أن يكون أعلم أهل زمانه وينتفع الناس به»، فحرص عليه أبوه إلى أن ختم القرآن!

■ من المهم أن تدرك أن طفلك استثنائي، وسيكون أكثر عرضة لمختلف الاحتياجات من الأطفال الآخرين، فتنشئة طفل موهوب يمكن أن تكون مجهدة عاطفياً وبدنياً، وذلك لأن نمو الطفل يختلف عن القاعدة. ومن المهم أن نتذكر أن الطفل الموهوب لا يزال طفلاً، ولا يزال بحاجة إلى الحب والدعم كاحتياجات أي طفل في عمره.

- توفير الظروف الأسرية التي يسودها الاستقرار النفسي والاجتماعي، وتوفير الوقت اللازم لتربية أطفالنا ومشاركتهم والإشراف على أنشطتهم الفكرية والابتكارية، كي يتم تنشئتهم على قدر كبير من الحرية الشخصية المنضبطة (عطف وحزم)، والاستقلالية والمبادأة، وتوجيههم لحسن التحكم في سلوكياتهم، ومن ثم تحقيق ذواتهم.
- من المهم جدا رعاية طفلك الموهوب ومنحه مساحة للنمو والتطور حسب وتيرته. وكما قال الشاعر الانجليزي (وليام بليك): «لا يمكن لطائر أن يخلق بارتفاعات عالية جدا إلا إذا كان يخلق بأجنحته» .. تذكر ذلك للسماح لطفلك بالطيران ووجهه بالحكمة.
- منذ نعومة أظفارهم يجب على الأباوين إثارة فضول أطفالهم، وفق مراحل أعمارهم المختلفة، بالأنشطة المتنوعة والمناسبة كالصور والقصص، والوسائل التعليمية المبتكرة على أجهزة الفيديو والحاسوب وغيرها، لتنمي لديهم عادة القراءة والمطالعة والجد والاجتهاد، فهي أسس المعرفة وبذور الابتكار. ومع ما للتلفاز والحاسوب من تأثير إيجابي، فإنه لا يخفى على أحد تأثيرهما السلبي، فيجب مراعاة ظاهرة (إدمان مشاهدة التلفاز وألعاب الحاسوب) التي تعيق عملية الابتكار والتأمل، وتعيق النمو الحركي والجسماني، مع ما قد تسببه من سمنة مفرطة أثبتتها الدراسات المعنية بهذا الشأن.

- قوي ثقة طفلك بنفسه .. حاول أن تدعم طفلك بلقب يُناسب هوايته ويميزه، ليبقى هذا اللقب علامةً للطفل، ووسيلةً تذكيرٍ له ولمرتيبه على خصوصيته التي يجب أن يتعهدها دائماً بالتركية والتطوير.
- تنمو الموهبة مع التحفيز .. شجعه على القراءة في كافة المجالات، ثم انتقل إلى المجال المحبب إليه .. اختار الكتب المبسطة الشيقة الجذابة .. اجلس معه .. تناقشا سوياً في كل ما يقرأ .. اجعل «الكتاب» أثمن ما يملك.
- صغيرك بأمس الحاجة إلى أن يتعلم «العمل الجاد»، لو قرأتما كتاباً لا تنتقلان لغيره بدون فهم ووعي لكل ما فيه، فيتعلم أن المتعة الحقيقة هي إنجاز العمل والأخذ بالأسباب.
- احكي له عن علماء المسلمين «أحمد بن حنبل، ابن الهيثم، الخوارزمي...» كيف كانوا مثابرين، مجتهدين، ذوي عزيمة وهمم .. فالبقرية كما قال أينشتاين: ١ % موهبة و ٩٩ % مثابرة.
- على الأسرة إعادة الاعتبار للعب الأطفال، فهي - قبل أن تكون وسيلة ترفيهية- وسيلة تربوية تعليمية وتنشيطية مهمة في بناء شخصية أطفالنا المبتكرين، فاللعب الذي لا يشغل أطفالنا عن واجباتهم ولا يرهقهم أو يضرهم فرصة لتحررهم من الواقع الزاخر بالقيود، وتخفيف درجات توترهم من إحباطات بيئتهم، فعلياً بذل المزيد من الجهد كي نُحسن اختيار ما يُلعب به وطرق وأماكن اللعب، لتلائم مراحل أعمارهم وخصائصهم وبيئتهم وثقافتهم، ومن ثم تؤثر في تطور مهاراتهم.

■ جري، وتبادل أدوار تمثيلية. أوراق وألوان وصلصال. دمي للسيارات والشاحنات. نماذج للمنازل والجسور. فك وتركيب المكعبات ... كل ذلك وغيره يُحسن نمو أطفالنا الحركي والانفعالي والمعرفي، ويزيد من وعيهم بتبادل المواقف وبتكوين الأشياء، والعلاقات بين الجزء والكل، والفعل ورد الفعل، ويغرس دقة الملاحظة، ومهارة الترتيب والتنظيم والتحليل والتقويم، وهى من لوازم العملية الابتكارية.

■ عدم الاستياء من الأسئلة الكثيرة لأبنائنا، ومحاولة تقديم محتوى يفكر فيه الطفل لنشعل لديه شرارة التساؤلات، على أن نحرص على أن نجيب إجابات سليمة وغير مغلقة النهاية لتشجع الطفل على مزيد من التساؤلات .. إن عالم هو عالم اختلاط الواقع بالخيال الحر المتدفق والفريد، وهو نبع فياض بالأسئلة والأفكار والموضوعات، التي تسعى لإشباع الرغبة في التعرف على الأشياء وحب الاستطلاع والفضول (يثيره ثلاثة عوامل: الجد والتعقيد والغرابة)، لذا فلأطفالنا الحق في الإجابات المناسبة عن أسئلتهم الكثيرة: ما هذا، كيف، ولماذا، وأين، ومتى؟

■ دون ضيق أو تبرم أو إجبار على أسلوب معين في حل المشكلات، يجب تنمية طرق التفكير السليم -وهى متعددة- لدى أطفالنا، ومساعدتهم على الاحتفاظ بأفكارهم الخاصة عبر تسجيلها في يومياتهم أو بطاقتهم، ليتم البناء عليها لاحقاً ومعرفة مدى تطورهم في هذا الجانب.

■ حثهم المتواصل على التأمل في إبداع الله تعالى في كونه، وحسن تدبيره وتقديره تعالى في مخلوقاته، فإحساسهم وتذوقهم للجمال -إن الله

جميل يجب الجمال- يساعدهم على تمثل ملكات التناسق والتوافق والتكامل والروعة، وهي من مقومات عملية الابتكار.

■ ساعد أطفالك على تنويع طرق تعبيرهم عن عالمهم الفكري الخصب، عبر الوسائط والأنشطة المختلفة كالرسم والتلوين والتشكيل والتركيب والحركة .. وغير ذلك، مما ينمي لديهم أنماط التفكير الابتكاري .. شاركهم بتوفير المتعة فهي من مقومات عملية الابتكار .. لا يخفى أن الاستمتاع بالخبرات والأنشطة التي تنمي الأجسام والحواس يولد أحاسيس سارة ومشاعر طيبة لدى أطفالنا عن ذواتهم وعن الآخرين، الأمر الذي يدفعهم لبذل المزيد من الجهد «ابتكاراً» لتكرار تلك الأحاسيس، وفق فطرة الإنسان التي فطرها الله عليه في الميل إلى ما يسره والبعد عما يؤلمه: «علموا أولادكم السباحة والرماية، ومروهم فليثبوا على الخيل وثباً».

■ ابتعد عن الإفراط في برمجة طفلك وتنظيم أوقاته .. دع طفلك يسلي نفسه بنفسه .. امنحه تلك الفرصة، لأن ذلك سيفيده كثيراً في الاعتماد على نفسه تدريجياً وعن طريق اللعب، ويقول الخبراء: «من الصحيح أن لدروس الحاسوب والرياضة بمختلف أنواعها قيمتها الجيدة، لكن وجود الكبار دوماً وحومهم حول الصغار يبعد أي احتمال قد يساعد الصغير على الإبداع .. اترك الطفل بعض الوقت ليسلي نفسه، وراقب خياله الواسع جداً.

■ قد يبدو في الطفل علاماتٌ تميّز مختلفه، وكثيرٌ من المواهب والسّمات، فيجدرُ بالمربّي التركيز على الأهم والأولى، وما يميل إليه الطفل أكثر، لتفعيله وتنشيطه، من غير تقييده برغبة المربي الخاصة.

- اعرّف النشاط الذي يهتم به طفلك والذي يكون مناسباً لإمكانياتك المادية سواء كان نشاط بدني، مثل: فصول الجمناز، الكاراتيه. أو نشاط إبداعي، مثل: فصول الرسم. وشجعه على المشاركة فيها.
- حاول معرفة الأسلوب الذي يتعلم به بسهولة، وذلك بالاستماع إليه وملاحظته بدقة، وذلك لكي تستطيع تقديم الأشياء إليه بطريقة تجعله يفهمها ويستخدمها.
- أغن بيئة طفلك .. فبالإضافة إلى الأصدقاء والأقرباء الذين يمكنهم أخذ دورك، هناك مصادر أخرى يمكنها دعم مواهب طفلك، ومنها: الكتب والمجلات والألعاب التي تشجع اهتماماً خاصاً أو مقدرة خاصة لديه .. كما يمكنك تأمين بيئة غنية لطفلك عن طريق القيام برحلات إلى: حديقة الحيوان والحدايق العامة والمكتبات والمتاحف، فضلاً عن الحفلات .. عرفه على كثير من الأماكن والنشاطات المختلفة، ومن الممكن في معظم المجتمعات إعطاء دروس مخصصة للأطفال في اللغات أو الرياضة، أو في مهارات أخرى.
- عرضه لأشياء كثيرة سواء مادية، مثل: اللعب والألعاب، أو إلى مواقف، مثل: وضعه في مواقف مختلفة وتعليمه كيفية التصرف فيها.. دعه يستكشف ويجرب، ولكن تحت عينيك.. دعه يخطئ، فالمحاولة والخطأ هي من أفضل الوسائل التي سيتعلم منها لينمي موهبته.

- أمرا حسنا أن يمتحن الطفل مهنة توافق هوايته وميوله في فترات العطل والإجازات، فإن ذلك أدعى للتفوق فيها والإبداع، مع صقل الموهبة والارتقاء بها من خلال الممارسة العملية.
- لا تنتقده دوماً، ولا تطلب منه الكثير عندما يخطئ أو لا يستطيع فهم شيء. ولكن عرفه أخطاءه برفق وكن مسانداً له.
- اعرف حدود صبره .. على سبيل المثال: إذا كان يتحكم في غضبه أم يدخل في نوبات غضب بسهولة.
- لا تضغط على الطفل لتحقيق أكثر مما يستطيع، ولا تفرض عليه برامج مكثفة وإضافية مع الدروس الأخرى، ما لم يطالب الطفل بها.
- ينبغي عدم حرمان الطفل من النماء الاجتماعي، والاستمتاع باللعب مع أترابه في العمر، فالرفاق هم مصدر تعلم ونماء وتنشئته كما هي المدرسة.
- علينا تهيئة الظروف المناسبة لانفتاح أطفالنا على عالمهم الداخلي والخارجي .. تذكراً وذاكرة .. إحساساً ومعرفة .. اندماجاً وتفاعلاً .. استكشافاً وتجريباً (إنتاج تشكلات جديدة ومبتكرة، أو حل مشكلات متفاوتة الصعوبة والتناقض)، وتعلماً غير مباشر من الأحداث اليومية، وتنمية الحوار والاستفسار وحق الإجابة، ومشاركتهم بارتياح أماكن ومواقف تثير فضولهم وحواراتهم.
- ارشد أطفالك إلى كيفية تقويم أنفسهم وتفاعلاتهم في البيت وفي المدرسة ومع الأصدقاء .. تقويماً إيجابياً وليس سلبياً، حتى وإن جانبهم

الصواب في بعض الأحيان، فيتعلموا من أخطائهم، فكل بني آدم خطأ وخير الخطاءين التوابين.

■ مكافأة الطفل عندما يأتي بأفكار جديدة، مع تقدير مجهوداته ومبتكراته وإن صغرت، واحترام موهبته.

■ الاحتفاء بالطفل المبدع ونتاجه، وذلك بعرض ما يبده في مكان واضح من المنزل، أو بتخصيص مكتبة خاصة لأعماله وإنتاجه، وكذا بإقامة معرض لإبداعاته يُدعى إليه الأقرباء والأصدقاء في منزل الطفل، أو في منزل الأسرة الكبيرة، أو في قاعة المدرسة.

■ ينبغي لفت نظر المعلمين إلى أن طفلك من الموهوبين ونوعية الموهبة، حتى يتمكنوا من مساعدته، وتؤكد من أنهم يقدمون له الدعم الكامل. هذا مع حسن اختيار دور التعليم ذات المناهج والإدارة التي تشبع الحاجات والميول، وتنمي المواهب والطاقات، مع التعاون والمتابعة الجادة للأبناء في مدارسهم وجامعاتهم فيما بعد.

■ ابحث عن مجموعات أو جمعيات آباء الأطفال الموهوبين، الذين يمكن أن توفر لك الدعم .. وعبر الاعتماد على خبراتهم السابقة والمزاوجة بينها وبين خبرات الراشدين .. شرقاً وغرباً.. تقليداً ثم ابتكاراً، يمكنكم مساعدة أطفالكم على تنمية قدراتهم على الإنتاج المفيد لهم ولغيرهم وليبتعثهم، مع توفير الظروف المساعدة (بعيدا عن التشتت)، وتلبية الاحتياجات والمواد اللازمة لتنفيذ أفكارهم المبتكرة.

وإجمالاً علينا بإثراء بيئة الطفل بكثير من الأنشطة والاهتمامات التي تتيح التعرف على مواطن القوة والضعف في أدائه، وكذلك تتيح التعرف على اهتماماته لأنها البوصلة الأولى التي توجه رعايتنا له، بما يعني ضرورة التعمق في اهتمامات الطفل وتعقيد الأنشطة المقدمة له لحفز مهارات التفكير العليا لديه، ويراعى التنوع والمرونة في هذه الأنشطة والتي تستثير التفكير وتكشف عن القدرات الإبداعية لديه، إضافة للسماح للطفل بالتفاعل الإيجابي مع بيئته والتواصل الاجتماعي.^(١)

(١) من مصادر البحث

- الأطفال الموهوبين.. حلم الآباء والأمهات د. إيمان حسين شريف/جريدة الشرق الأوسط العدد ١١٠٣٠
- الطفل الموهوب .. كيف نكتشفه ونرعاها؟ د.بركات محمد مراد / مجلة الوعي الإسلامي العدد ٥٢٥
- فارابي العصر منى يونس/ م. إسلام أون لاين- معا نربي أبنائنا
- موهبة أم تميز أم تفوق.. فض الاشتباك؟! نيفين عبد الله صلاح / م. إسلام أون لاين- معا نربي أبنائنا
- أطفالنا.. كيف نجعلهم مبتكرين؟ ناصر أحمد سنة
- الطفل الموهوب من هو؟ مؤسسة الملك عبد العزيز ورجاله لرعاية الموهوبين
- مواهب أطفالنا .. كيف نرعاها؟ فوزية الخليوي

أقوال ومواقف

- إن الأم التي تهز بيمينها طفلها تهز العالم بيسارها. «نابليون»
 - كل ما وصلت إليه من بُعد الشهرة وعلو المركز إنما يعود الفضل فيه إلى أمي. «جون آدمز» أشهر اقتصادي في العصر الحديث.
 - إني مدين بكل ما وصلت إليه، وما أرجو أن أصل إليه من رفعة، إلى أمي. «إبراهيم لينكولن» أول رئيس للولايات المتحدة.
 - كانت أمي تثق بي كثيرًا، أكثر مما أستحق، فحاولت أن أحيا لأحقق ثقته بي؛ فصرت توماس أديسون. «توماس أديسون» مكتشف المصباح الكهربائي.
 - العقاب يشكل تحفيزا سلبيا، فإن ما يتعلمه المتعلم بالخوف أو الألم أو الضجر ينساه بسرعة كبيرة.
 - أفضل للأطفال أن يسألوا أسئلة غبية، فذلك أسهل من تحمل الأخطاء الغبية.
 - سلبية الطفل اليوم تكلف أضعاف ما كان يدفعه والده بالأمس من أجل تعليمه. «هاردنج»
 - الشباب الكسول يثمر شيخوخة متسولة.
 - إن أولئك الذين ترعرعوا في مساحات جرداء، عليهم قطع مسافات طويلة مادام لا شيء يتحدث إليهم .. لا أشياء ولا أشخاص.
- «بيرنو»

- إن المستوى الاجتماعي للآباء يحدد بدوره المستوى الدراسي والثقافي للأبناء، وهذا الأخير يحدد بدوره المستوى الاجتماعي لهؤلاء أنفسهم.
- مهمة التربية في إيصال كل فرد إلى أقصى مراتب الجودة التي يمكن أن يحققها. «كانت»
- لا بد أن تحضر الطفل لأن يجعل من حواسه سبيلا لزيادة رأسماله الفكري. «فرويد»
- إن التطور الذهني عملية بنائية مستمرة كعملية بناء عمارة شامخة، تزداد صحة ومتانة مع كل حجارة جديدة.
- إن تعليم القراءة والكتابة ممل بعض الشيء، فعلى المعلم أن يخفف هذا الملل باصطناعه طرقا مشوقة. «عبد الله عبد الدائم»
- إن ما يميز المتعلم الجيد عن غيره، هو درجة دمج المعارف وتيسيرها.
- لقد فتحنا المدرسة أمام الجميع، فليصل إلى الغاية من كانت لديه القدرات. «جاك حلاق»
- الطفل الذي تعلم في المدرسة فقط هو طفل غير متعلم. «جورج سانتيانا»
- إذا علمت ولداً فقد علمت فرداً .. وإذا علمت بنتاً فقد علمت أمة. «الإمام ابن باديس»

- السر في التعليم الناجح هو احترام التلميذ. «رالف والدو إيمرسون»
- لا أحد يسعى للتعليم جيدا، الكل يسعى لدرجات جيدة!. «لي رودلف»
- جذور التعليم مرّة، ولكن ثماره حلوة. «أرسطو»
- نصف العلم أخطر من الجهل.
- من فتح باب مدرسة أغلق باب سجن. «فيكتور هوجو»
- في فن التعليم هناك فن التحفيز. «ج.ف. ديفيرنواس»
- الوسائل حضورها ضروري لتسريع عملية التعلم، فهي تقدم أساسا ماديا للتفكير. «الطويجي»
- التعلم النشاط طريقة تدريس تشرك المتعلمين في عمل أشياء تجبرهم على التفكير فيما يتعلمونه.
- المدرس رئيس فرقة موسيقية، يجب عليه أن يسمح لكل عازف أن يبرع، كما لو أن كل عازف يؤدي معزوفته انفراديا. «تارديف»
- المعلم الموهوب مكلف، ولكن المعلم السيئ أكثر تكلفة. «بوب تالبرت»
- التدريس هي المهنة التي تعلم كل المهن الأخرى.
- المدهش في العملية التعليمية هو كمية الجهل المتراكم في صورة حقائق جامدة. «هنري بروكس آدمز»

- التعليم أنتج قطاعات عريضة من البشر قادرة على القراءة، ولكن غير قادرة على تمييز ما يستحق القراءة. «جورج تريفيان»
- تربية الأبناء متعة لا يجد لذتها إلا من استعذب صراخها وبكاءها

!!

- قال أحد الشعراء عند سفر أبنائه:
أين الضجيج العذب والتعب؟..... أين التدارس شابه اللعب؟
أين الطفولة في توقدها؟..... أين الدمى في الأرض والكتب؟
أين التشاكس دونما غرض؟..... أين التشاكي ما له سبب؟
- قال رجل للأستاذ «مالك بن نبي» رحمة الله عليه: «ولد لي مولود وأريد أن أعرف منهج الإسلام في تربيته». فسأله الأستاذ: «منذ متى ولد لك؟» قال: «منذ شهر»، فقال له الأستاذ: «لقد تأخرت كثيراً!!» ثم قال له: «لعله يبكي، فتسارعوا إلى حمله» قال: «نعم»، قال: «فلا تفعلوا، لأنه إذا ضربه اليهود، فلن يكون عنده إلا الدموع».
- رحم الله الأستاذ، لقد كان ينظر ببصيرته لا ببصره، وكأنه كان يشير إلى أمة من البكائين الذين لا يملكون أمام عدوهم سوى الندب والشجب والبكاء، ولست أدري هل تنصر الدموع حقاً وتهدم باطلاً!!
- إن هذه القصة تضع أيدينا على عظمة هذا الدين الذي يهتم بالأطفال قبل أن يوجدوا ويولدوا، كما قال أبو الأسود الدؤلي لأولاده: «لقد أحسنت إليكم صغاراً، وأحسنت إليكم كباراً، وأحسنت إليكم قبل أن تولدوا». فقالوا له: «أما إحسانك لنا كباراً فقد عرفناه، وأما إحسانك لنا صغاراً فما أنكرناه،

فكيف كان إحسانك لنا قبل أن نولد؟» فقال لهم: «لأنني تخيرت لكم أمّاً لا تعيرون بها».

الفهارس

- المقدمة

علم النفس

- الاحتياجات النفسية للأبناء
- قراءة في نفسية أولادنا
- خطوة بخطوة
- مراحل نمو طفلك.. تصرف بحكمة
- اكتشف طبيعة طفلك
- مخاوف الطفل .. المساعدة ضرورية
- أطفالنا والخلافات الزوجية

اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم

- العدل بين الأولاد .. الفضيلة الخفية

أساليب التأديب

- القسوة في التربية .. أسهل الطرق أصعب النتائج
- ليست العصا لكل من عصى
- سلوكيات تربوية خاطئة

أبجديات الصراع الطفولي

- الغيرة بين الأطفال .. تزداد مع المولود الجديد
- شجار الأولاد .. منه الحل ومنه المر
- طفلي يعض !!!

- الطفل العدوانى .. سلوك نشاز فى عالم الطفولة البرىء

.....

- صغارنا وخلق التسامح

الاضطرابات السلوكية

- أسرار حياة الطفل الخجول والانطوائى
- الطفل الفوضوى
- تناذر فرط الحركة وقلة الانتباه عند الأطفال
- الطفل العصبى .. عنف وتمرد
- المشاكس العنيد !!
- كذب الأطفال .. تفهم الدوافع لتجد الحل
- اللص الصغير
- قضم الأظافر .. العادة العصبية
- مص الإصبع .. عندما يدخل دائرة الخطر
- المصاصة
- تأخر النطق عند الأطفال .. إجبارهم ليس حلاً

النوم سلطان

- نوم طفلك .. معلومات تهملك
- اضطرابات النوم عند الأطفال

من هنا وهناك

- مع طفلك .. بين الحنان والتدليل شعرة

- الطفل الموهوب .. الحاجة إلى عناية خاصة
- أقوال ومواقف

صدر للمؤلف

- الطريق من هنا ... ومضات في فن الحياة وإدارة الذات مجلد
- موسوعة الطفل .. (المربي الناجح)
مجلد
- موسوعة الطفل .. (مهارات التقويم)
مجلد
- موسوعة الطفل .. (صحة وعافية)
مجلد
- السعادة الزوجية .. كنوز وأسرار
مجلدان
- الثمرات .. مختارات من خبرات الأخيار الثقاة
مجلد

تحت الطبع

- أعلام من عصرنا
مجلدان
- لآلئ من بحور السنة
مجلد